قصص وحكايات من التاريخ الإغريقي والروماني

تأليف

محمد زكريا توفيق



0

مقدمة

هذا كتاب سهل ومبسط عن تاريخ الإغريق والرومان حتى نهاية الإمبراطورية الرومانية وبداية العصور الوسطى. يغطي فترة زمنية هامة من تاريخ أوروبا والعالم المعروف في ذلك الوقت، قدرها 1200 سنة أو أكثر.

لقد كنت في مرحلة الدراسة أكره حصة التاريخ، وأجدها أثقل الحصص على النفس. وأجد صعوبة بالغة في فهم مادة التاريخ واستذكارها. وكنت أحصل على أدني الدرجات اللازمة للنجاح بالعافية.

السبب أن المدرسين كانوا يركزون على أسماء الملوك والقواد والبلاد والتواريخ، وأنا من النوع الذي لا يستطيع حفظ شيء بدون فهم.

إلى أن كبرت وتخرجت من الجامعة، وبدأت أبحث عن أسباب تخلف أمتنا وتقدم الأمم الأخرى. فوجدت نفسي مضطرا لقراءة التاريخ من جديد، والبحث عن الأسباب والدوافع، وما يدور وراء الكواليس.

وإذا بي أجد أن مادة التاريخ التي كنت أكرهها، هي شيء رائع. لذلك وقعت في غرامها وعشقتها. واكتشفت أن التاريخ بمجمله، ليس إلا مجموعة قصص وحكايات جميلة وطريفة، حدثت لجدودنا بخيرها وشرها منذ زمن بعيد.

كنا نستعيدها في المدارس بطريقة منفرة وغبية. التاريخ يا سادة، حدوته محتاجة لراوي بربابة يغنيها، وليس مدرس غير فاهم، يفرض على الطلبة حفظها بالعصاية. التاريخ أعمق من ذلك، إذا قرأنا هيجل ونيتشه.

لهذا فكرت في كتابة التاريخ بطريقة مبسطة مختلفة بعض الشيء. وأضفت الكثير من الصور والخرائط للتوضيح وجذب الانتباه. وكما قالت "أليس في بلد العجائب"، ما فائدة كتاب بدون صور؟ وودت لو أستطيع إضافة الموسيقى مع الصور. لكن هذا غير متوفر في الوقت الراهن.

بدأت بكتاب عن تاريخ قدماء المصريين، بعنوان "قصة التاريخ المصري القديم"، ثم كتاب عن تاريخ الولايات المتحدة الأمريكية، والآن هذا الكتاب.

التاريخ ليس مجرد خليط من الأسماء والتواريخ المرتبطة بأحداث انتهت مع أناس، لقوا حتفهم منذ فترة طويلة، ولا فائدة من تعلمه على الإطلاق.

دراسة التاريخ لها أهمية كبيرة، لأنها تساعدنا على فهم أفضل لأنفسنا والآخرين، وما يدور في العالم من حولنا. وتساعدنا على أن نكون مواطنين صالحين، وصانعي قرارات أفضل.

كما أنها تساعدنا على تحديد كيفية التعامل مع المستقبل، والتعلم من انتصاراتنا وأخطائنا السابقة. وتساعد على خلق وطنيين ورجال أعمال ومهنيين وقادة سياسيين جيدين.

الصعوبة التي سيجدها القارئ العزيز هنا، هي كثرة الأسماء الغريبة عليه. لأنه يتعامل مع التاريخ الأوروبي، ويرى معظم هذه الأسماء لأول مرة. لكنه يستطيع التركيز فقط على أشهر هذه الأسماء، وعلى معنى الأحداث نفسها، دون أن يشعر بخلل في تسلسلها التاريخي.

كما أرجو أن يركز القارئ العزيز على محاولة فهم الطبيعة البشرية والعلاقات الإنسانية بين الحكام والأبطال، والعادات والقيم للشعوب المختلفة، وينتبه إلى كيفية تغير الطبائع والأخلاق من جيل إلى جيل.

ولا أريد الإطالة، لذلك سأترككم لبدء هذه الرحلة الممتعة، والغوص في أعماق التاريخ القديم.

(01)



سميراميس

سميراميس

أحد المدن المشهورة في الزمن القديم، هي مدينة بابل، تقع في العراق حاليا. نمرود، هو رجل شجاع وذكي. خاض العديد من المعارك، وصار ملكا لبلد كبير تسمى آشور. من بين العديد من المدن الأخرى، بنى

مدينة بابل الجميلة. بعد وفاته، جاءت ملكة، واسمها سميراميس، قامت بتزيينها وزخرفتها.



بابل

الملك نمرود كان له ابن يدعى نينوس. هو أيضا كان ملكا محاربا اكتسب العديد من المعارك. أخيرا، فرض حصارا على مدينة تسمى باكتيريا، لكنه وجد صعوبة كبيرة في دخولها وإخضاعها له.

زوجة أحد قواده، كان اسمها سميراميس. كانت امرأة شجاعة على غير المألوف، وكان لها نفس القدر من الحس والفهم. لم تكن من أسرة مشهورة، لكنها بذلت قصارى جهدها لتحسين وتثقيف نفسها.



سميراميس ونينوس

ذهبت سميراميس إلى الملك، وأخبرته بخطتها لقهر مدينة باكتيريا المحاصرة. فعل الملك ما نصحت به، وسرعان ما حصل على المدينة. أحب نينوس المرأة، التي كانت السبب في انتصاره.

عندما علم زوج سميراميس بذلك، خاف من الملك وذهب ليقتل نفسه. عندما مات المسكين، تزوجها الملك نينوس. هكذا أصبحت سميراميس ملكة. وعند وفاة زوجها الملك، أصبحت هي ملكة على طول البلاد وعرضها.

كانت سميراميس فخورة جدا ب بابل، لدرجة أنها كادت تبنيها من جديد. أضافت لها بعض القصور والمعابد الجميلة. وظلت يحتفل بها لفترة طويلة لعظمتها وجمالها.

كما كانت الملكة سميراميس هي نفسها، موضع إعجاب الكثيرين من الناس لرقة إحساسها ورجاحة عقلها، والطريقة الذكية التي حكمت بها أمة عظيمة. لم تقم ببناء المدن فحسب، بل خرجت مع جيش كبير، وقاتلت وسط جنودها، وحصلت على العديد من الانتصارات.

في أحد الأيام، بينما هي تخلع ملابسها، نمى إلى علمها بأنه هناك اضطرابات في المدينة. ركضت على الفور قبل أن تصفف شعرها وهي نصف مرتدية ثيابها. لم تفكر في هندامها قبل أن تعيد السلام لشعبها.

كانت تسير جيشا عظيما ضد ملك الهند، عندما سمع بقدومها، أرسل ليسألها من هي، ولماذا جاءت لتحاربه؟ "أخبر سيدك، "أجابت

سميراميس، "أنه سيعرف قريبا من أنا.". ثم التقى الجمعان وتقاتلا. لكن سميراميس أصيبت بطعنتين، هربت إثرهما مع جزء من جيشها، وعادت إلى بابل.

بعد عودتها بفترة وجيزة، تمرد عليها ابنها. وبدلا من أن تعاقبه، تخلت له عن العرش، لتعيش بقية حياتها في سلام ووئام مع نفسها.

لقد أحب الأشوريون سميراميس لما فعلته لهم من خير. يقول الكتاب المقدس إن إبراهيم قد ولد في كلدانيا، وهي جزء من آشور، 1996ق م، بعد وقت قصير من وفاة هذه الملكة الشهيرة.

هيلين وباريس



هيلين وباريس

تم بناء مدينة اسبرطة بعد وقت قصير من أثينا. وكان ليلكس ملكها الأول. وكان لها ملك آخر يدعى لا سيدمون، من اسمه جاء اسم دولة لاسيدمونيا. وكان للملك العاشر من اسبرطة، تينداروس، ابنة تدعى هيلين. وكانت جميلة جدا، تفتن كل من يراها. كثير من الملوك والأمراء يتمنون ويبدون الرغبة في الزواج منها.

لم يكن تينداروس يعرف كيف يختار زوجا لابنته. لذا، جعلهم جميعا يقسمون بالموافقة على من تختاره ابنته بنفسها. بعد ذلك، اختارت هيلين الملك مينلاوس زوجا، وعاشا معا في سعادة وهناء.

حدث أن أميرا وسيما جدا، يدعى باريس ابن بريام، ملك طروادة، قابل أثناء سفره الجميلة هيلين. وكان قد سمع الكثير عن جمالها ورقتها. وعندما غاب زوجها الملك مينلاوس عن البلاد، اغتنم باريس الفرصة، وهرب عائدا إلى طروادة بلده ومعه هيلين.



مينلاوس

عندما عاد مينلاوس، لم يجد زوجته. فصل بائخ وشيء يغيظ بالتأكيد. اشتكى لطوب الأرض، وظل يصرخ بصوت عال جدا، أقلق مضاجع جميع مدن اليونان، فهبت جميعا لمساعدته في استعادة هيلين.

كانت اليونان في ذلك الوقت، مليئة بالمدن، كل منها يحكمها ملكها.
وكانت تقع مدينة طروادة، في آسيا الصغرى. بسبب اختطاف هيلين،



موقع طروادة بالنسبة لليونان

طلب مينلاوس من جميع ملوك اليونان الوحدة ومساعدته في استرجاع زوجته.

لأول مرة، اتحد ملوك اليونان وكونوا جيشا عرمرما يسد عين الشمس.
جاءوا بعتادهم وسفنهم، وعبروا بها عباب البحر، وحاصروا طروادة حيث توجد هيلينا الجميلة والوسيم باريس.

لمدة طويلة امتدت إلى عشر سنوات، والجيوش اليونانية تحاول استعادة الجميلة هيلين. في نهاية تلك الفترة، اقتحموا المدينة، وأحرقوا بيوتها وجابوا عاليها في واطيها، واستعادوا هيلين عام 1184 ق.م.

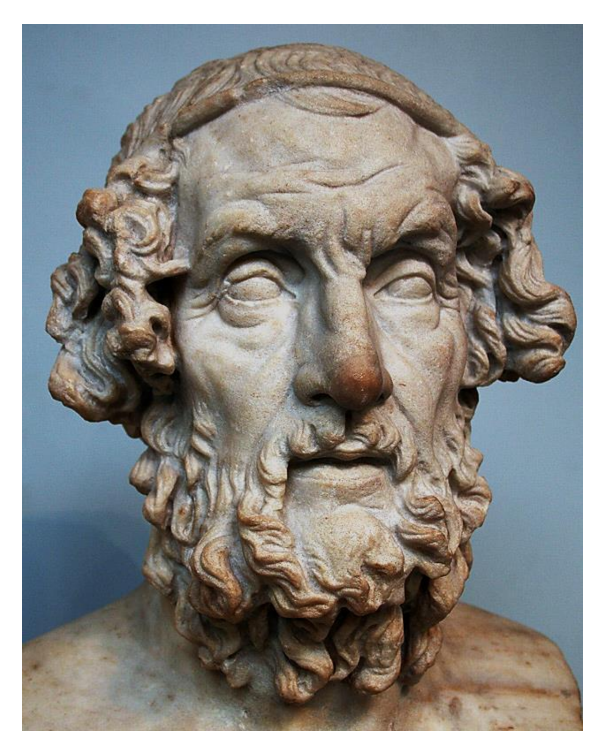
دخل الإغريق طروادة بحيلة ماكرة. لقد صنعوا حصانا خشبيا كبيرا، وملأوه بالجنود المسلحين. تمكنوا بطريقة ما من إدخال الحصان إلى المدينة.



حصان طروادة

عندما حل الظلام وأرخى الليل سدوله، وكان الكل نياما ولا شيء يتحرك، خرج الجنود القابعون في جوف الجواد الخشبي، لكي يضرموا النيران في كل شيء قابل للاشتعال. ثم حطموا البوابات لكي يدخل باقي الجنود اليونانيين، الذين ينتظرون بفارغ الصبر إشارة البدء خارج الأسوار، وهم في أهبة الاستعداد.

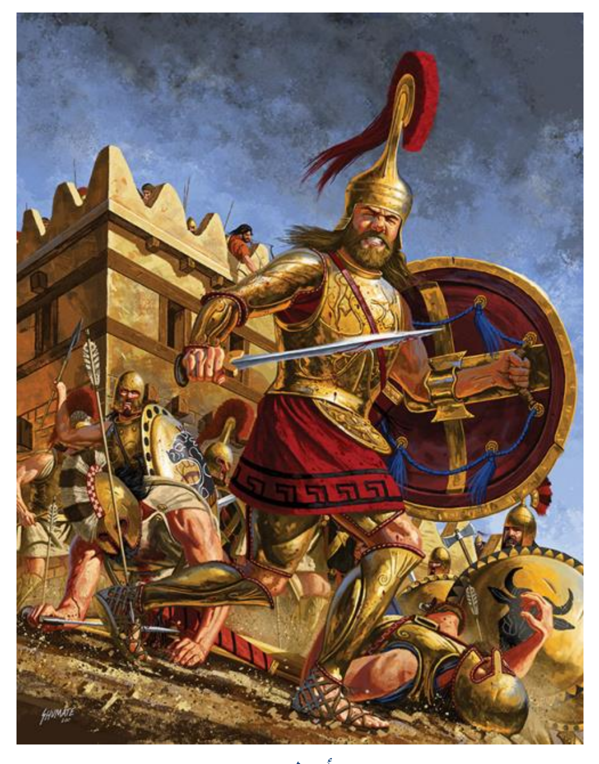
معظم هذه الأحداث، جاءت في ملحمة شعرية من تأليف الشاعر اليوناني هوميروس، وتسمى الإلياذة. تبين كم من الدماء أريقت وكم من الأرواح أزهقت، بسبب حماقة هيلينا وعشيقها لباريس.



هوميروس

هوميروس، الذي عاش 900 سنة قبل المسيح، يقال إنه كان رجلا فقيرا أعمى. يتنقل من مكان إلى آخر، يغني أشعاره على الربابة، وينشرها أينما يذهب.

لكن من هو باريس حبيب هيلينا؟ هذه هي قصته.



أخيل

عندما تزوج بيوليوس، والد أخيل، من والدته، تيس، دعا جميع الآلهة والإلهات إلى حفل زفافه، باستثناء إلهة الخلافات والتنافر. وهذا شيء طبيعي، فمن يريد للخلافات أن تحضر حفل زفاف؟

مما جعلها تغضب بشدة. ولكي تفسد بهجة الحفل، ألقت بين الضيوف بتفاحة ذهبية، منقوش عليها عبارة: "إلى أجملكن". كل إلهة حضرت الحفل، توهمت أنها هي الأجمل بين كل الإلهات، ومن ثم، ستكون التفاحة من نصيبها.

لكنها تفاحة واحدة، ولا يمكن أن تحصل عليها كل الإلهات، لذلك قرر كبير الآلهة جوبيتر حلا للنزاع، أن تذهب جونو ومنيرفا وفينوس، وهن أجمل الإلهات المتنافسات، إلى قمة جبل أيدا، حتى يمكن حسم الأمر نهائيا.

الأمير الشاب باريس، كان يرعى أغنام والده على قمة جبل أيدا. وهي عادة بعض الملوك في الزمن القديم في تربية أولادهم على الخشونة والصبر والجلد.

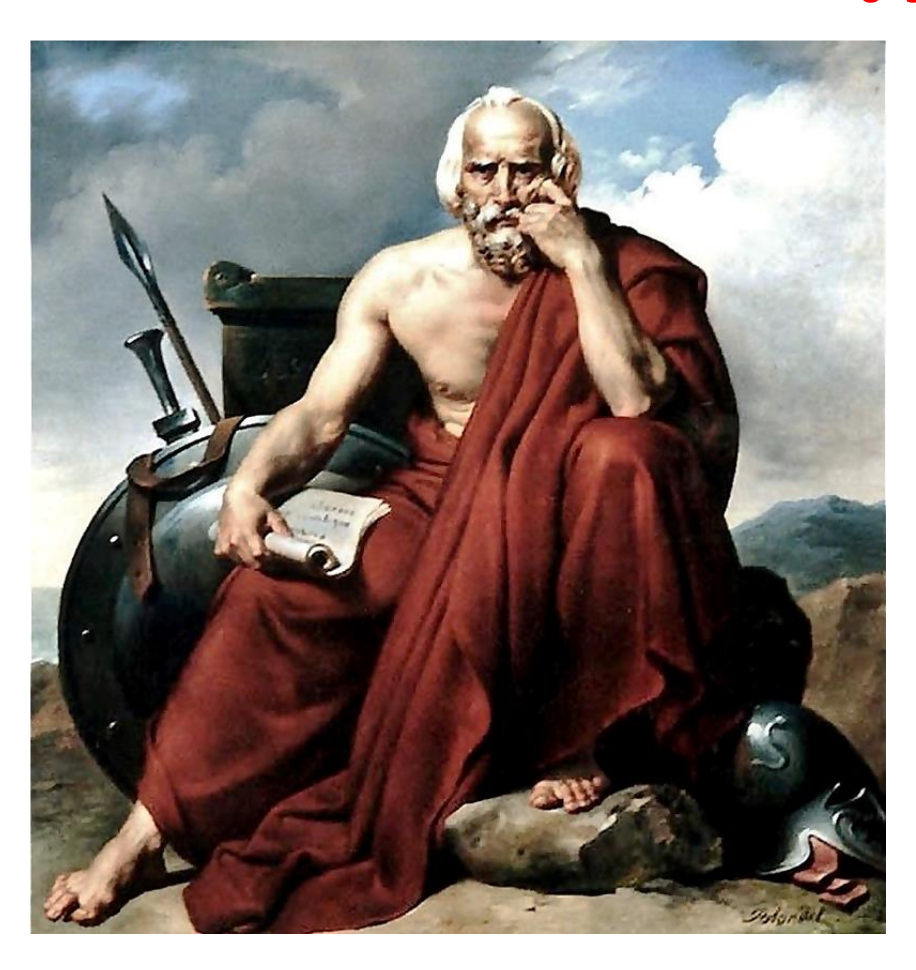
عندما طلب من باريس إعطاء التفاحة الذهبية إلى الأجمل من بين الإلهات الثلاث، بعد بعض التردد، أعطاها إلى فينوس إلهة الحب والجمال.

باريس يعطي التفاحة لفينوس

هذا القرار قد أساء إلى الإلهتين، جونو ومينرفا بالطبع، لدرجة أنهما قررتا معاقبته هو ووالده الملك بريام أشد عقاب. فقامتا بتدبير الأمر له لكي يقع هو وهيلينا في الحب، ويهرب بها إلى بلده طروادة. ثم حثا الأمراء اليونانيين على تدمير طروادة، تحت ذريعة استعادة الأميرة عديمة الإخلاص لبيتها وزوجها. وهذا ما يعرف بكيد النساء. إن كيدهن عظيم.

(02)

ليكورجوس



ليكورجوس

لسنوات عديدة، كان يحكم اسبرطة ملك واحد. بعد ذلك، صار يحكمها اثنان معا. أحد هؤلاء الملوك ترك ولدين، بوليدكتيس وليكورجوس. مات الأول، فأصبح ليكورجوس هو الملك المحتمل. هنا عرضت أرملة أخيه وقد كانت حاملا، أن تسقط حملها إن وعدها ليكورجوس بالزواج منها.

لكن يزدري ليكورجوس الاقتراح غير المشرف، ويرغب في إنقاذ الطفل. فطلب منها أن ترسله له فور ولادته، لكي يتخلص منه هو بنفسه.



موقع أثينا واسبرطة في اليونان

بناء على ذلك، أرسل الصبي فور ولادته إلى عمه. وكان ليكورجوس يتناول العشاء في مأدبة كبيرة، عندما وصله الطفل. أخذه بين ذراعيه، رفعه عاليا بيديه في الهواء حتى يراه كل من بالحفل، وهتف قائلا: "أيها الاسبرطيون! ها هو ملكم فكرموه". ثم أطلق عليه اسم شاريليوس، ويعني "فرحة الشعب".

حكم ليكورجوس المملكة. لكنه وجد البلد مليئة بالحماقة والرذيلة والفساد. لذلك قرر السفر إلى بلدان أخرى لكي يرى كيف تحكم نفسها، ويختار منها أفضل طريقة للحكم.

أثناء رحلاته، سمع أشعار وقصص هوميروس. جمعها بعناية كبيرة، وأخذها معه عندما عاد إلى اسبرطة. أثناء غيابه لسنوات عديدة، كانت الأمور تسير من سيء إلى أسوأ. لذلك شمر عن ساعديه وبدأ في إجراءات إصلاح وتهذيب الشعب. عارض شاريليوس ابن أخيه وشريكه في الملك، بعد أن كبر، هذه الإجراءات في بادئ الأمر، لكنه أقرها ووجدها عظيمة فيما بعد.

بدأ ليكورجوس عمله من خلال إنشاء مجلس شيوخ، مكون من أفضل وأحكم الرجال. لوضع القوانين، والتأكد من تفعيلها والتزام الكل بها. يتألف هذا المجلس من ثلاثين عضوا، منهم ليكورجوس وابن أخيه شاريليوس.

بعد ذلك، قام بتقسيم الأراضي بالتساوي، وتوزيعها بشكل عادل بين كل الاسبرطيين. عندما حاول أن يفعل نفس الشيء بالنسبة للممتلكات الأخرى والأثاث والملابس، قابل مقاومة شديدة من الأغنياء الذين يمتلكون قدرا كبيرا منها.

لذا عمد إلى طريقة أخرى. صادر العملة الذهبية والفضية، وسك بدلا منها عملة مصنوعة من الحديد. العملة الحديدية هي عملة محلية لا تصلح للتجارة في البلدان المجاورة. إذن هي لا تصلح لاستيراد الكماليات والأشياء التافهة، وبذلك يتم إلغاء الترف بين الاسبرطيين.

عملة من الحديد

العمال، أيضا، لا يجري توظيفهم في صناعات عديمة الفائدة. وقتهم كله مكرس لإنتاج أشياء مفيدة وضرورية. لذلك كانت السلع تصنع بدقة وكمال تامين.

ثم أمر ليكورجوس بأن يأكل جميع الأشخاص على الطاولات العامة، وأن يكون الطعام عادي، لا إسراف فيه. هذه التعليمات، أرهقت أغنياء اسبرطة، المهتمين فقط بالأكل والشرب.

لذلك ثاروا على ليكورجوس واعتدوا عليه بالضرب، وفقأ أحدهم عينه بعصا. لم يقم ليكورجوس بعقاب من تجرأ واعتدى عليه، وكان يدعى ألكاندر. بل طلب منه أن يصبح صديقا له.

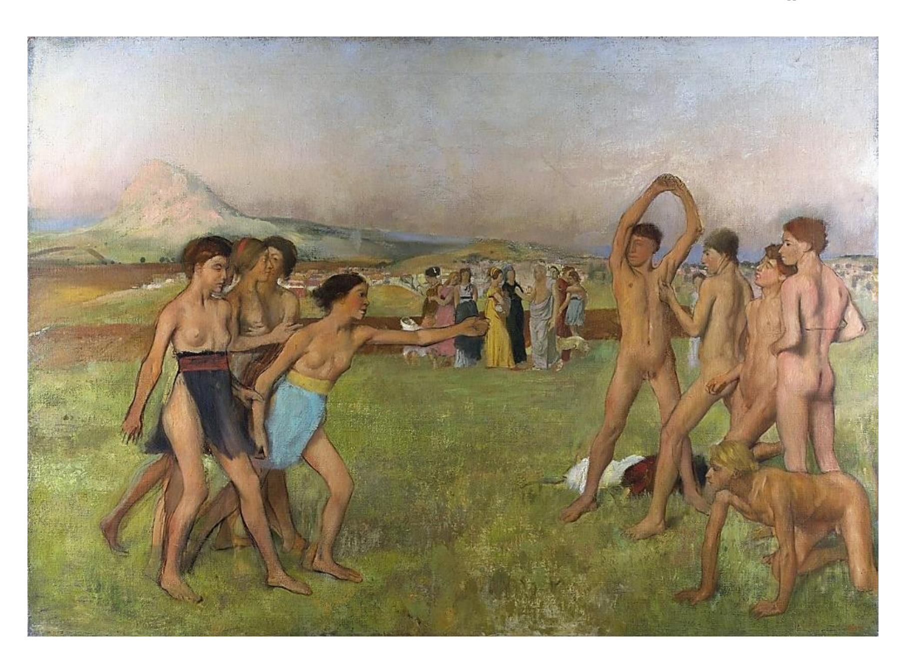
ألكاندر، ذو القلب الطيب، تأثر بسلوك ليكورجوس النبيل معه، لدرجة أنه عقد العزم على أن يكون أكثر امتثالا وطاعة للقانون، وتعلم منه كيف يحكم عواطفه وقت الغضب.

مع مرور الوقت، أصبحت هذه الولائم الجماعية متعة العامة وتسليتها. إننا لا يمكن أن نعجب بما فيه الكفاية من هذه الولائم العامة. الواقف عند الباب يدلك على مكانك قائلا، اذهب إلى هناك ولا تنطق بكلمة واحدة.

لقد أزكت هذه النصيحة الحكيمة، روح الثقة المتبادلة، ومنعت كل الفضائح، والتحريف، والتشوه الأحمق للحقائق.

في مثل هذه الولائم العامة، كان يقدم حساء يسمى المرق الأسود. يتمتع به الاسبرطيون كثيرا. لكن شعوب البلدان الأخرى كانت تعافه، وتعتقد أنه من أردأ الأطعمة مذاقا.

لكن الحقيقة، هي أن الاسبرطيون كانوا أصحاء بدنا، يتمتعون بشهية جيدة. تجعل أي طعام مقبولا ليدهم. عندما تكون جائعا، يمكنك الاستمتاع بأبسط الأكلات، حتى لو كانت سندوتشات فول وطعمية، أو طبق كشري في الشارع من عربية.



تدريب الشباب على الخشونة

كان الأطفال يتعلمون في مدارس عامة عظيمة، وكانوا يدربون على الشجاعة والخشونة. وكان الناس معتادين على الكلام والكتابة بجمل قصيرة بليغة، توصل المعنى إلى المستمع أو القارئ بسهولة.

لاكونيا، هي منطقة في الجزء الجنوبي الشرقي من شبه جزيرة المورة. عاصمتها الادارية هي اسبرطة. كلمة"laconic"، وتعني بليغ، هي كلمة مشتقة من اسم المنطقة. لأن الاسبرطيين قد شاع عنهم أن كلامهم دقيق وموجز. يعني بدون لت وعجن.

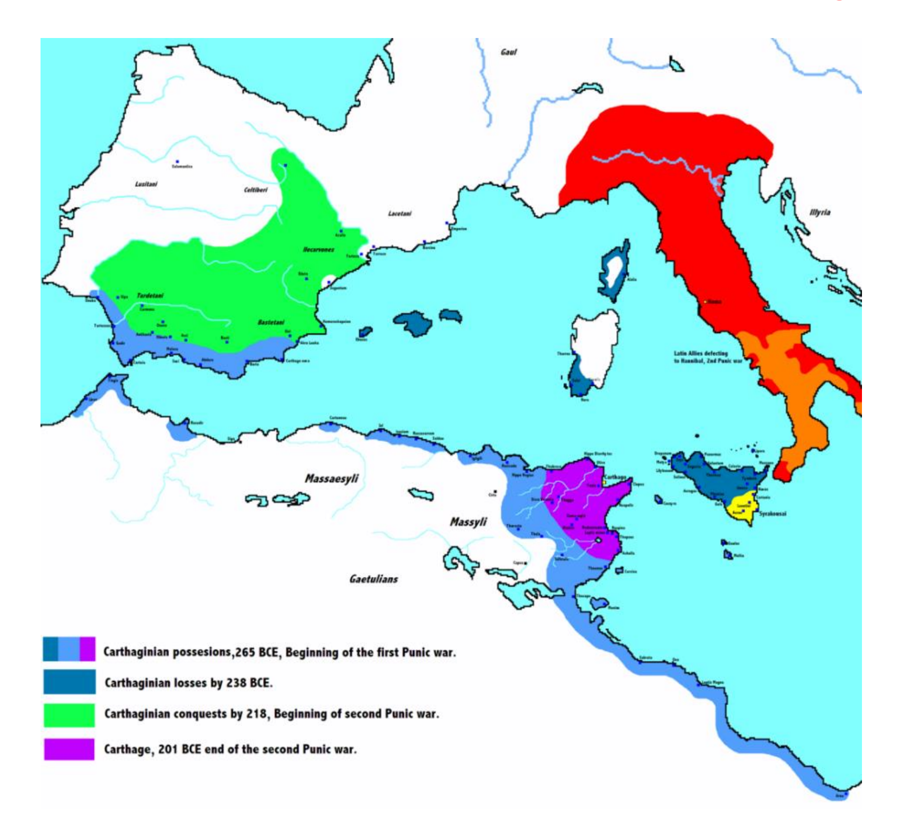


لاكونيا

بعد أن وضع ليكورجوس قوانينه الجديدة، غادر اسبرطة، بعد أن جعل الشعب يقسم رسميا، أنهم سيلتزمون بقوانينه حتى يعود. وبما أنه كان ينوي عدم العودة، كانت هذه هي طريقته في حثهم على الاحتفاظ بقوانينه إلى الأبد.

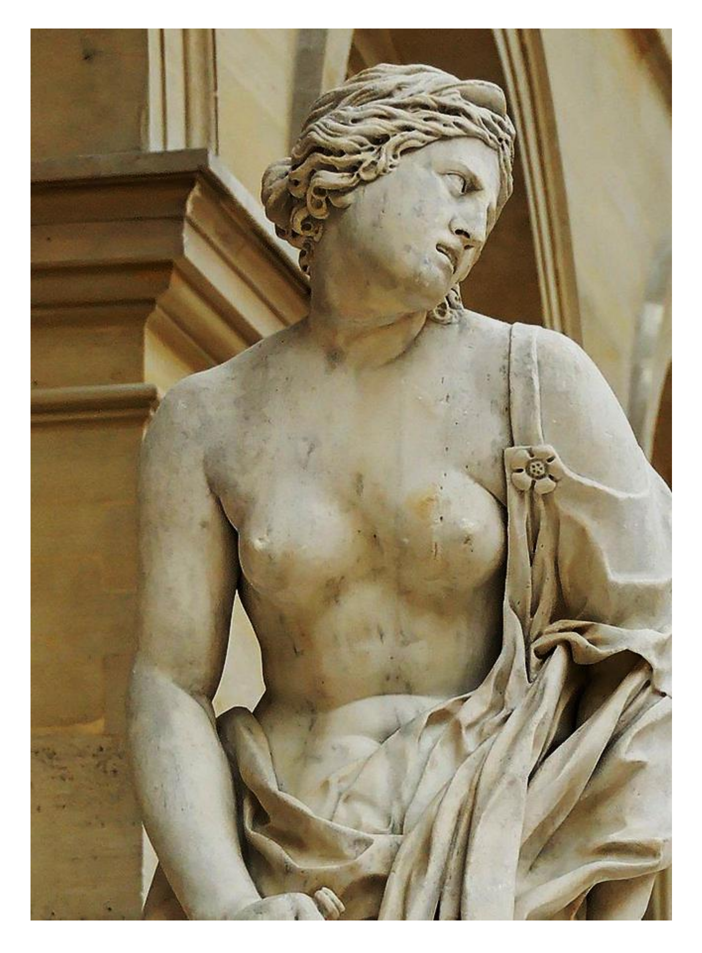
لقد مات ليكورجوس في أرض أجنبية. البعض يقول إنه قتل نفسه. لكن نشك في ذلك، لأنه لم يكن شريرا أبدا. وفاته كانت عام 874 قبل الميلاد. النبي سليمان مات قبله بمائة سنة.

ديدو وانياس



قرطاجة

يقال إن مدينة قرطاجة الرائعة، كانت تقع في أفريقيا. تم بنائها قبل حرب طروادة؛ لكن إذا كان الأمر كذلك، فمن المؤكد أنه تم توسيعها وتحسينها على يد الملكة ديدو.



ديدو أو إليسا

في الوقت الذي توفي فيه ليكورجوس، كانت ديدو أو إليسا، كما يطلق عليها أحيانا، تحت حكم أخيها الطاغي بيجماليون. عندما قتل بيجماليون زوجها سيكوس، فرت ديدو مع مجموعة ثوار من بلدها صور في لبنان، لكي تستقر على الساحل الأفريقي، بالقرب من مدينة تونس حاليا.

هناك ساومت على شراء أرض، تقاس مساحتها، بأكبر مساحة يمكن أن تحيط بها شرائح طولية لجلد ثور. (يقطع جلد الثور إلى شرائح طولية، ثم

توصل ببعضها لكي تكون شريحة طولية واحدة تحيط بالأرض). في سوريا، يسمى الثور فدانا. والفدان مساحة أرض تعادل 4200 متر مربع.

لقد كتب فيرجل قصيدة ساحرة، اسمها الإنيادة، عن ديدو وانياس. هذه هي أصل الحكاية:



انياس يهرب من طروادة وهو يحمل والده

لقد سقطت طروادة بعد حصار استمر عشر سنوات من قبل الإغريق. كان من بين من هربوا منها، في ذلك اليوم الدموي، الأمير انياس. لقد فر مع والده أنشيس وابنه أسكانيوس، وعدد قليل من أتباعه، عن طريق البحر.

كان انياس ورهطه، مدفوعين لفترة طويلة برياح معاكسة؛ أخيرا، ألقت بهم المقادير والعواصف العاتية على ساحل أفريقيا، بالقرب من مدينة قرطاجة. استقبلتهم الملكة ديدو بلطف وكرم زائدين، وأعطتهم الطعام والكساء، مما جعل انياس يقع في حبها.

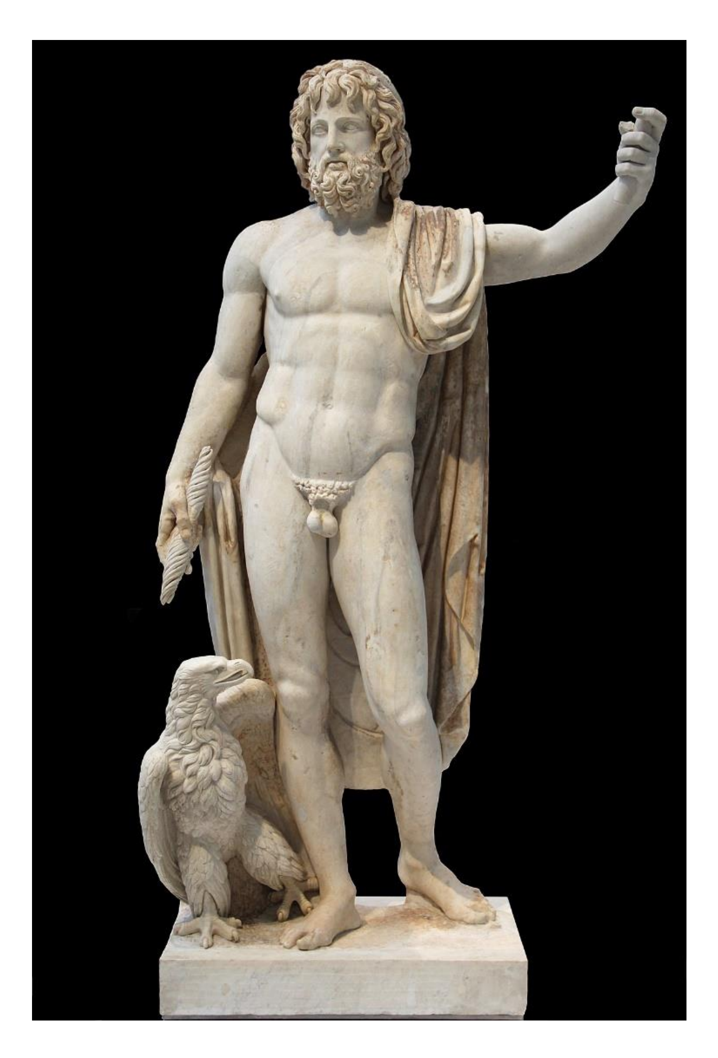
هو أيضا سرعان ما اكتسب حب الملكة، وعاش معها في سعادة غامرة لعدة أشهر. لكن انياس قد أصابه الملل، أو وخز الضمير، الذي يوحي له بأنه يعيش حياة خاملة غير مجدية.

بالرغم من الصلوات والدموع من الرقيقة المخلصة ديدو، التي فعلت الكثير له، هو وأتباعه. ورفضها الزواج من ملك عظيم لأجله، إلا أن انياس، الخائن قليل الأصل، قد فرد أشرعته، وعجل بالسفر بعيدا عن قرطاجة وعن المسكينة ديدو.

لم تتحمل ديدو، كسيرة القلب، جحوده وهروبه. لذلك عقدت العزم والنية على قتل نفسها. عملت كومة عالية من الخشب، وصعدت فوقها. ثم طعنت نفسها، ليتم حرق جسدها إلى رماد.

ظل يحتفل بمدينة قرطاجة لمدة طويلة، كرمز للتجارة والثروة. فقد كانت تقع في مساحة محيطها 23 ميلا. كانت لها حديقة رائعة وقلعة عظيمة. وبالرغم من أنها كانت واحدة من أرقى المدن في العالم القديم، إلا أنها اليوم، غير موجودة، ومن الصعب التعرف على مكانها السابق.

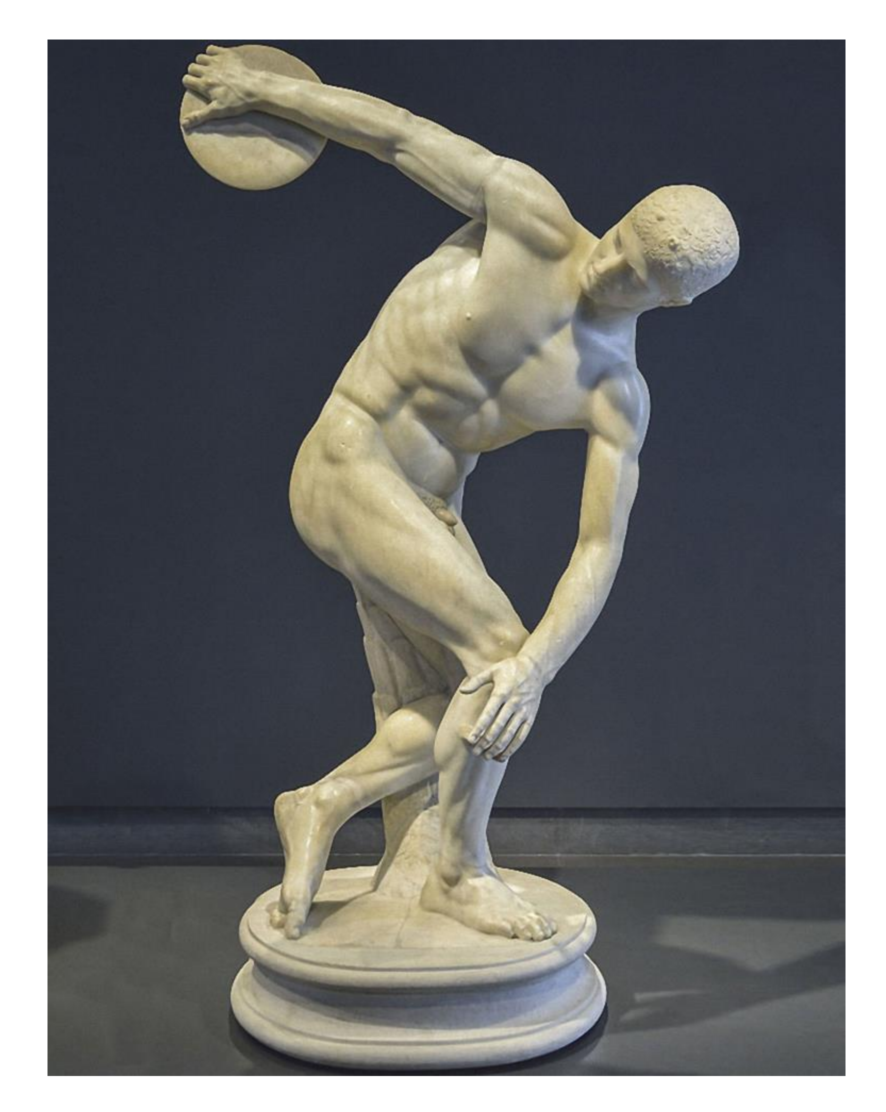
الأولمبياد



الإله جوبيتر

كل أربع سنوات، في مدينتي أولمبيا، أو بيزا، اليونانيتين، كان يتم الاحتفال ببعض الألعاب العامة، تكريما للإله جوبيتر (زيوس). كانت هذه

الألعاب تتكون من سباق العربات، الخيل، المصارعة، الملاكمة، رمي القرص، رمي الجلة، الجري، التتابع، إلخ.



رمي القرص

وكان الملاكم يرتدي قفازا من جلد الثور، والمصارع يصارع عاري الجسد بدون ملابس بعد أن يدهن جسمه بالزيت أو الشحم، حتى لا يستطيع الخصم الإمساك به.

كانت جائزة المنتصر، إكليلا بسيطا من غصون الزيتون البري؛ حتى يبدون أنهم قد تقاتلوا من أجل المجد والفخار، وليس من أجل الغزو ونهب الثروات.

كان الفائزون موضع حديث كل مدن اليونان والدول المجاورة. وكان الشباب يأتون من جميع البقاع والبلاد للمنافسة في هذه الألعاب. قبل البدء، يخضع المشاركون لتمرينات شاقة، حتى يصبحون في لياقة بدنية عظيمة تساعدهم على الفوز.

لم يسمح للنساء بالاشتراك أو المشاهدة. في الواقع، قلة هن اللاتي كن يرغبن في ذلك. كانت هناك امرأة، رغبت ذات مرة في مشاهدة ولديها وهما يتنافسان. فتخفت في زي الرجال واختلطت بحشود المتفرجين.

حدث أن فاز ابناها وتم إعلان ذلك. من فرط سعادتها، نسيت حصافة المرأة، وخلعت ملابس الرجال وتركت مقاعد المتفرجين. ثم قفزت من فوق الحبال التي تفصل اللاعبين عن الجمهور.

لتعلن بكل فخر أنها امرأة أم الأبطال، وسط اندهاش الناس. لكن، بسبب جدارة الأبناء وتميزهم، تم العفو عن خطأ الأم. بعد ذلك الحدث، استخدمت إجراءات أكثر صرامة لمنع دخول الإناث.

تأسست الألعاب الأولمبية لأول مرة حوالي عام 1453 ق م. وبعد أن فتر الاهتمام بها، عادت لسابق عهدها عام 1307 ق م. لكن الأولمبياد الأكثر شهرة، أقيم عام 776 ق م.

روما

هناك العديد من الروايات تحكي كيف بنيت مدينة روما. أكثرها طرافة وغرابة وقبولا، هي الحكاية الآتية:

بعد سقوط طروادة وهروب انياس من قرطاجة، رسا هو ورهطه على ساحل إيطاليا. هناك، تزوج وبنى مدينة. حكمها هو وأولاده من بعده لسنوات عديدة.

نوميتور، هو الملك الخامس عشر من سلالة انياس. أطاح به شقيقه أموليوس، وقام بقتل ابنه. ثم أجبر ابنته، ريا سيلفيا، على أن تكون راهبة من راهبات فيستا. بمعنى أنها تحرم من الزواج والإنجاب.

ريا سيلفيا، حدث أن ولدت ابنين توأم. حالما سمع أموليوس عن ولادتهما، أمر بدفن ريا حية، وإلقاء طفليها في نهر التيبر.

وضع الطفلان البائسان في سلة، تركت لتطفو على سطح اليم. عندما يرتفع النهر، قد يحملها بعيدا، أو يغرقها الموج. إلا أن السلة قد طفت

ورست على شاطئ النهر. ثم أتت ذئبة لكي ترضعهما وتربيهما مع جراءها (جمع جرو).



رومولوس وريموس والذئبة

كبر الطفلان وصارا شابين قويين جريئين. أطلق عليهما اسمي رومولوس وريموس. كان يرعيان الأغنام. لكنهما في نفس الوقت، مولعان بصيد الوحوش البرية. عندما علما بأصلهما وفصلهما، وما حدث لهما ولوالدتهما، وأنهما أحق بحكم البلاد، جمعا أصدقاءهما وقاتلا عمهما الشرير وقتلاه.

ثم أحضرا جدهم القديم نوميتور، لكي يسترد عرشه بعد اثنين وأربعين عاما في المنفى. لقد كان سعيدا حقا بالعودة الى تاجه، وفخورا بشجاعة أحفاده.

بعد ذلك، أقنع رومولوس وريموس، جدهما ببناء مدينة جديدة. إلا أنهما اختلفا أين تقع، وعلى أية بقعة تبنى. هنا نصحهم نوميتور باستشارة الطير. وهي عادة أهل زمان في ذلك الوقت لحسم الأمور.

عندما يختلف الناس ويشد الخطب، ويقرروا تسوية الأمر سلميا، يختارون مواقع هبوط الطير على التلال. الموقع الذي يحصل على عدد أكبر، هو الفائز.

رأى ريموس ستة نسور على تله، بينما رومولوس قد رأى ضعف هذا العدد. قال ريموس أنه هو الفائز، لأن طيوره ظهرت قبل طيور أخيه. بينما أصر رومولوس على أنه هو الفائز، لأن طيوره أكثر عددا.

الخلاف بالكلمات تحول خلاف باللكمات. أثناء هذا الشجار، قتل رومولوس أخيه ريموس. الآن أصبح وحده في سن الثامنة عشر. لكي يبني ويرسي قواعد مدينة روما. التي أعطتنا القانون الروماني. لذلك اشتق اسمها من اسمه، رومولوس.

بنيت مدينة روما على شكل مربع، واحتوت على ألف منزل. بعض القوانين التي سنها رومولوس، كانت ممتازة. كان لديه مجلس شيوخ،

مكون من مائة عضو، لمساعدته في الحكم. كانوا يسمون "باتريه" وتعني آباء. أما الناس العاديين، فكانوا يسمون "بليبيان"، وتعني العوام.

كان الرومان لديهم كهنة لأداء الاحتفالات الدينية. وكان لهم جيشا، يتألف من الخيول والجنود. يجندون بأعداد كبيرة من رجال المدن الصغيرة القريبة من روما.

في الوقت الذي تأسست فيه روما، عام 753 ق.م، غيرت اسبرطة شكل حكومتها. بدلا من ثلاثين عضوا في مجلس الشيوخ، كان لديها خمسة قضاة فقط.

03

اغتصاب نساء سابين



اغتصاب نساء سابين

لا نعرف سبب نقص النساء في روما في زمن رومولوس. ربما بسبب مرض غامض أصاب النساء، أو غضب من الآلهة، أو شيء آخر من هذا القبيل.

لعلاج الأمر، أرسل رومولوس، حاكم البلاد، إلى المدن المجاورة، يرجو ويطلب الإذن لشباب بلده بالزواج من عذارى بلادهم. غير أن طلبه قد قوبل بالرفض التام. لم يقابل رومولوس الرفض بروح رياضية. وصمم على تحقيق طلبه بالعافية، مادام الذوق والأدب لا ينفع مع هؤلاء الأقوام.

في يوم معين، أعلن رومولوس عن إقامة مهرجان كبير، تقام فيه ألعاب وعروض ومسرحيات وطبل وزمر وجوائز في مدينته، روما. والدعوة عامة لكل عائلات المدن المجاورة.

بدأت الحشود تتوافد فرادا وزرافات للمشاهدة والاشتراك في المهرجان الكبير في اليوم الموعود. منهم كل عائلات سابين. بينما الكل مشغولا بالعروض والألعاب الرياضية والأنشطة المختلفة، وبعد إطلاق إشارة معينة، انقض شباب روما المتعطش للحب، على ضيوفهم الغرباء، وهرب كل شاب منهم بعذراء وجدها الأكثر جمالا.

بالطبع دي حركة ليست ظريفة من رومولوس. آباء الفتيات المخطوفات كانوا غاضبين جدا. بحثوا عن بناتهم دون جدوى. ثم غادروا المدينة يائسين. وهم يسبون ويلعنون، متعهدين بالانتقام من الرومان الغدارين. الذين لم يراعوا جيرة أو أصول ضيافة، وقاموا بفعل شنيع لا يمكن تبريره.

قامت حرب بسبب هذا الحادث، بين السابين والرومان. والتقى الجيشان. كل منهم عاقد العزم والنية على النصر أو الموت. وقبيل بدء المعركة،

هرعت النساء، اللواتي كن السبب في هذا العداء، تطلقن شعورهن، وتمزقن ثيابهن، أمام القوات المنتظرة إشارة البدء للقتال.

حاول بعضهن تليين قلوب أزواجهن؛ وأخريات حاولن إذابة قلوب آبائهن وإخوتهن. لقد بكين، توسلن، ورجون. ثم أعلن أنهن قد تزوجن وكن يعاملن بلطف شديد من أزواجهن. إنهن هنا من أجل إحلال السلام بين الأقارب القريبين والأهل الأعزاء.

لقد تحققت صلواتهن، ووافق السابين أخيرا على الصفح والغفران ومسامحة الرومان. وكان الرومان على استعداد أيضا للمصالحة مع السابين، الذين شعروا بالإهانة. ثم عاشت الأمم في حب ووئام لسنوات عديدة. وحل السلام، وتم الحفاظ عليه، وهو صرح المرأة الحقيقي.



سيراكيوز في صقلية

في زمن رومولوس، حوالي 732 ق م. غزت مستعمرة من كورينث، وهي مدينة في اليونان، جزيرة صقلية، ووضعت هناك أسس مدينة سيراكيوز.

بعد أن جلب رومولوس إلى مدينته القوة والعظمة والرفاهية، توفي. خلفه "نوما بومبيليوس"، من السابين بلد البنات الحلوين، وكان هو الملك الثاني لروما. قيل إن رومولوس قد مات مقتولا، وقيل أيضا أنه صعد حيا إلى السماء.



مدينة روما

أما بالنسبة لنوما، فقد كان رجلا حكيما فاضلا، يعيش سعيدا قانعا في خصوصيته. عندما عرض عليه عرش روما، رفضه. وبعد أن ألح عليه أصدقاؤه مرارا وتكرارا، قبله على مضض، من أجل الصالح العام.

لقد أثبتت الأيام أن نوما، المواطن البسيط، هو أيضا ملك متميز. حكم روما لمدة 43 عاما في سلام ووئام. وبذل كل ما في وسعه للعناية بعمائر روما وشوارعها، وتحسين أحوال سكانها.

أثينا كانت المدينة الأكثر شهرة في اليونان. واليونان مساحة كبيرة من البلاد في الركن الشرقي من أوروبا، كانت مغطاة بالمدن. لكل منها أراضيها وملكها. منها، اسبرطة، كورينث، أرجوس، وأثينا وغيرها. أثينا وما حولها من قرى وأراض، تسمى أتيكا، وهي مملكة أوديسيوس بطل الأوديسة.



أثينا واسبرطة

ثيسيوس

كان ثيسيوس، ابن أيجوس، أكثر ملوك أتيكا شهرة. حكم هناك قبل حرب طروادة.



ثيسيوس يقتل المينوتور

عندما كان شابا، كان من العادات في أثينا إرسال سبعة شبان وسبع عذارى إلى مينوس، ملك كريت، كنوع من الجزية. يقال إنه يضع هؤلاء

الضحايا في مكان يسمى متاهة، لكي يلتهمهم وحش، مينوتور، في شكل نصف رجل ونصف ثور. المتاهة، من يدخلها لا يستطيع الخروج منها.

كان يحدث ذلك مرة كل عشر سنوات. وكان الشباب الفقراء يختارون بالقرعة. عندما حان وقت تقديم القرابين لثالث مرة، تقدم الأمير ثيسيوس، وعرض نفسه طواعية كأحد الضحايا.

لم يوافق الأب، الملك أيجوس، بالتضحية بابنه في بادئ الأمر، إلا أنه رضخ أخيرا لرغبة ابنه وإصراره على الذهاب مع الفتيان والفتيات لمجابهة الوحش المخيف.

السفينة التي حملت الضحايا التعساء كان لها شراع أسود. وعد ثيسيوس والده أيجوس، في حالة انتصاره على الوحش، أن يبدل شراع السفينة بشراع أبيض، كرمز للانتصار والعودة سالمين.

عندما وصلت السفينة إلى كريت، وقعت عذراء شابة تدعى أريادني في حب ثيسيوس، وأعطته خريطة للمتاهة، وبكرة خيط، تساعده على الخروج منها.

دخل ثيسيوس بشجاعة المغارة، وقتل الوحش. تتبع الخيط وخرج سالما هو وباقي الشبان والشابات. ثم أخذ من تم إنقاذهم وأريادني معه، وأبحر عائدا إلى أثينا.



ثيسيوس وأريادني والخيط

عندما اقتربت السفينة من أتيكا، كانوا جميعا في نشوة فرح وسعادة غامرة، أنستهم تماما رفع الشراع الأبيض. الملك أيجوس، كان يراقب بفارغ الصبر السفينة وهي تقترب.

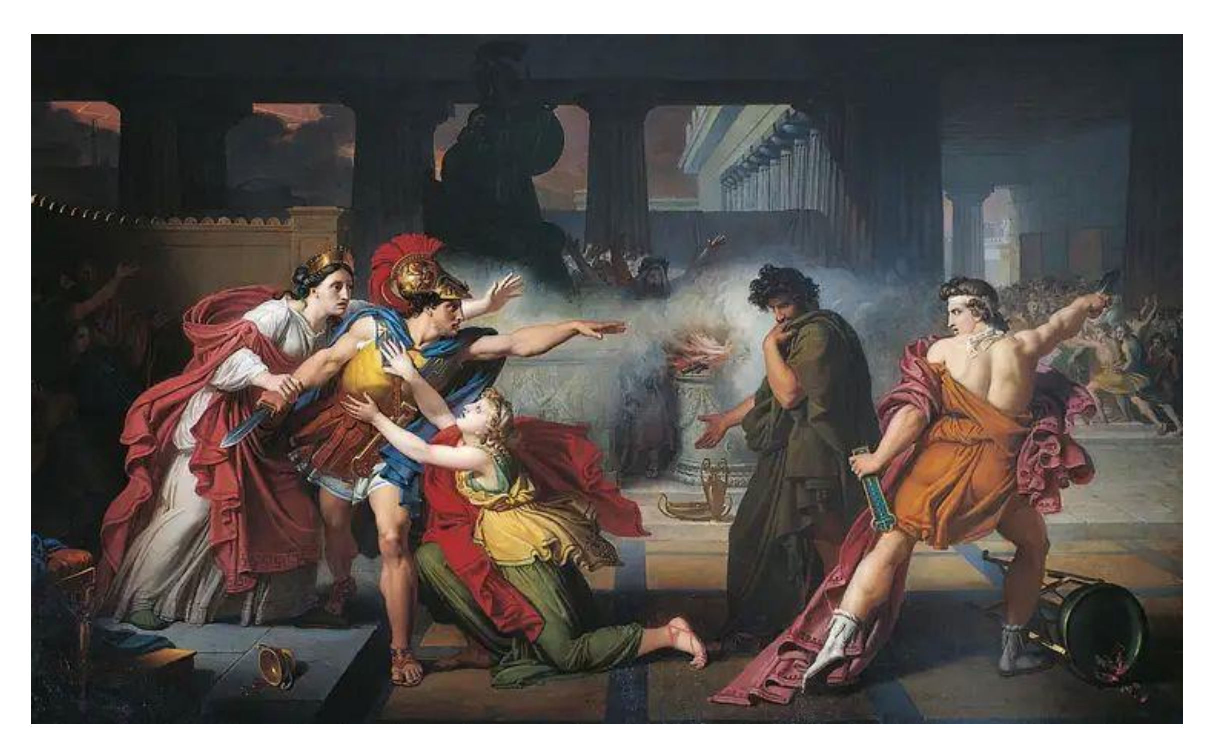
عندما رأى أيجوس الشراع الأسود، اعتقد أن ابنه قد مات. فرمى نفسه، من شدة الحزن، من فوق تلة عالية ليسقط فوق الصخور ويلقى حتفه. خطآن كبيران تسببا في هذه الكارثة المحزنة: عدم الوفاء بالوعد، والتعجل بالحكم على الأمور قبل التحقق منها.

أصبح ثيسيوس الآن ملكا على أثينا. هو أحكم وأنزه من رأتهم البلاد من حكام. أعلن لشعبه أنه لا يبغي حكمهم. الناس يجب أن تحكم نفسها بنفسها حتى يتساوى الجميع.

ترك ثيسيوس حكم أثينا وأسس كومنولث. ثم أقام مجلسا نيابيا يجتمع فيه الناس للمناقشة وتبادل الآراء وأخذ القرارات بالتصويت. اكتفى بمنصب القائد الأعلى.

أصبح سكان مدينة أثينا، دون باقي سكان مدن العالم القديم، هم

الوحيدون الذين يحكمون أنفسهم بأنفسهم. وهم الأسعد والأكثر حرية ورخاء وازدهارا بين باقي البشر.



ثيسيوس وحرب السبعة ضد طيبة

أثناء حرب السبعة ضد طيبة، عندما رفض أهل طيبة المنتصرون دفن جثث أعدائهم، استنجد المهزومون بالبطل ثيسيوس والأثينيين. وهم واثقين من أن أثينا الحرة تحت قيادة عظيم مثل ثيسيوس لن تقبل أبدا انتهاك حرمة الأموات ومعاملتهم بمثل هذه القسوة.



نساء الأمازون المقاتلات

ذهب ثيسيوس إلى نساء الأمازون المقاتلات. البعض يقول بأنه أخذ معه البطل هرقل، وآخرون يقولون بأنه ذهب إليهن وحده. عاد بواحدة منهن اسمها أنتيوبي أو هيبوليتا.

جاءت نساء الأمازون المقاتلات إلى أتيكا لنجدة هيبوليتا. أتيكا هي البلد التي تحيط بمدينة أثينا. في ذلك الوقت، أنجبت هيبوليتا من ثيسيوس ابنا أسمته هيبوليتوس. لكن جيش الأمازونات أصيب بالهزيمة، ولم يستطع أي جيش دخول أتيكا أثناء حياة ثيسيوس.

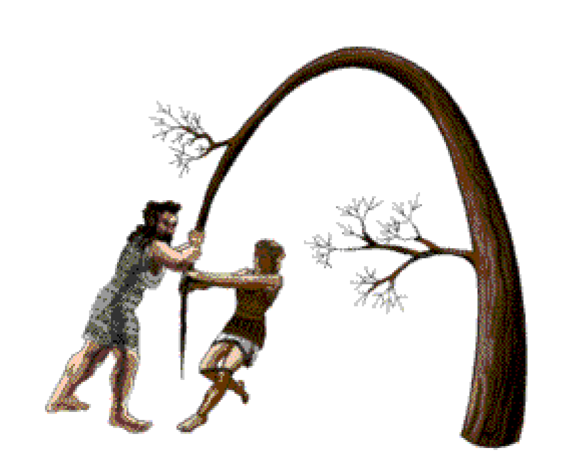


ثيسيوس و هيبوليتا

قصص كثيرة من هذا النوع تبين لنا خلق بطل أثينا العظيم ثيسيوس. منها:


شيرون

قاطع الطريق شيرون الذي كان يجبر ضحاياه على الانحناء لغسل قدميه، ثم يقوم بركلهم لكي يسقطوا من حافة الجبل إلى البحر، قام ثيسيوس بإلقائه إلى الهاوية لكي يلقى حتفه.


سينيس

المفتري سينيس، الذي كان يقتل المارة بربط كل منهم في شجرتي صنوبر بعد ثنيهما إلى الأرض، ثم يتركهما لكي يقوما بتمزيق الضحية وقتلها شر قتلة، قام ثيسيوس بربط سي نيس في شجرتين وقتله بنفس الطريقة التي كان يقتل بها ضحاياه .



بروكرست

الحداد والمجرم بروكرست، كان يقبض على المارة ويضعهم بالطول فوق سريره الحديدي. ثم يقوم بقطع أرجل الضحية، إن كانت طويلة، أو شدها من رأسها ورجليها بآلة خاصة، إن كانت قصيرة، حتى يجعل طول الجسد مناسبا لطول السرير. قتله ثيسيوس بنفس الطريقة، وكان الجزاء من جنس العمل.

بعد ثيسيوس، حكم العديد من الملوك في أثينا: آخرهم، كودروس، يستحق الذكر. قيل له إن أثينا لن تزدهر حتى يموت ملكها على يد عدو. فذهب مباشرة متنكرا إلى معسكر العدو، وافتعل شجارا مع أحد الجنود، عامدا لإثارة حماسه حتى يقتله، وقد كان له ما أراد.

الهوراتي والكورياتي

كان الرومان يحاولون النصر دائما بكل الوسائل المتاحة لهم، سواء كانت قوة السلاح أو المخططات البارعة، للتوسع وفرض سيطرتهم على الدول الأخرى.

أرسل الملك الروماني، تولوس هوستيليوس، تحت ذريعة أن فلاحي أمة ألبا لنجا المجاورة قد نهبوا رعاياه، رسالة يطالبهم باسترداد البضائع المنهوبة. كان يعلم أن الألبان سيرفضون، لأن الرومان قد نهبوهم سابقا. وما فعلوه كان مجرد رد فعل.

لذلك قامت الحرب بين البلدين. وكما يرويها ليفي عن تاريخ روما، اجتمعت الجيوش المتحاربة، قدم جنرال من ألبا، ميتيوس، اقتراحا يحقن الدماء، ويقدم طريقة أخرى لتسوية النزاع.

حدث أن في كل جيش، كان يوجد ثلاثة إخوة توأم. أولئك الذين على الجانب الروماني كانوا يسمون هوراتي، وأولئك على الجانب ألباني، كورياتي. اقترح القادة على هؤلاء الشبان القتال حتى الموت، كل لبلده. والفريق المنتصر، يكون قد حصل على النصر لأمته. وتم عقد معاهدة بين الجيشين بهذا المعنى. وهي أقدم معاهدة سجلت في التاريخ.



الهوراتي الثلاثة يقومون بأداء القسم

حارب كلا الجانبين بشجاعة نادرة. أصاب الرومان الهوراتي، الكورياتي الثلاثة بجروح. لكن أثناء القتال، قُتل اثنان من الرومان . ترك شقيقهما بوبليوس وحده محاطًا بالألبان الثلاثة.

أدرك بوبليوس أنه لم يعد لديه أية فرصة ضد أعدائه الثلاثة معًا. لذا بدأ يركض عبر ساحة المعركة بدلًا من المواجهة. طارده الألبان، كل منهم بالسرعة التي سمحت بها إصاباته. كان هذا بالضبط ما يريدهم أن يفعلوه.

بعد أن ركضوا بعيدًا، احتار الألبان الثلاثة وانفصلوا عن بعضهم البعض. نجحت خطة الروماني. ثم استدار وشن هجومًا شرسًا على الكورياتي الأول، الأقل إصابةً، وقتله.

بدأ المتفرجون الرومان، الذين كانوا متأكدين من الهزيمة، قبل لحظات، يهتفون بحماس، بينما الألبان يصيحون في الكورياتي الاثنين للتعاون في مواجهة هجوم بوبليوس.

لكن قبل أن يتمكنوا من ذلك، قبض الروماني على الألباني الثاني وقتله على مرأى شقيقه العاجز. استُنفد الكورياتي الأخير جسديًا من جروحه ومطاردته. هنا، غرز الروماني سيفه في حلق الألباني وأرداه قتيلا. ثم أخذ دروع أعدائه القتلى كغنائم انتصاره. الحكمة هنا هي فرق تسد.

دراكو



المشرع دراكو

كان أهل أثينا يرغبون في قوانين مكتوبة. حتى يكون الحكم أكثر ثباتا وسهولة. لذلك طلبوا من دراكو، وهو رجل حكيم وصادق، كتابة مجموعة قوانين تناسبهم.

فعل دراكو ذلك. وكانت هذه أول القوانين المكتوبة، التي سجلها التاريخ. لكنها كانت قاسية. جرائم تافهة جدا، كانت عقوبتها الإعدام. هذا يعني أن دراكو، لم يكن لديه الرحمة أو الحكمة. القوانين هدفها منع الجرائم.

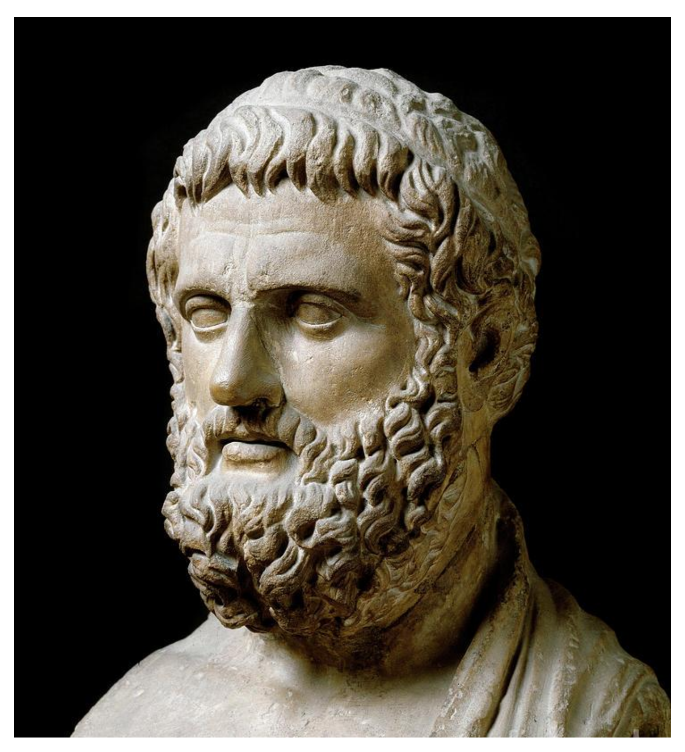
الشخص الذي يعاقب باعتدال على جريمة صغيرة، من السهل تقويمه وتحويله إلى إنسان فاضل.

كانت قوانين دراكو قاسية جدا، لدرجة أن أحدا لم يرد تطبيقها. النتيجة، هي أن ساءت الأمور في أثينا، وبدت كأنها كانت بدون قوانين. لأن الفوضى سادت بها والهلع لسنوات عديدة.

بعد مائة وخمسين عاما من وفاة دراكو، اختار الأثينيون سولون رئيسا لهم. ثم طلبوا منه عام 594 ق م، تعديل قوانين دراكو، ووضع قوانين جديدة عادلة.

(04)

سولون



سولون

كان سولون أحد الحكماء السبعة في اليونان. وكان كرويسوس، ملك ليديا في آسيا الصغرى، غنيا جدا. يضرب به المثل في الثراء، ويقال ثري مثل كرويسوس. ربما يكون هو قارون في الكتب المقدسة.

عرض كرويسوس ثروته على سولون، ثم سأله، هل من يملك مثل هذه الثروة يكون أسعد الناس؟

أجاب سولون: "لا، أنا أعرف رجلا أسعد منه حالا. إنه عامل بسيط، لديه ما يكفيه."

فوجئ الملك بإجابة سولون، لكنه سأله سؤال آخر: "من يلي هذا الرجل في السعادة؟"



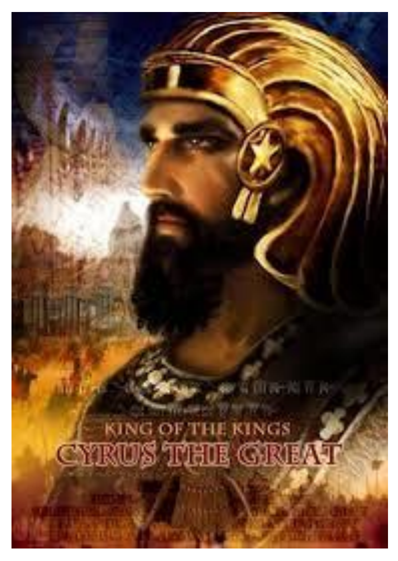
كرويسوس، ما هي السعادة؟

كانت إجابة سولون: "هما ابنان فاضلان كانا يقومان بواجبهما نحو والدتهما."

تعجب كرويسوس وقال معاتبا سولون: "هل تعتقد أنني غير سعيد؟"

أجاب سولون: "لا يمكن الحكم على أحد بأنه سعيد أو لا إلا بعد وفاته".

بعد ذلك، تم أسر كرويسوس من قبل قورش (سيروس). بينما كان على وشك الحرق، تذكر الحوار بينه وبين سولون. فصرخ قائلا: "صدقت يا سولون! سولون!".



قورش الأكبر

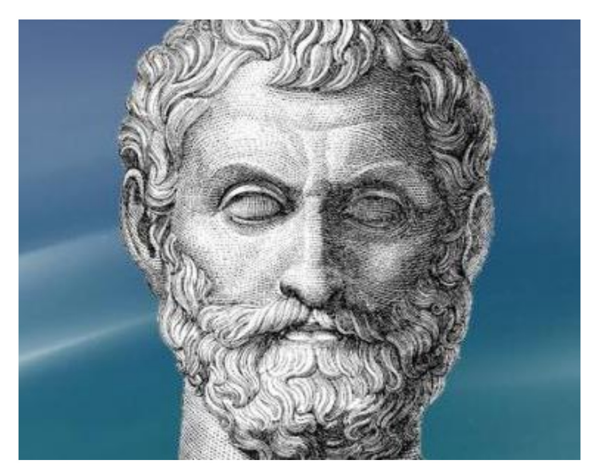
سمعه قورش. تعجب وطلب استفسارا.
عندما علم بحكمة سولون، أمر بالعفو عن كرويسوس، والعمل بحكمة سولون. بذلك يكون الفيلسوف سولون، قد أنقذ حياة ملك، وأفاد بحكمته ملكا آخر.

أول شيء فعله سولون، عندما اعتلى الحكم، هو إلغاء قوانين دراكو. أي إعلان أنها لم تعد ملزمة. بعد ذلك، سعى إلى التقارب بين الطبقات، ومساعدة الفقراء وإعطائهم بعض السلطات.

ثم أعاد تأسيس المجلس الأرستوقراطي (أريوباجوس) على أسس سليمة، بعد شكله السابق، وقصر أعضائه على القضاة والمديرين سابقا. مما أعطاه سمعة طيبة واحتراما كبيرا. اسم المجلس مشتق من اسم تلة بالقرب من المدينة تسمى تلة المريخ (أيرس تعني مريخ).

كانت القوانين التي وضعها الحكيم سولون، كلها مفيدة، معقولة، والعقوبات خفيفة، يمكن تطبيقها بسهولة. لذلك تم الامتثال لها وتنفيذها بإخلاص. مما تسبب في تحسين أحوال سكان المدينة، وانتشار الحكمة والفضيلة بينهم.

كان سولون صديقا حميما للفيلسوف طاليس، أكثر الحكماء اليونانيين السبعة شهرة. وكان طاليس من أصل فينيقي (بلاد الشام حاليا). انتقل والديه إلى مالطة، وهي بلدة من أيونيا، حيث ولد هناك عام 643 ق م.



طاليس

الحكماء السبعة هم: طاليس، سولون، بيتاكوس، بيرياندر، بياس، كليوبولوس، شيلو. كانوا معاصرين عاشوا بين 665 و542 ق م.



الحكماء السبعة

طاليس

مثل فلاسفة آخرين، سافر طاليس بحثا عن المعرفة في بلاد خارج وطنه. زار كريت، فينيقيا، ومصر. هناك تعلم على أيدي الكهنة الهندسة، الفلك، والفلسفة. في المقابل، أراهم كيف يحسبون ارتفاع الهرم عن طريق قياس طول ظله على الأرض، واستخدام حساب المثلثات.



مالطة جنوب صقلية

عند عودته إلى مالطة، كانت سمعته قد سبقته وبلغت الآفاق. لأنه بجدارة، قام أيضا بحساب كسوف الشمس بدقة بالغة. وعرف أيام الانقلاب الشمسي (أطول نهار وأقصر نهار)، والاعتدال الربيعي أو الخريفي (تساوي النهار والليل). وأيضا، استخدم السنة الشمسية، 365 يوما، نقلا عن المصريين.

حتى يتفرغ لمساعيه العلمية، طلب طاليس العزلة والابتعاد عن المجتمع. وعندما حثته أمه على الزواج، أجاب: "قبل سفري، كنت صغيرا جدا على الزواج. أنا الآن كبير جدا على الزواج. بين هذا وذاك، لم يكن لدي الوقت للتفكير فيه."

بعض الأيونيين، في يوم من الأيام، اتفقوا مع صيادين من مالطة، على شراء ما قد تخرجه شباكهم من أسماك. عندما سحب الصيادون شباكهم، وجدوا بها وعاء قرابين مصنوع من الذهب الخالص، يقال إن هيلين، التي قامت بسببها حرب طروادة، قد ألقته في البحر أثناء عودتها إلى بلدها.

كما هو متوقع، نشأ نزاع حول من هو صاحب الحق في الوعاء، الصيادون أم الأيونيون. وبما أنهم فشلوا في تسوية المسألة فيما بينهم سلميا، لجأوا إلى عرافة دلفي. التي أخبرتهم بأن الوعاء هو من نصيب أحكم الحكماء. فمن يكون أحكم الحكماء غير طاليس؟ هكذا ظن المالطيون، فأرسلوا الوعاء إليه.

لكن طاليس لا يريد أن يوصف بأنه أحكم الحكماء. فتخلص من الوعاء الذهبي، وأرسله إلى حكيم آخر يدعى بياس. لنفس السبب، أرسل بياس الوعاء إلى الحكيم بيتاكوس. ثم إلى حكيم آخر، وهكذا إلى أن وصل إلى سولون. سولون قال من يكون أحكم الحكماء غير الإله؟ فأرسل الوعاء إلى معبد دلفي.

عاش طاليس إلى سن متقدمة بلغت 96 عاما. ومات محترما بسبب فضيلته وحكمته وعلمه. أقام المالطيون له جنازة عظيمة، ونصبوا تمثالا لذكراه العاطرة.



ثيسبيس وعربته

كان ثيسبيس هو أول شاعر يقدم عروضا فكاهية في أثينا. لم يكن لديه، أو لدى من تبعه، مسرحا، وإنما كان يقدم مسرحياته على عربة مفتوحة، مثل عربات الباعة المتجولين في زماننا نحن.

لم يعترض سولون على مثل هذه العروض المسرحية، بل ذهب بنفسه لكي يشاهدها. ولكن عندما انتهت المسرحية، دعا ثيسبيس، الذي كان يقوم بعدة شخصيات مختلفة في المسرحية، وسأله عما إذا كان لا يخجل من قول الأكاذيب؟

أجاب ثيسبيس: "هي مجرد مزاح للفكاهة". فضرب سولون بعصاه الأرض بعنف، وصرخ قائلا: "إذا شجعنا أنفسنا على التحدث زورا في المهازل، سنكتسب عادة التحدث زورا في المسائل الجادة". لو لم ينطق سولون بكلمات أخرى غير هذه، لاستحق أن يوصف بالرجل الحكيم.

أيسوب، الذي كتب الكثير من الحكايات على لسان الطير والحيوانات، ومنها "الغراب والثعلب وقطعة الجبن"، كان يلقى قبولا كبيرا من الملك الفارسي قورش. بعكس سولون الجاد الذي لا يقبل المزاح.

لذلك، قال أيسوب: "لا ينبغي للرجل التحدث مع الملوك، إلا إذا كان يقول ما يروقهم." لكن سولون يجيبه بقوله: "لا ينبغي للرجل التحدث مع الملوك، إلا بما هو صادق حقيقي".

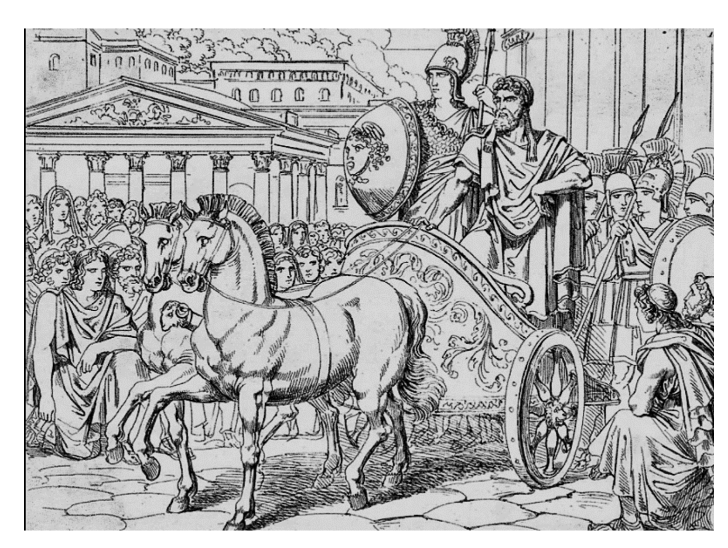


أيسوب

كان لدى بيسيستراتوس، الأثيني، رغبة جامحة في الحصول على السلطة، إلى الدرجة التي جعلته يجرح نفسه، ثم يركض إلى السوق، ويدعي أن أعداءه قد آذوه.

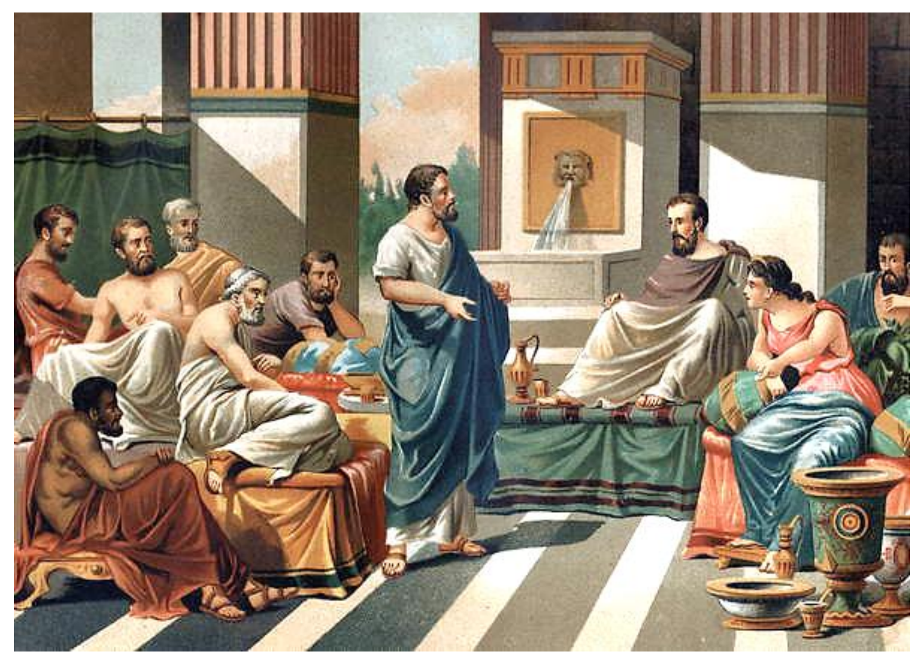
فقال له سولون، مع شيء من التهكم: "يا ابن أبقراط، أنت تقلد أوديسيوس بطريقة مبتذلة. إنه قد جرح نفسه لكي يخدع أعداءه. أما أنت فتجرح نفسك لكي تخدع أصدقاءك."

لكن الناس، كما هو الحال عموما، تصمت لصوت العقل. وأصبح بيسيستراتوس الطاغية، ملكا لأثينا. وتقاعد سولون إلى قبرص، حيث توفي، في سن الشيخوخة عام، 558 ق م، بعد أن فعل الكثير لبلده الأصلي، أتيكا.



بيسيستراتوس

بينما كان سولون وطاليس يقومان بخدمة بلديهما بحكمتهما وعلمهما، أتيكا وأيونيا، كانت كورينث ترزح تحت وطأة استبداد الملك بيرياندر. كان والد بيرياندر رئيس قضاة. وعندما خلفه كانت السنوات الأولى من حكمه معتدلة. لكن، سرعان ما أصابته مصيبة كل دكتاتور، وهي رغبة ملحة في أن يجعل نفسه فريد عصره وأوانه. توفي عام 585 ق م.



الملك الطاغية بيرياندر، من الحكماء السبعة

بالرغم من أنه كان حاكما قاسيا، كانت له مهارة إدارية فذة، جعلت بلده كورينث واحدة من أغنى دول المدن في اليونان. البعض يدعون أنه كان حاكما عادلا، عمل على ضمان توزيع الثروة في كورينث بالعدل. يعد من الحكماء السبعة في اليونان.

كان زوجا قاسيا وأبا سيئا. لكنه كان صديقا للتعلم ويحترم رجال العلم. كان يدعو الحكماء والشعراء إلى مجلسه لكي ينعموا بكرم ضيافته. وكان مولعا بالسلام، يرعى الفنون الجميلة.

له أقوال حكيمة جميلة، تناقض أفعاله. حكم 40 عاما، ومات وهو في الثمانين من عمره. كرمه رعاياه وأقاموا له نصبا تذكاريا

أريون

أريون، هو ابن بوسيدون إله البحار وأمه إحدى حوريات الماء. قام أبوللو بتعليمه أصول الغناء والعزف على القيثارة حتى أجاده إجادة تامة.

يعتبر أريون، أعظم موسيقي ومطرب ظهر على وجه الأرض. لذلك جعله بيرياندر، ملك كورينث، مطربه الخاص. عندما ذاع سيط أريون وبلغت شهرته الآفاق، طلب منه الملك أن يقوم بجولة يطرب خلالها الناس ويعرض فنه ومواهبه.

زار أريون جزيرة صقلية، أطرب الناس هناك، وقام بالفوز بكل المسابقات المقامة بالمهرجان الموسيقي. لذلك كوفئ بجوائز عديدة وأنعم عليه بالكثير من الذهب والمال.

ثم أخذ أول سفينة راجعا إلى موطنه كورينث، بالرغم من أن قبطانها كان ضخم البنية، قبيح الوجه. لا يوحي شكله بالبراءة أو الاطمئنان. وكان طاقم بحارته أقبح منه شكلا وخلقا.

عصر اليوم الأول في عرض البحر، جلس أريون على سطح المركب يراقب زرقة الماء وهو يضبط أوتار قيثارته الذهبية بأنامله. اقترب منه قبطان المركب وهو يمصمص شفتيه ويقول: "مسكين أيها الشاب ستموت مقتولا ناقصا عمر."

"لكن، لماذا؟ وما قد فعلته أستحق عليه القتل؟" تساءل أريون.

أجاب القبطان:

"السبب هو أنك قد سمحت لنفسك بامتلاك كنز ثمين. هذا الكنز يجب أن يكون ملكي أنا. هذا السيف المطعم بالجواهر والياقوت، وهذا الدرع الفضي، واللآلئ والماس والنقود الذهبية والأحجار الكريمة. كلها أشياء، لا

يجب أن يراها أبدا اللصوص"

- "لماذا لا تأخذ من هذه الجواهر والنقود ما تريد، وتبقي على حياتي؟"

- "لا، لقد فكرنا في ذلك. ثم وجدنا أنه من الأفضل والأسلم أن تموت. وهذا ما يتم عادة في مثل هذه الظروف. بذلك لن تستطيع أن تشتكينا لأولي الأمر. هذا يا عزيزي أخذا بالأحوط".

- "لقد تدبرتم الأمر، وعقدتم العزم على قتلي. وليس لدي ما أضيفه. لكن لي رجاء واحد وطلب أخير: دعوني أغني أغنيتي الأخيرة قبل أن أموت"

لم ير البحارة ما يمنع من تحقيق طلبه هذا. لعلمهم أنه محاصر بينهم في عرض البحر. فماذا يستطيع أن يفعل بغنائه، وهو وحيد وهم العصبة ذو القوة؟



أريون يقفز من المركب إلى البحر

لبس أريون أفخر ثيابه. ثم جلس على سطح المركب ممسكا بقيثارته.
أخذ يعزف ويغني أغاني عذبة شجية، جعلت أسماك البحر تتجمع حول
المركب لتسمع موسيقاه وهي تتمايل طربا. من بين هذه الأسماك،
مجموعة من أسماك الدلفين.

رأى أريون أسماك الدلفين وهي تتمايل من النشوة، وتهز رؤوسها طربا.
قبل أن ينهي أريون أغنيته، غافل البحارة حوله، وكانوا هم أيضا قد
سحرتهم الموسيقى فتراخوا وجلسوا يستمعون، ثم قفز أريون وألقى
بنفسه إلى البحر وسط أسماك الدلفين التي كانت تستمع إلى غنائه.

ما أن رأت أسماك الدلفين أريون في الماء، حتى سارعت سمكة كبيرة،
وحملت أريون عل ظهرها وسبحت به مسرعة، وحولها باقي أسماك
الدلفين لحراسته.

حاول البحارة اللحاق بسمكة الدلفين، التي تحمل أريون، لكن ماهي إلا دقائق معدودة، حتى توارت السمكة وباقي السرب عن الأنظار وراء الأفق البعيد في عرض البحر.

ظلت سمكة الدلفين تسبح ومعها سرب الأسماك إلى أن وصل أريون سالما إلى شاطئ كورينث. أما البحارة، فقد اعتقدوا أن أريون لابد أن يكون قد سقط من ظهر الدلفين وغرق. لأنه لا سبيل له أن يصل إلى الشاطئ سالما في هذا البحر متلاطم الأمواج.

أخبر أريون الملك بمؤامرة البحارة وما جرى له منهم. عندما عادت البحارة بالسفينة إلى كورينث، كان الملك بيرياندر في انتظارهم.

سألهم الملك عن مطربه الخاص أريون. كذبت البحارة وأخبرت الملك أن أريون قد تخلف في صقلية، لأنه جمع ثروة طائلة من الغناء، لذلك قرر البقاء هناك.

في هذه اللحظة، دخل عليهم أريون. أصيبت البحارة بالرعب، ولم يجدوا بدا من الاعتراف للملك بجرمهم وبما فعلوه بأريون واستيلائهم على ثروته. عندئذ، أمر الملك بصلبهم جميعا وبمصادرة أموالهم، عقابا لهم على ما اقترفوه.

ردت لأريون ثروته التي سرقها اللصوص. لكنه أصر على أن يقتسمها مع الملك. وعندما اعترض الملك على ذلك، ضحك أريون وقال: "الثراء يأتي معه الشقاء. أنت ملك، يمكنك حماية كنزك. لكنني أفضل أن أسافر خفيفا بدون قلق."

في هذا الوقت، استولى نبوخذنصر، 588 ق م، على معبد القدس وأحرقه. وازدهرت أشعار سافو الغنائية.



نبوخذنصر

(05)



قورش

قورش

قبل سنوات قليلة من اختيار سولون رئيسا لأثينا، ولد أمير يستحق الذكر والإعجاب. هو قورش ابن قمبيز، ملك بلاد فارس، وحفيد أستياجس، ملك ميدس. أستياجس هو نفسه أهاسويروس في الكتاب المقدس.

أخلاقيات الفرس كانت ممتازة في تلك الأيام. البساطة في الثياب، والغذاء، والسلوك، كانت هي السائدة. حتى أن قورش، تم تعليمه وتربيته على أن يكون بسيطا متواضعا متحكما في شهواته.

عندما كان صبيا، اصطحبته والدته مندان لزيارة جده. لكن فخامة وأبهة بلاط ميديا فاجأته وأثارت اشمئزازه. أما الجد أستياجس، فقد كان مسحورا بكلام حفيده الأمير وسلوكه. مما جعله يغدق عليه الهدايا والأموال. لكن قورش، منح كل عطايا وأموال الجد للحاشية: أنعم على هذا المتلقي لأنه كان يعلمه، وذلك لأنه كان طيبا مع والدته، وثالث، لأنه اعتنى بجده العجوز. كل هذا يبين، أنه لم يكن سخيا فقط، ولكنه أيضا كان حكيما يوزع الهدايا وفقا لدوافع الامتنان.

أثناء توزيع الصبي قورش المنح على الحاشية، أهمل حامل الكأس ولم يمنحه شيئا. وعندما تساءل الجد أستياجس عن سبب ذلك، قال الأمير الشاب، ليس هناك الكثير من الجدارة في كونه حامل كأس جيد. أنا يمكنني القيام بمثل هذا العمل بجدارة.

ثم أخذ كأسا وأعطاها لوالدته بتواضع ورشاقة، ومثلها أعاطاها إلى جده. أعجب الجد بمهارته وعقب ضاحكا: "لكنك نسيت شيئا هاما."

"ما هو؟"، تساءل الصبي.

"نسيت أن تتزوق النبيذ قبل أن تعيطه لي ولأمك"، أجاب الجد.

"لم أنس، لكنني لم أرد ابتلاع السم"، قال الصبي

"السم!"، صرخ الملك.

"نعم، نعم، كل الخمور بها سم. تمرض وتقتل"، قال الصبي

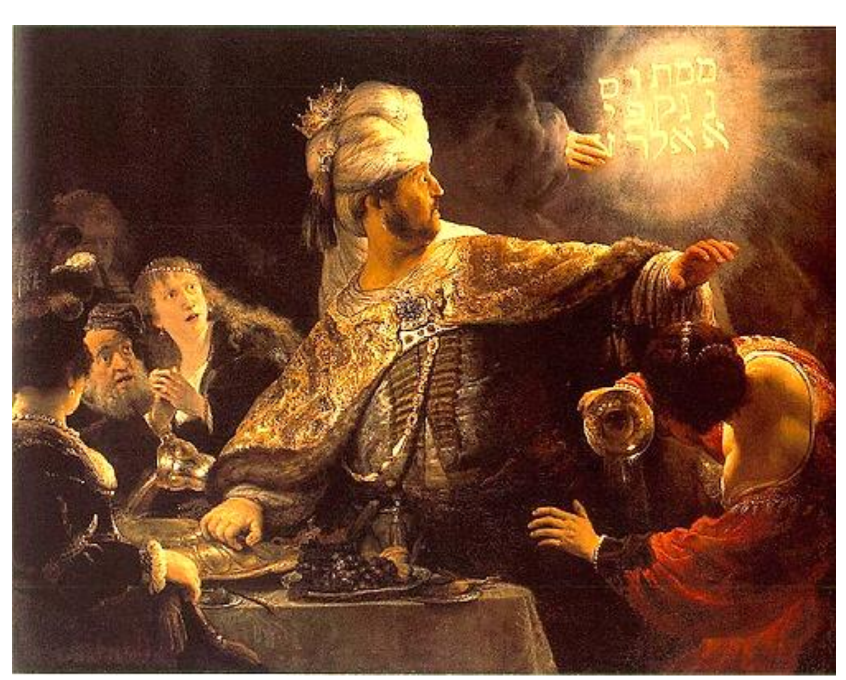
"ألا تشرب في بلدك؟"، تساءل الجد.

"أشرب فقط لأروي العطش، ويكفيني القليل من الماء".

عاد قورش إلى بلده، وكان مطيعا لوالده. وعندما كبر، خاض العديد من المعارك، وكان شجاعا في مواجهة أعدائه، ونبيلا في معاقبتهم. ولقد رأينا سابقا كيف عفي عن كريسوس واسع الثراء عندما وقع أسيرا بين يديه.

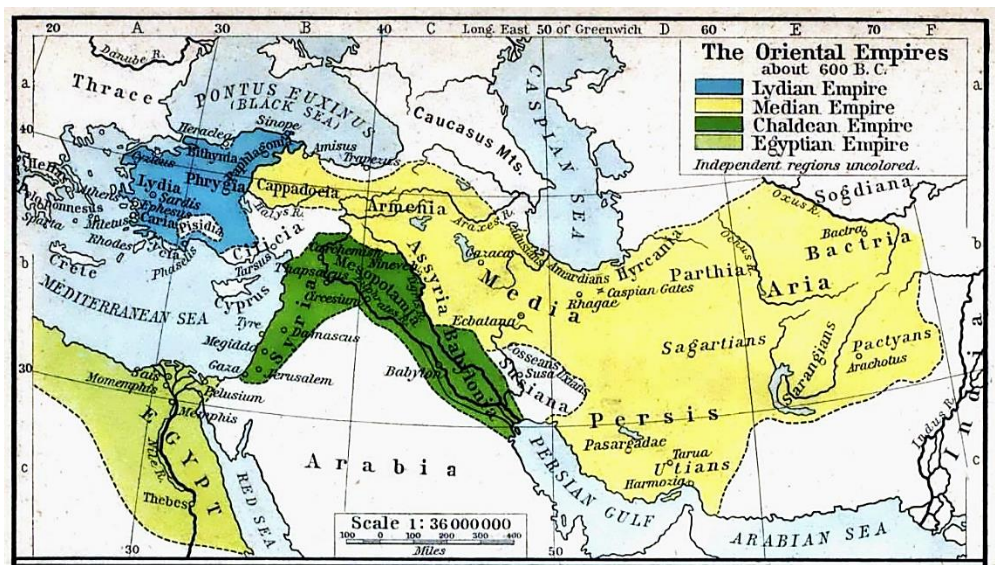
عندما سأل قورش كموسسوس أين يحفظ أمواله، أجابه بأنه يحفظها في خزانة القصر. فقال قورش: "أما أنا، فأحفظ ثروتي في قلوب رعاياي".

كان يعلم أنه، بسلوكه الحكيم الودود، يكتسب تماما حب وثقة شعبه، لدرجة أنه لم يكن عليه إلا أن يسأل، وكانوا يعطونه كل ما يريد.



بلشازار ملك بابل

بعد حصار طويل ومثير للاهتمام، استولى الأمير قورش على مدينة بابل، وأنهى الدولة الأشورية، التي كانت موجودة من زمن نمرود. كان بلشازار آنذاك هو ملك بابل.



ميديا وبلاد فارس

بعد وفاة والده وجده وعمه، أصبح ملك ميديا وكل بلاد فارس، إلى جانب البلاد التي فتحها بانتصاراته. توفي في سن السبعين في وسط عائلته وأصدقائه، بعد حياة مجد وفضيلة رائعة عام 529 ق م. قبل وفاة بيسيستراتوس، طاغية أثينا.

لقد ذكرنا اثنين من واضعي القوانين العظام، ليكورجوس من اسبرطة، وسولون من أثينا. سنتحدث الآن عن ثالث الثلاثة، كونفوشيوس، المشرع الصيني.

كونفوشيوس

ولد كونفوشيوس قبل موت سولون مباشرة، عندما كان قورش العظيم في ذروة مجده وقوته.

يدعي الصينيون أن نوح (الذي يسمونه فو هي) استقر بفلكه أثناء الفيضان، في الجزء الشمالي من الصين، وبالتالي فإن أمتهم مشتقة منه. من المعروف أن الصين هي من الأمم القديمة.

كوانفوشيوس

كان كونفوشيوس طفلا جادا جدا، ليس مولعا باللعب، مجتهد جدا، ومتدين جدا. عندما كان عمره ثلاثة وعشرين عاما فقط، بدأ في محاولة هداية مواطنيه، الذين كانوا غارقين في الاسراف والبذخ.

أدت فضيلة كونفوشيوس وقدرته إلى احترامه كثيرا، واختير لشغل مناصب كبيرة محترمة. قال إنه سعيد جدا بقبوله منصب القاضي، لأنه يأمل في أن يكون أكثر فائدة لمواطنيه.

بذل جهدا كبيرا في منصبه لتقويم الناس، إلا أنه وجد الناس قليلي الحيلة، غير قادرين على التغيير. فقام بالتخلي عن مناصب كان يقدرها، إلى مناصب أقل شأنا، لأنها تعطيه فرصة أكبر لفعل الخير.

ثم سافر إلى أجزاء مختلفة من هذه الامبراطورية الشاسعة. وعند عودته لكي يستقر في بلده، أسند إليه منصب كبير في الحكومة. في ذلك الوقت، كانت الصين تمثل العديد من الممالك المستقلة.

كان كونفوشيوس يتمنى أن يحكم الملك رعاياه كأب بين أولاده. كتب العديد من الكتب، وقام برحلات عديدة، لتحقق من شكل الحكم المرغوب فيه. لا شك أنه فعل الكثير من الخير، ولكن بالتأكيد ليس بالقدر الذي كان يرغب فيه ويستحقه.

كان يقول لأتباعه: "هناك أربعة أشياء تقلقني:

الأول، فعلي القليل للفضيلة.

الثاني، تحمسي القليل للدراسة.

الثالث، عجزي عن إقامة العدل.

الرابع، عدم تحكمي في انفعالاتي.

كانت هذه هي المشاعر المتواضعة لرجل مشهور بفضيلته وعلمه وعدله وضبطه لنفسه. إننا نرى أن أفضل الناس هم أكثرهم تواضعا، وأكثرهم حكمة، هم أخجلهم وأنكرهم للذات.

قبل وفاته ببضعة أيام، قال لأصدقائه وحاضريه: "يرفض الملوك الاهتمام بتعاليمي، فاسمحوا لي أن أموت، لأنني لم أعد أستطيع أن أكون مفيدا لهذا العالم". ثم مات بسلام وسط أصدقائه ومريديه.

تم تكريمه واحترامه من قبل الصينيين وقد شيدت العديد من المعابد باسمه، ويتم اقامة الكثير من الاحتفالات تكريما له. يبجلونه كأعظم مشرع وأحكم رجل عاش على الإطلاق.

في نفس الوقت الذي ازدهرت فيه تعاليم كونفوشيوس في الصين، كان زرادشت يعيش في بلاد فارس. علم زرادشت الفرس تبجيل الشمس والنار، كممثلين للخالق الحقيقي. كثير من الناس يعتقدون أن الزرادشتية يرجع تاريخها إلى زمن خروج النبي ابراهيم من أور كلدا عام 1926 ق م.

ملوك روما السبعة

من ملوك روما، جاء ذكر: رومولوس، نوما، تولوس. باقي الملوك السبعة: أنكوس مارتيوس، تاركينيوس بريسكوس، سيرفيوس توليوس، تاركينيوس سوبربوس.



ملوك روما السبعة

بعد معركة الهوراتي والكورياتي، حكم تولوس عدة سنوات، ثم مات، كما يقال، بسبب الخيانة. أنكوس مارتيوس، حفيد نوما، ورث العرش: لم يحدث شيء رائع في عهده، إلا أن شخصا غريبا، يدعى لوسيوس، جاء للعيش في روما، وأصبح وصيا على ابني أنكوس.

عندما مات أنكوس، سقطت الدولة، كالعادة، في أيدي مجلس الشيوخ ولوسيوس، عن طريق المكر والخديعة والرغبة المحمومة، لكي يصبح ملكا. قال، إن زوجته قد تنبأت بأنه يجب أن يسود.



لوسيوس

لأنه، عند الاقتراب من روما في رحلته الأولى إليها، كان يركب عربة مفتوحة. وإذا بنسر يخطف قبعته. وبعد الكثير من الضجيج والرفرفة بجناحيه، وضعها مرة أخرى على رأسه.

الحكم المغتصب ظلما، عادة لا يتم الحفاظ عليه طويلا، ولا يكون في مصلحة الناس. لأن جهود الحاكم وأمواله تبذل بسخاء لحماية منصبه، وتثبيت من ساعدوه في أماكنهم، حتى يستفيدوا من أوضاعهم غير الشرعية.

لكن، تم قتل لوسيوس، بأمر من أبناء أنكوس. ثم هرب القتلة من روما. فبدا بالتأكيد كما لو كانوا مذنبين.

الزوجة الطموحة، التي تشاءمت من صعود تاركينيوس، أخفت وفاته، حتى يتم اختيار صهرها ملكا. كان هذا هو سيرفيوس توليوس. وروت عنه قصة غريبة. وهي أنه عندما كان صبيا، رأى في المنام، طاقة من النور أحاطت برأسه.

ومع هذا، كان سيرفيوس رجلا طيبا، زوج ابنتيه من ولدين ل تاركينيوس. ثم، صنع السلام ونشر العدل بين الرومان. كان يستعد للتنازل عن العرش والتقاعد.

سيرفيوس توليوس

توليا، إحدى بناته، أحبت زوج شقيقتها ابن تاركينيوس، وبادلها هو الحب المحرم. وقامت توليا بقتل زوجها، وقام عشيقها بقتل زوجته، ثم تزوجا. لم يكتفيا بذلك، ولأن الشر يمهد الطريق لمزيد من الشر، قاما الشريران، بقتل سيرفيوس، والد توليا الملك الطيب.

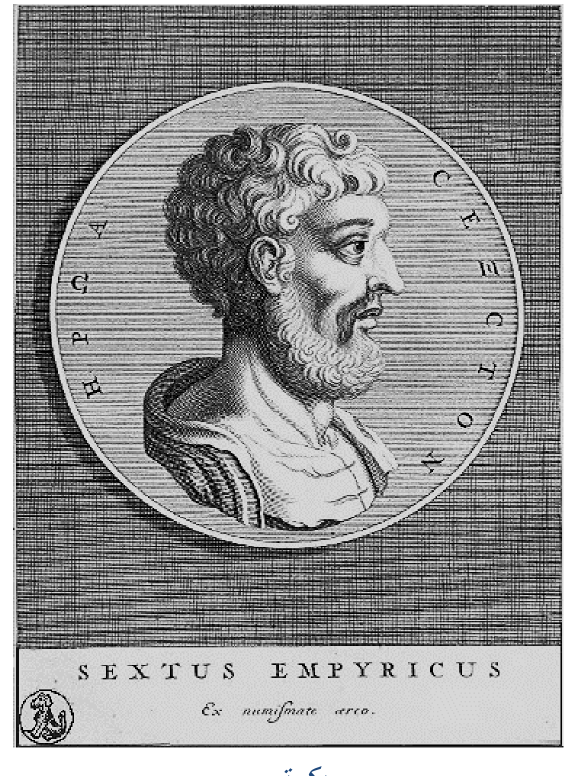


عربة توليا تمر بجثة والدها سيرفيوس

ستصاب بالرعب والغثيان عندما تعلم أن توليا الشريرة، قد ابتهجت حينما سمعت أن عشيقها، قد قتل والدها. وعندما ركبت في عربتها الجميلة، وذهبت لتهنئة زوجها القاتل، كان سائقها، وهو يرى جثة والدها سيرفيوس ملقاة في الشارع، يحاول السير بالعربة في طريق آخر، معتقدا بعقلانية شديدة، أن الابنة ستصدم عندما ترى جثة والدها العجوز المسكين دامية ومشوهة.

لكن توليا التي مات في قلبها أي شعور إنساني، نهرت السائق، ومنعته من تغيير الطريق. بينما كانت عجلات العربة تمر فوق التراب المخضب بدماء والدها العجوز الطيب.

ثم أصبح زوج الابنة الشرير ملكا، ومن غروره، منح نفسه لقب تاركينيوس سوبربوس (تاركينيوس الفخور بنفسه). ومع ذلك، كان مكروها من الجميع. أطفاله كانوا سيئين مثله. فمن شابه أباه فما ظلم.



سيكستوس

أرسل تاركينيوس الشرير، ابنه سيكستوس الأكثر شرا، إلى مدينة جابي شرق روما، وأمره أن يتظاهر بأن والده كان يسيء معاملته، مما جعله يهرب. صدق المواطنون الطيبون الابن المخادع، وكانوا لطفاء جدا معه. وأخيرا جعلوه جنرالهم. هذا ما توقعه تاركينيوس.

عندما أرسل ابنه رسولا ليعرف ما يجب عليه فعله بعد ذلك، لم يعط تاركينيوس إجابة، لكنه أخذ الرسول إلى الحديقة، وبدأ في قطع رؤوس أطول الزهور والورود التي نمت في طريقه وهو يسير.

لقد كان خائفا من الرد على ابنه برسالة كتابية أو شفهية، حتى لا

ينكشف الأمر وتفشل الخطة. لكن سيكستوس الابن، كان من الدهاء جعله يفهم ما يعنيه الأب.

هذا ما فعله الابن بالضبط. بدون أي تردد، لم يدخر وسعا في قطع رؤوس كل عظماء الرجال في جابي. بذلك، ضعفت مناعة المدينة وقدرتها على مقاومة الفساد والاضمحلال والتفسخ، وأصبحت فريسة سهلة للرومان.

سيكستوس، الابن، وبعض القادة العسكريين، ذهبوا مع قوة عسكرية لمحاصرة أرديا، وهي بلدة صغيرة، لا تبعد كثيرا عن روما. عندما كانوا يشربون ويمرحون، كان يتباهى ويفتخر كل منهم بزوجته وأخلاقها الرفيعة وسلوكها.

كان كولاتينوس على يقين من أن زوجته، هي الأفضل سلوكا بين زوجات الضباط، وخصوص أثناء غيابهم. كنوع من الدعابة، انطلق الضباط بخيولهم إلى روما، لكي يتبينوا صدق هذه المقولة، وماذا كانت تفعل زوجاتهم أثناء غيابهم.

وجد الرجال كل زوجاتهم يقضين الوقت أثناء غياب أزواجهن في المرح والطرب والرقص والتسلية. لكن لوكريشيا، زوجة كولاتينوس، كانت تغزل الصوف في بيتها، هي وجواريها.



لوكريشيا زوجة كولا ينوس

أعجب سيكتوس الابن ب لوكريشيا ووقع في غرامها، وأراد أن يأخذها لنفسه. لذلك، طلب منها أن تترك زوجها وتذهب إليه.

صدمت لوكريشيا من سلوك الأمير المشين. فقامت بقتل نفسها حزنا. مما أغضب كولاتينوس زوجها، وجعله هو وجونيوس بروتوس يكونان جيشا لكي يزيح سيكتوس ووالده سيء السمعة من روما.

لقد عانى الشعب كثيرا تحت طغيان هذا الملك وابنه، لدرجة أن الثوار قرروا، ليس فقط طردهما من الحكم، بل أرادوا إلغاء النظام الملكي برمته من البلاد.

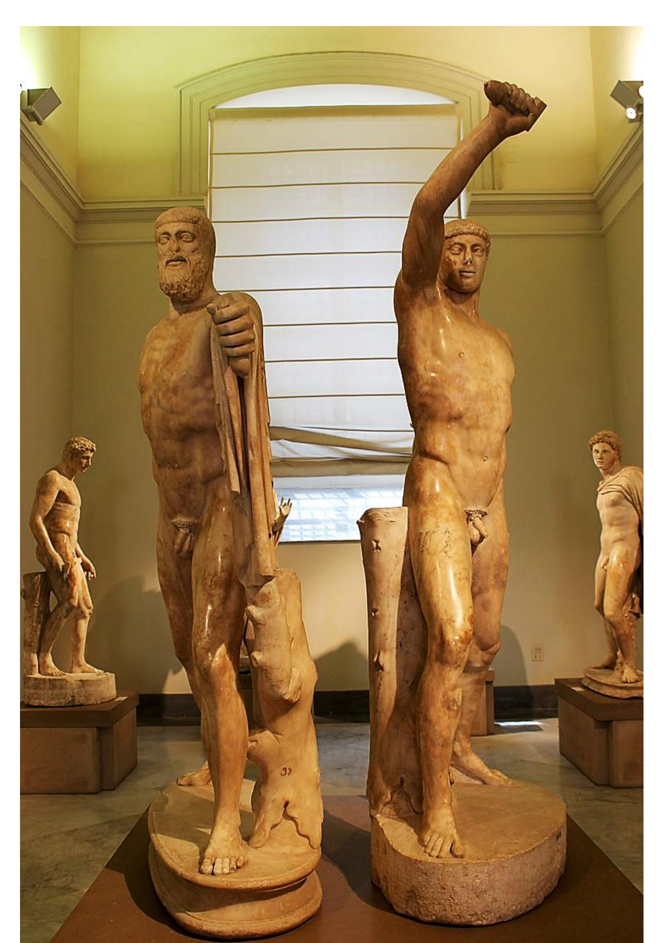
لذلك عينوا قاضيين، يطلق عليهما اسم القنصلين، ينتخبان سنويا. وكان أول من تم اختيارهم لهذا المنصب الجديد، هما كولاتينوس، زوج لوكريشيا، وجونيوس بروتوس الذي شاركه في الثورة على فساد الحكم.



انتحار لوكريشيا

(06)

ومن الغريب أن أثينا قامت بطرد طغوتها، ابني بيسيستراتوس، في نفس الوقت تقريبا الذي قامت فيه روما بطرد تاركينيوس. لنفس الأسباب، وهي المعاملة السيئة للمرأة.



هارموديوس وأريستوجيتوس

كانت شقيقة هارموديوس، تعامل معاملة سيئة من قبل هيبارخوس، أحد أبناء بيسيستراتوس. فقام هارموديوس بمساعدة صديقه أريستوجيتوس بمحاولة تحرير أثينا من طغوتها. لكن لسوء الحظ، قتلا أثناء المحاولة.

هيبياس، الأخ الآخر، حاول الاستمرار في السلطة، وقام باعتقال امرأة جميلة، تدعى ليونا، كانت على علم بالمؤامرة، وأمر بتعذيبها حتى تعترف بالحقيقة. لكن هذه المرأة الشجاعة تحملت كل أنواع التعذيب في صمت ولم تبح بشيء.

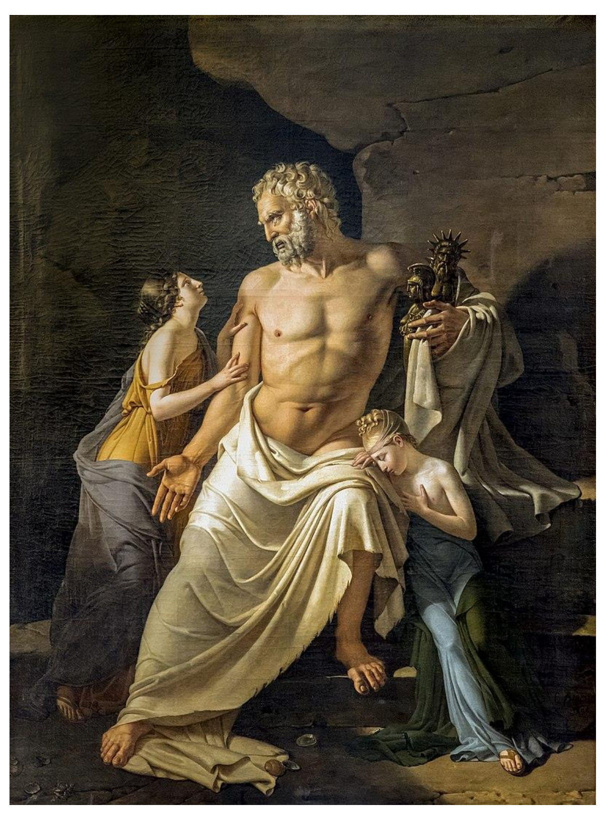
حتى لا تجعل الألم الشديد يجبرها على الاعتراف، قيل إنها قضمت نهاية لسانها بأسنانها، حتى تعجز عن الكلام، وتظل وفية لأصدقائها. وهو مثال نبيل من الشجاعة والإخلاص لم نسمع به من قبل.

اضطر هيبياس بعد ذلك إلى مغادرة أثينا. ثم أقيمت نصب تذكارية تحي ذكرى كل من ليونا، أريستوجيتوس، هارموديوس. ثم أصلحت دواوين الحكومة حتى ترجع البلاد إلى عصرها الذهبي، وحالتها أيام سولون.

سعى كاليثينيس، وهو ثري من أثينا، إلى إصدار عدد من القوانين واللوائح، من بينها قانون يستحق الذكر.

القانون يجبر كل شخص، قد تخطى سن الستين، أن يقوم بالكتابة أو الحفر على قطعة بلاط أو صدفة محارة، اسم شخص يريد أن ينفيه من المدينة. الهدف من القانون، هو نفي الأشرار غير المرغوب فيهم من المدينة.

النتيجة التي فاجأت الجميع، هي أن من تم نفيه من المدينة، هم الناس الطيبين، ومنهم اريستيدس. تتبين أنه شخص ممتاز، كان مشهورا بالعدل والسلوك الحسن، إلى درجة أنه كان يدعى ب اريستيدس العادل. تذكر هذا الاسم، فسيمر علينا كثيرا.



اريستيدس

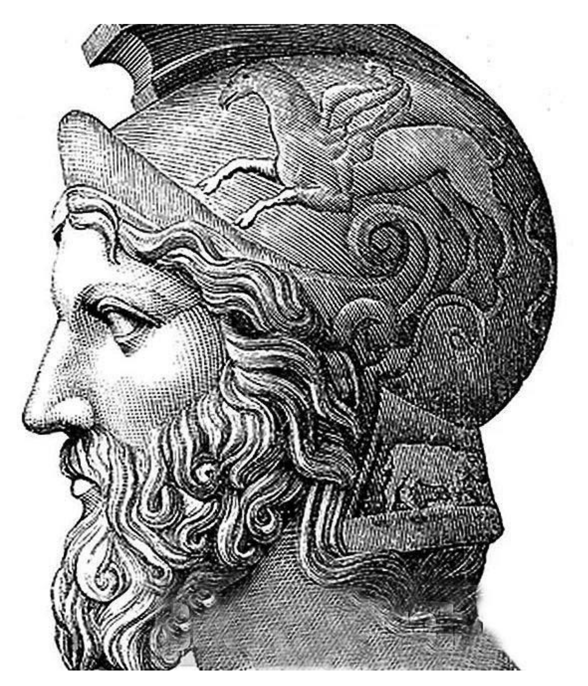
التقى اريستيدس بأحد المارة، وهو لا يعرفه، وطلب منه مساعدته، لأنه غريب لا يعرف الكتابة، ولا يعرف من يختار لنفيه من المدينة. فكتب الرجل اسم اريستيدس.

تعجب اريستيدس وتساءل باستغراب: "ما الضر الذي ألحقه اريستيدس بك يا سيدي، جعلك تطلب نفيه من المدينة؟" أجاب الغريب: "إنه لم يسبب لي أي ضرر. لكنني مللت من كثرة سماع، "اريستيدس العادل".

ميلتياديس

كان ميلتياديس أكبر سنا بكثير من اريستيدس. أرسل مع جيش لقتال الفرس. داريوس كان الملك الثالث بعد قورش. وكان داتيس، هو قائد جيش الفرس الكبير الزاحف لغزو أثينا وتدميرها.

التقى داتيس بالقوات الأثينيين في ماراثون، وهي بلدة صغيرة على جانب البحر. قاد الأثينيون عشرة جنرالات، في تناوب، كل منهم لمدة يوم واحد. كان ميلتياديس أحدهم والرئيس العام للجيش في نفس والوقت..



ميلتيادس

كان لدى اريستيدس إحساس بفشل هذه الخطة، وكان مستعدا للتخلي عن كبريائه لصالح بلاده. عندما جاء دوره في القيادة، تنازل عن منصبه ل ميلتياديس، لأنه يعلم أنه أفضل قائد وأكثرهم حنكة.

السلسلة، تقاس بأضعف حلقاتها. وقائد واحد ضعيف، قد يكلف الجيش غاليا، ويتسبب في هزيمة ماحقة. كم من الفوائد تنتج من المثال الجيد؟ القواد الآخرين، عند رؤية سلامة هذا المسلك، أعجبوا وأيدوا وقلدوا ما فعله اريستيدس.

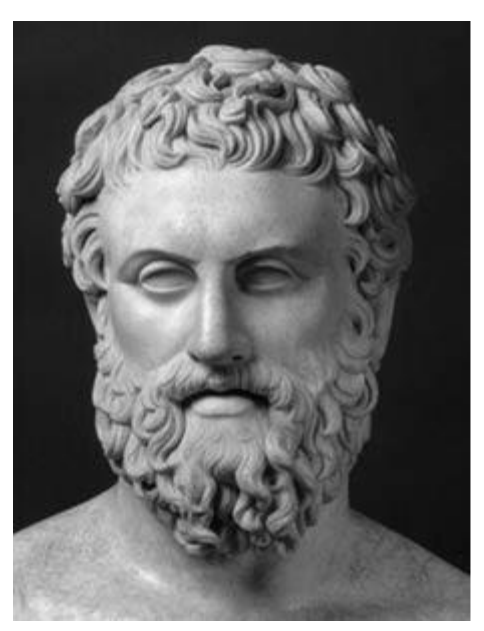
انخرطت الجيوش في معركة شرسة وعنيدة. وبسبب مهارة قيادة ميلتياديس، فاز الأثينيون في معركة ماراثون 490 ق م.

ركض جندي أثيني، وهو ملطخ بدماء المعركة، إلى أثينا لكي يزف لشعبه الأخبار السعيدة. عند وصوله، لم تبق لديه قوة إلا ما يكفي لإعلان النصر، قائلا: "ابتهجوا، فالنصر لنا.". ثم سقط ميتا من التعب.

من المؤسف أن ميلتياديس قد مات في السجن، بعد أن قاد جيش الأثينيين إلى النصر. سجنه الأثينيون، لأنه لم يستطع دفع غرامة فرضوها عليه. اتهم كذبا بخيانة بلاده، وحكم على هذا الجنرال الممتاز بالإعدام، وبعد ذلك، تم تخفيف الحكم إلى غرامة، لم يستطع دفعها. وظل مسجونا إلى أن مات في السجن.

أريستيدس، قد نفي هو أيضا. وعلى ما يبدو، الأثينيون كانوا أكثر الناس ناكرانا للجميل. عندما كان أريستيدس يترك المدينة، بدلا من التعبير عن غضبه، صلى للآلهة لكي تحفظ بلده، وتجعلها غير نادمه على عقابها له. وهذا ما نعنيه بمقابلة الإساءة بالإحسان.

عندما كان ثيمستوكليس في الحكم، قال ضاحكا، إن سلطة ابنه الصبي أكبر من سلطة أي رجل في اليونان. "كيف يكون ذلك؟" تساءل صديق له. أجاب ثيمستوكليس: "لأن الأثينيين يحكمون اليونان، وأنا أحكم الأثينيين، وأمه تحكمني، وهذا الصبي يحكم أمه!".



فيثاغورث

توفي فيثاغورس في هذا الوقت تقريبا. كان يعتقد أنه عندما تترك الروح جسد الإنسان، فإنها تنتقل إلى جسم الحيوان. هذا ما يعرف بتناسخ الأرواح، وهو مذهب منتشر في الهند حاليا. لذلك، لا أحد من أتباع فيثاغورس يأكل اللحم، خوفا من أن يلتهموا أصدقاءهم وأقاربهم. وهو نفس السبب الذي يجعل الهندوسي لا يأكل اللحم.

بروتوس

أول قنصلين لروما كانا، بروتوس، وكلينجينوس. اشترك ابنان من أبناء بروتوس مع آخرين من النبلاء الشبان في مؤامرة لاستعادة تاركوين إلى العرش.

اكتشف عبد هذه المؤامرة، وقام بالإبلاغ عنها. تم القبض على كل المتآمرين، وقيدوا بالسلاسل. أدينوا وحكم عليهم بالجلد وقطع الرؤوس. وكان من واجب القناصل، أن يروا الأحكام وهي تنفذ.

لنا أن نتخيل كم كانت معاناة بروتوس، وهو يرى أولاده يجلدون ثم يقتلون أمام عينيه. قال وهو يبكي، إنه حقا يحب أولاده، لكنه يحب العدالة وبلده أكثر. ثم أعرب عن أسفه الشديد لجريمتهم المروعة.

الغريب أن الناس توسطوا للعفو عن الولدين، وكان كولاتينوس على استعداد للاستماع لهم، لكن الأب أصر عل تطبيق القانون. وهذا ما فعله الفيلسوف سقراط أيضا، حينما رفض الهرب من عقوبة الإعدام، حتى لا يقال إنه اخترق القانون ولم يحترمه.

هوراتوس كوكليس



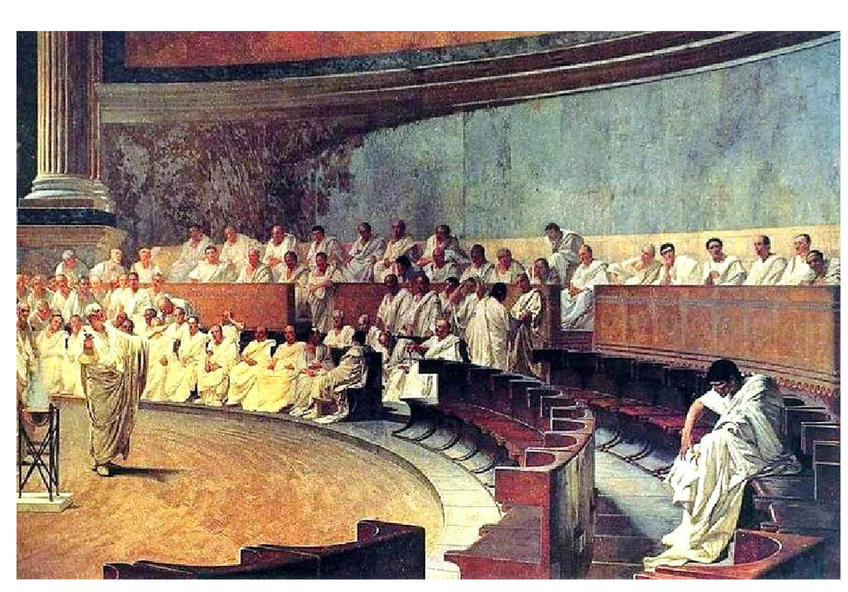
هوراتوس كوكليس يتسلل خلف الجسر

فر التاركوين إلى بورسينا، للحصول على مساعدات ملك كلسيوم، في إيتروريا، الذي جاء مع جيش كبير إلى روما، وكاد أن يدخلها. لولا شجاعة رجل واحد أنقذت المدينة.

هوراتوس كوكليس، عندما رأى العدو يقترب من الجسر، وكان يقف حارسا له، والرومان يتراجعون، طلب منهم الثبات ومساعدته في تدمير الجسر أو حرقه. أثناء تدمير الجسر، انضم إلى المقاومة خلف خطوط العدو في الجانب الآخر من الجسر.

كان معه اثنان من أصدقائه. قبل تدمير الجسر، طلب منهم العودة بسرعة قبل أن ينهار بالكامل، وبقي وحده يقاتل خصومه. وعندما تأكد من تحطيم الجسر، قفز إلى النهر وسبح عائدا إلى أصدقائه في أمان.

ذهب موتيوس سكافولا، وهو شاب نبيل روماني، إلى مجلس الشيوخ، وقال لهم انه متطوع لأداء عمل بطولي، وطلب السماح بالذهاب إلى معسكر بورسينا.



موتيوس سكافولا في مجلس الشيوخ

تم السماح له. فقام بتمويه نفسه وتغيير هيئته، ثم دخل بسرعة الخيمة الملكية. هناك رأى رجلا يرتدي ملابس فاخرة جدا. ظن أنه الملك، فقتله. لكن تبين أنه لم يكن سوى سكرتير الملك.

عندما حاول الهرب، تم القبض على موتيوس. أخبره بورسينا أنه سيعذبه بشدة، إن لم يعترف على الرومان. لم يجبه موتيوس، بل وضع يده في واحدة من الحرائق التي أشعلت بالقرب منه، وتركها هكذا. عندما رأى بورسينا شجاعة وثبات هذا الشاب، قفز من على كرسي عرشه، وسحب يد موتيوس من اللهب، وأشاد بشجاعته. ثم تركه دون أن يصيبه بأذى.

قبل أن ينفي الأثينيون أريستيدس بقليل، نفى الرومان جنرالا عظيما منهم، يدعى كوريولانوس. لكن كوريولانوس تصرف بشكل مختلف عن أريستيدس. لم يرض بمصيره، لكنه ذهب إلى فولشي، وهي بلدة كانت في حالة حرب مع روما، وعرض خدماته ضد مدينته الأصلية.



كوريولانوس

كجنرال للفولشيين، حاصر كوريولانوس العديد من المدن التابعة للرومان وقام بغزوها. ثم هاجم مدينة روما، وكان على وشك غزوها، إلى أن خرجت إليه والدته، مع زوجته وأطفاله والعديد من النساء، وركعن أمامه، ولم ينصرفن حتى وعد بسحب جيشه.

لقد كان كوريولانوس بين خيارين. إما خيانة الفولشي، الذين وثقوا به، أو تدمير المدينة التي ولد فيها. انسحابه وتراجعه عن غزو روما، أغضب الفولشي، إلى الدرجة التي جعلتهم يقومون باغتياله عام 488 ق م.

زيركسيس



زيركسيس

بعد وفاة داريوس، اعتلى ابنه زيركسيس عرش بلاد فارس. كان زيركسيس مصمما على متابعة مخطط والده في غزو اليونان. قال إنه لن يشتري بعد الآن تين أتيكا. لأنه سيكون سيد البلاد، ومن ثم كل

منتجاتها تصبح ملكه. ثم أمر بحفر ممرا عبر جبل أسوس العالي في مقدونيا، حتى يجعل الممر قناة لسفنه.

يقال إنه كتب رسالة إلى جبل أسوس، أمره فيها بعدم وضع الحجارة في طريق عماله، وإلا فإنه سوف يقطعه إربا ويرميها في البحر." وكان يأمر بجلد العمال لجعلهم يعملون بشكل أسرع.

عندما رأى، من تلة عالية، أن السهول مفروشة بجنوده كالجراد، والبحر زاخر بسفنه، انتشى فخرا، واعتقد أنه الأفضل من بين البشر. لكنه، عندما تذكر أنه في المائة سنة القادمة، لن يكون أحد ممن يشهدون القتال الآن على قيد الحياة، علم بهشاشة هذه الحياة وتفاهتها، ثم انخرط في البكاء.

فوق مضيق هيليسبونت، الذي يسمى الآن مضيق الدردنيل، بعرض حوالي ميل، بنى زيركسيس جسرا من القوارب. لكن جاءت عاصفة عاتية وأمواج عالية قامتا بتدميره.



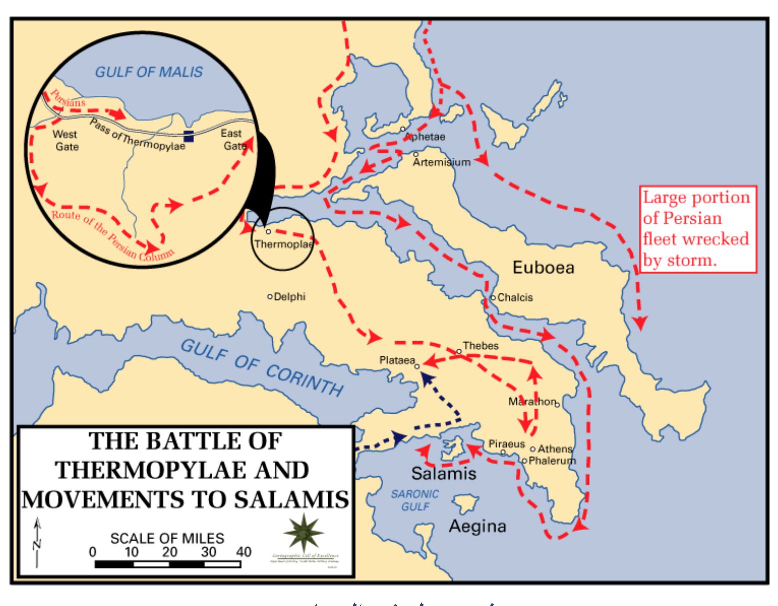
مضيق الدردنيل

هنا أمر زيركسيس الفخور بنفسه، وهو في ثورة غضب، بعقاب البحر بقيده بالسلاسل، والأمواج بجلدها 300 جلدة. لتجرؤهما على تحدي سيد البحار وإفساد أعماله.

تقريبا كل المدن الصغيرة في اليونان، قد استسلمت ودانت له. فيما عدا، اسبرطة، أثينا، وبلدين صغيرتين هما ثيسبيان وبلاتا. فقد رفضوا الاستسلام ل زيركسيس الفارسي.

ليونيداس

هنا سار الغازي زيركسيس بجيشه، إلى أن وصل إلى ثيرموبيل. في هذه البقعة، كان ليونيداس، واحدا من اثنين من ملوك اسبرطة، مع بضعة آلاف من الجنود الشجعان، في انتظار مجيئه.



ثيرموبيل في اليونان

لمدة أربعة أيام، ظل زيركسيس ينتظر فرار هذه الشرذمة الصغيرة المقاومة، فلا قبل لها في مواجهة جيشه العرمرم. وعندما نفذ صبره، أرسل لهم يطلب منهم تسليم أسلحتهم. وكان الجواب: "تعال وأخذها

بنفسك." كان هذا هو الجواب القصير البليغ، الذي صدر عن مواطني لاكونيا المشهورين بالبلاغة في الكلام.



ليونيداس

أمرت أشجع القوات الفارسية بمواجهة قوات ليونيداس، ولكن كانت تلقى مقاومة عنيفة فترجع مقهورة مهزومة.

ذهب أطلس، هذا الخائن البائس الخسيس، وأبلغ الفرس عن مسار سري، يمكنه من موقع يطل على معسكر أعدائه. احتل الفرس هذا الموقع خلال الظلام والصمت ليلا.

في صباح اليوم التالي، اكتشف الإغريق الخيانة، وأنهم قد تم الغدر بهم. كان ليونيداس يعرف، بجيشه الصغير، أنه لا قبل له في مواجهة جيش زيركسيس. لذلك سرح جيشه، وأبقى معه من بلده اسبرطة، 300 محارب فقط.

قال إنه، بعد استشارة عرافة المعبد، التي تمثل الوساطة بين الإنسان والآلهة، علم أن اسبرطة أو ملكها يجب أن يهلك في هذه المعركة. وكان يتوق إلى الموت من أجل بقاء بلده العزيز اسبرطة.

سار زيركسيس بجيشه الكبير لكي يواجه هذه الفرقة الصغيرة الشجاعة. سقط ليونيداس من بين الأوائل، وقاتل بشجاعة وتغطى جسمه بالجروح. من بين ال 300 بطل، هرب واحد فقط ليحمل إلى اسبرطة أخبار محاربيها الشجعان، الذين ماتوا جميعا دفاعا عنها. هذا الرجل لم يكن جبانا. لأنه أثبت شجاعة غير عادية في معركة بلاتوا.

قام زيركسيس، بالتمثيل بجثة ليونيداس، وتركها مصلوبة. لكن، بعد ذلك، أقيم نصب تذكاري عند الممر الضيق ثيرموبيلاي، للرجال الشجعان الذين ماتوا هناك. لم يموتوا مهزومين، ولكن غلبتهم الكثرة، والكثرة تغلب الشجاعة. فقد كانوا 300 يقاتلون جيشا، قوامه ثلاثة ملايين جندي فارسي.

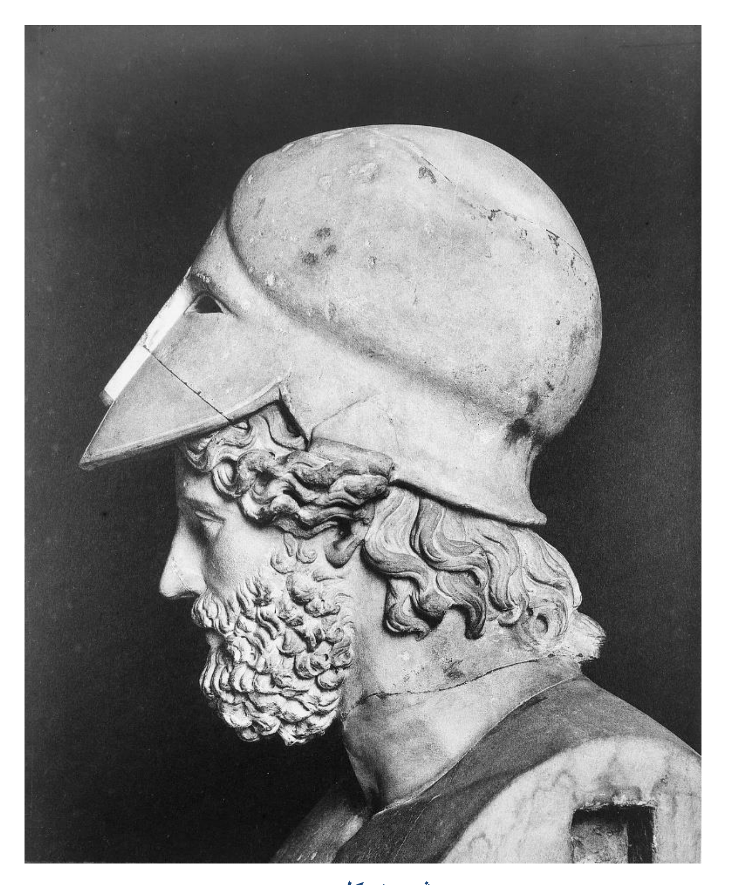
كتب الشاعر سيمونيدس بضعة أسطر على هذا النصب، والتي تترجم بالتالي: "اذهب، أيها الراكب، وأخبر لاسيدامون، أننا متنا هنا في طاعة قوانينها!". لاسيدامون إحدى بلاد اسبرطة، واسبرطة من بلاد اليونان.

هؤلاء الاسبرطيون الأبطال لم يموتوا هباء. لأنهم قتلوا عشرين ألف فارسي، واحتجزوا بقية الجيش لبعض الوقت، حتى يعطوا أصدقاءهم فرصة للاستعداد والتحضير. بسالتهم، جعلت الفرس يهابون براعة الإغريق في القتال. لقد حدث ذلك عام 480 ق م. بعد عشر سنوات فقط من معركة ماراثون.

كانت مصر في ذلك الوقت تحت حكم زيركسيس، وكذلك مقدونيا والعديد من البلدان الأخرى.

ثيمستوكليس

أصبحت أثينا الآن معرضة لغزو الفرس. وقام ثيمستوكليس بتذكرة الأثينيين بأن العرافة قد منعتهم من الاحتماء بجدران مدينتهم الخشبية، ودعتهم لترك المدينة واللجوء إلى سفنهم للحماية.



ثيمستوكليس

كبار السن من الرجال والنساء والأطفال، هربوا إلى مدينة تروزين. أما باقي الرجال، فلجأوا إلى أسطولهم الراسي في سلاميس.



سلاميس بجزيرة قبرص

سيمون، ابن ميلتياديس، الذي كان آنذاك صغيرا، بذل كل ما في وسعه لتشجيع وإلهام زملائه المواطنين. لم يبق في أثينا سوى عدد قليل من الأشخاص. قتلوا وهم يقاتلون الفرس بنبل وشجاعة.

كم كانت دهشة زيركسيس، عندما رأى مدينة أثينا مهجورة وخاوية على عروشها. فقام بحرق قلعتها، وأرسل تماثيلها ولوحاتها وتحفها إلى سوسا، التي كانت آنذاك عاصمة بلاد فارس.

قاد ثيمستوكليس الأسطول الأثيني في سلاميس، ولم يكن على علم بأن الأسطول الفارسي قد حاصر سفنه من كل جانب في ليلة واحدة.

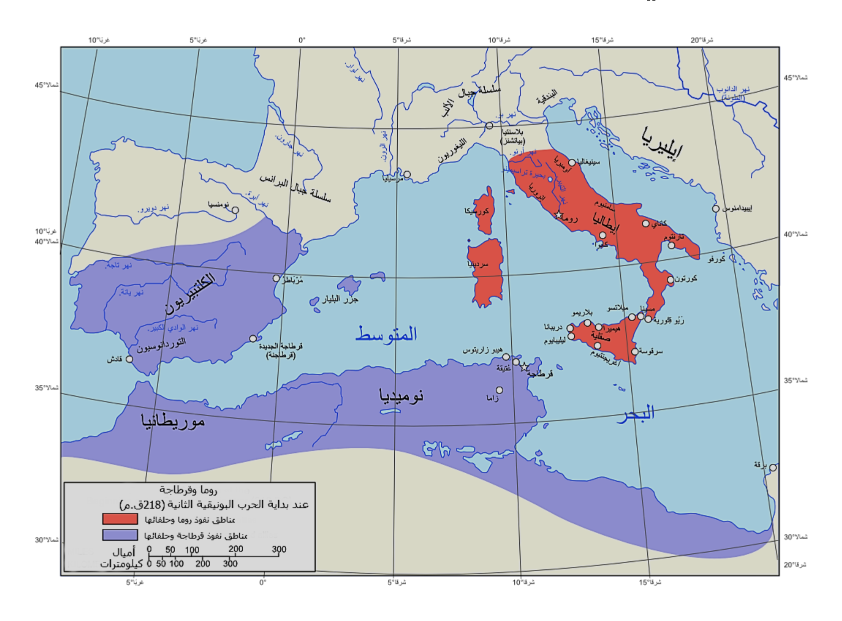
هنا سارع أريستيدس، الذي بين مرة أخرى رجاحة عقله وبعد نظره، بإبلاغ قائد الأسطول بهذا الوضع الخطير. أما هاميستوكليس، فقد قال للقائد، "دعونا ننبذ خلافاتنا ونكون أصدقاء. أنت تأمر، وعلينا الطاعة." ثم نصحه بأن يبدأ الهجوم فورا.

ثيمستوكليس، قائد الأسطول، كان سعيدا بهذه الروح وهذا السلوك. فلو لم يبلغه أريستيدس أن الفرس كانوا يحاصرون سفنه، لكان أسطولهم، على الأرجح، قد انتصر بسبب كثرة عدد سفنهم. وأصبح ثيمستوكليس مدينا بالفضل ل أريستيدس. الرجل الذي كان قد ساعد في نفيه من أثينا سابقا بسبب الغيرة الحمقاء.

هاجم الأثينيون الأسطول الفارسي بضراوة، وبعد هجمة عنيفة قصيرة، جعلوه يفر هاربا. بعض السفن أسرت، وبعضها دمر، والباقي فر مذعورا. كان زيركسيس يجلس على جبل عال، لكي يرى الفرس وهي تهزم اليونانيين.

لكن، عندما رأى أسطوله يلوز بالفرار ويجر أذيال الخيبة، وأن الغلبة لليونانيين، أسرع بالعودة مع جيشه إلى بلده. عندما وصل إلى مضيق هيليسبونت (الدردنيل)، وجد الجسر الذي قد بناه سابقا بالقوارب قد دمر وتحول إلى أشلاء، بسبب عنف الأمواج. مما جعله يعبر المضيق على ظهر قارب صغير. معركة سلاميس كانت عام 480 ق م.

قرطاجة، هي الآن بلد غني بسبب تجارتها مع مصر وبلاد الغال وصور، وأماكن أخرى في حوض البحر الأبيض المتوسط، وكانت تستخرج الذهب والفضة من مناجم في إسبانيا.



امبراطورية قرطاجة

أبرمت قرطاجة معاهدة مع زيركسيس الفارسي، لمهاجمة اليونانيين، الذين استقروا في إيطاليا وصقلية. وكانت تستعد لغزو اليونان نفسها.



هاميلكار، على اليسار يلبس الخوذة

لذلك أعدت جيشا كبيرا، وأعطت قيادته ل هاميلكار، الذي أبحر إلى صقلية، وهبط في باليرمو.



جيلون

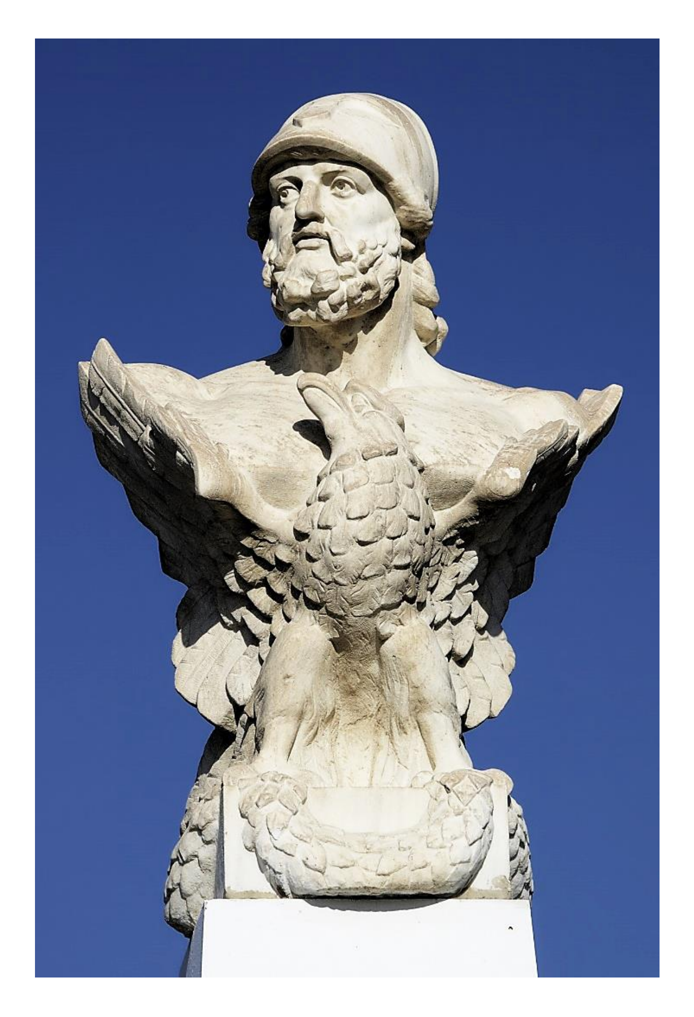
كان جيلون قائدا شجاعا في سيراكيوز، وهي مدينة في جزيرة صقلية. تصدى ل هاميلكار وقاومه ببسالة. ثم غزا قرطاجة نفسها بشكل كامل. قتل هاميلكار، وأحرق أسطوله، وأسر قواته. حقق هذا النصر في نفس اليوم الذي انتصر فيه ثيميستوكليس في سلاميس. وكأن زيركسيس، قد خسر معركتين في يوم واحد.

كمكافأة على مجهوداته العظيمة، توج جيلون ملكا على سيراكيوز. أما جيسكو ابن هاميلكار، فقد نفاه القرطاجيين من البلاد، بسبب هزيمة والده في الحرب. كما لو كان من الممكن للقائد العسكري حسم نتيجة المعركة بإرادته.

إذ ربما يكون هاميلكار قد بذل قصارى جهده، وبالتأكيد قد مات في سبيل بلده. أما الأثينيين، فقد عادوا بفرح إلى مدينتهم. وعندما وجد ثيميستوكليس الجيش الفارسي لم يعد يرهب أحدا، ذهب إلى أثينا، وبدأ عملية الاصلاح والتشييد.

(07)

سيمون



سيمون ابن ميلتياديس

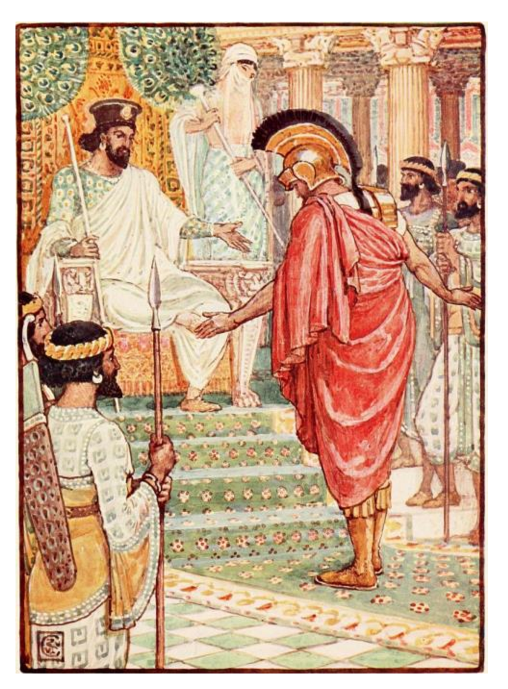
كان سيمون، ابن ميلتياديس، مشهورا مثل والده. انضم إلى أريستيدس، في وقت من الأوقات، لقيادة الأثينيين. وكان سيمون، هو نفسه الجنرال الذي خاض معركتين ضد الفرس في نفس اليوم، وفاز بهما على حد سواء، معركة بحرية، وأخرى برية، عند مصب نهر يوريدوم.

ومع ذلك، قام الأثينيون، غريبو الأطوار، تحت حجة واهية، بنفي سيمون لمدة عشر سنوات، وهي المدة المعتادة للنفي. سيمون، قبل انتصاراته الحربية، كان قد قام بإصلاحات كبيرة في المدينة: غرس الأشجار والورود، وأقام البساتين، وبنى ساحات فسيحة لممارسة الرياضة البدنية، وشيد الطرق الطويلة والمشايات الظليلة، وميادين للخطابة والتحدث للجماهير.

أوشيلوس وسوفوكليس، هما شاعران وكتاب مسرح مأساوي شهيران. عرضت أعمالهما على سيمون. ولأن الجائزة الأدبية كانت من نصيب سوفوكليس، تألم أوشيلوس، وكان أصغرهما سنا، لدرجة أنه غادر أثينا ولم يعد إليها أبدا.

سوفوكليس

نفي أيضا ثيمستوكليس، ولكنه لم يقبل بهدوء هذا الظلم. فذهب إلى ملك بلاد فارس، وعرض خدمته بأي طريقة يشاء. كان أرتاكسيركسيس آنذاك هو ملك بلاد فارس. زيركسيس كان قد مات وشبع موت، وهذا هو الابن الثالث له.

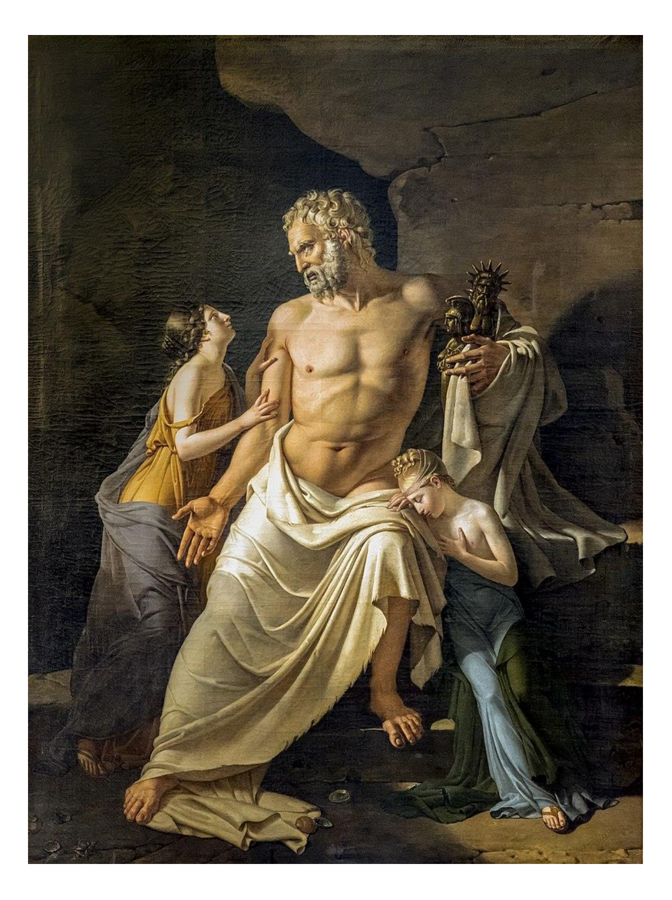


أرتاكسيركسيس الأول

لم يوظفه أرتاكسيركسيس على الفور. وبعد ذلك، عندما أراد أن يجعله جنراله ضد سيمون والأثينيين، كان ثيميستوكليس غير راغب في محاربة وطنه الأصلي. وكان في نفس الوقت، ملتزما بوعده ل أرتاكسيركسيس. فلم يجد حلا لهذه المشكلة إلا بقتل نفسه.

أريستيدس

توفي أريستيدس في سلام، في سن الشيخوخة. كان محبوبا ومكرما من قبل مواطنيه. وربما كان أكثر احتراما من أي إنسان عاش في أي وقت مضى. حياته كانت زاخرة بقصص المجد والفضيلة.



أريستيدس

ذات مرة، عندما كان قاضيا يحكم في قضية، وقبل أن ينطق بالحكم، قال إن المتهم من حقه الدفاع عن نفسه. بل كان يساعد المتهم على إثبات براءته. وفي قضية أخرى، أراد أحد الطرفين أن يستميله إلى جانبه. فادعى أن خصمه قد فعل أشياء ضارة ضد أريستيدس. فقال له أريستيدس: "لا تكلمني عن هذه الأشياء. أخبرني فقط عن الضرر الذي سببه لك هذا الخصم. هذه هي القضية التي أحكم فيها."

الشجاعة، الثبات، التحمل، كلها فضائل عظيمة ومشرقة. لكن الحقيقة والعدالة، هما الأعلى والأكثر مجدا. هما أعظم الفضائل.

بعد أن تم استدعاء سيمون من قبل الأثينيين، أعطوه قيادة الجيش الذي كان يسير ضد أرتاكسيركسيس. لكنه مات بعد وقت قصير، إما من جرح، أو من المرض.

أثينا واسبرطة كانتا على وفاق وود، ساعدت كل منهما الأخرى في حروبهما العديدة. كلاهما من بلاد اليونان.

كان المؤتمر العام الذي تدعى إليه جميع مدن اليونان، 12 مدينة، يدعى "أمفيكتيونيك"، نسبة إلى "أمفيكتيون"، ثالث ملوك أثينا. للنظر في المسائل الهامة التي تهم اليونانيين جميعا. يجتمع في السنة مرتين في مدينة ثيرموبيلا، وأول اجتماع كان عام 522 ق م.

بعد وقت قصير من إنقاذ كوريولانوس لروما، عندما أوقف زحف الجيش الفولشي، سعى أحد القناصل، كاسيوس، لوضع قانون لتقسيم الأراضي بالتساوي. كان هذا يسمى بقانون الإصلاح الزراعي. وكان الفقراء يؤيدون هذا القانون، بقدر ما كان الأغنياء يعارضونه بشدة. لكن القانون لم يتم تنفيذه.

محاولات تنفيذ قانون الإصلاح الزراعي، سببت اضطرابات في روما، ونزاعات بين الفقراء والأثرياء. في واحدة من هذه المشاجرات، تصرف كاسو، وهو شاب متحمس، بكثير من العنف، مما تسبب في الحكم عليه بغرامة كبيرة لسوء سلوكه وتحديه السلطات.

والده العجوز، سينسيناتيوس، باع كل ما يملك، للحصول على مبلغ الغرامة المطلوبة. ثم تقاعد في كوخ صغير على ضفاف نهر التيبر. التيبر، هو النهر الذي يتدفق عبر روما.

عندما كان الرومان يمرون بأزمة كبيرة، حرب أو زلزال مثلا، كان من عادتهم تنصيب ديكتاتور مؤقت، يملي عليهم ما يجب القيام به، وأي أمر يصدر عنه، يطاع على الفور.



الديكتاتور لم يكن دائما طاغية

الدكتاتور الأول كان لارتيوس. بعد ذلك بأربعين عاما، كانت روما في خوف وارتباك من تقدم قوات غازية تتجه نحوهم. لذلك لم يجدوا أفضل من سينسيناتيوس المتقاعد، لكي ينصبوه دكتاتورا لهم.

سينسيناتيوس، الذي تم استدعاؤه لإنقاذ روما من الدمار، كان يقوم بفلاحة مزرعة صغيرة من أربعة أفدنة بنفسه. وجده نواب مجلس الشيوخ خلف محراثه، في حقله الصغير.

توسلوا إليه أن يلبي نداء الواجب. وطلبوا منه أن يلبس ملابسه ويستمع للرسالة الآتية من مجلس الشيوخ. سأل سينسيناتيوس بفضول: "هل كل شيء على ما يرام؟"

ثم طلب من زوجته راسيليا، أن تحضر له ثوبه من كوخهم على ضفاف النهر. وبعد أن مسح الغبار والأوساخ التي كانت عالقة بالثوب، لبسه وذهب إلى مجلس النواب. هناك، تم تحيته وتنصيبه دكتاتورا لروما، التي كانت تتعرض لخطر داهم عام 458 ق م. منصب الدكتاتور كان أثناء حالات الطوارئ فقط.

سينسيناتيوس

أرسلت مركب فخمة، لكي يعبر بها سينسيناتيوس النهر، لأن مزرعته كانت تقع على الجانب الآخر من نهر التيبر. أبناؤه الثلاثة، مع أصدقائه وعدد من أعضاء مجلس الشيوخ، كانوا في استقباله، عندما وصل لروما. ثم نقل في موكب أبهة إلى قصر كان معدا له.

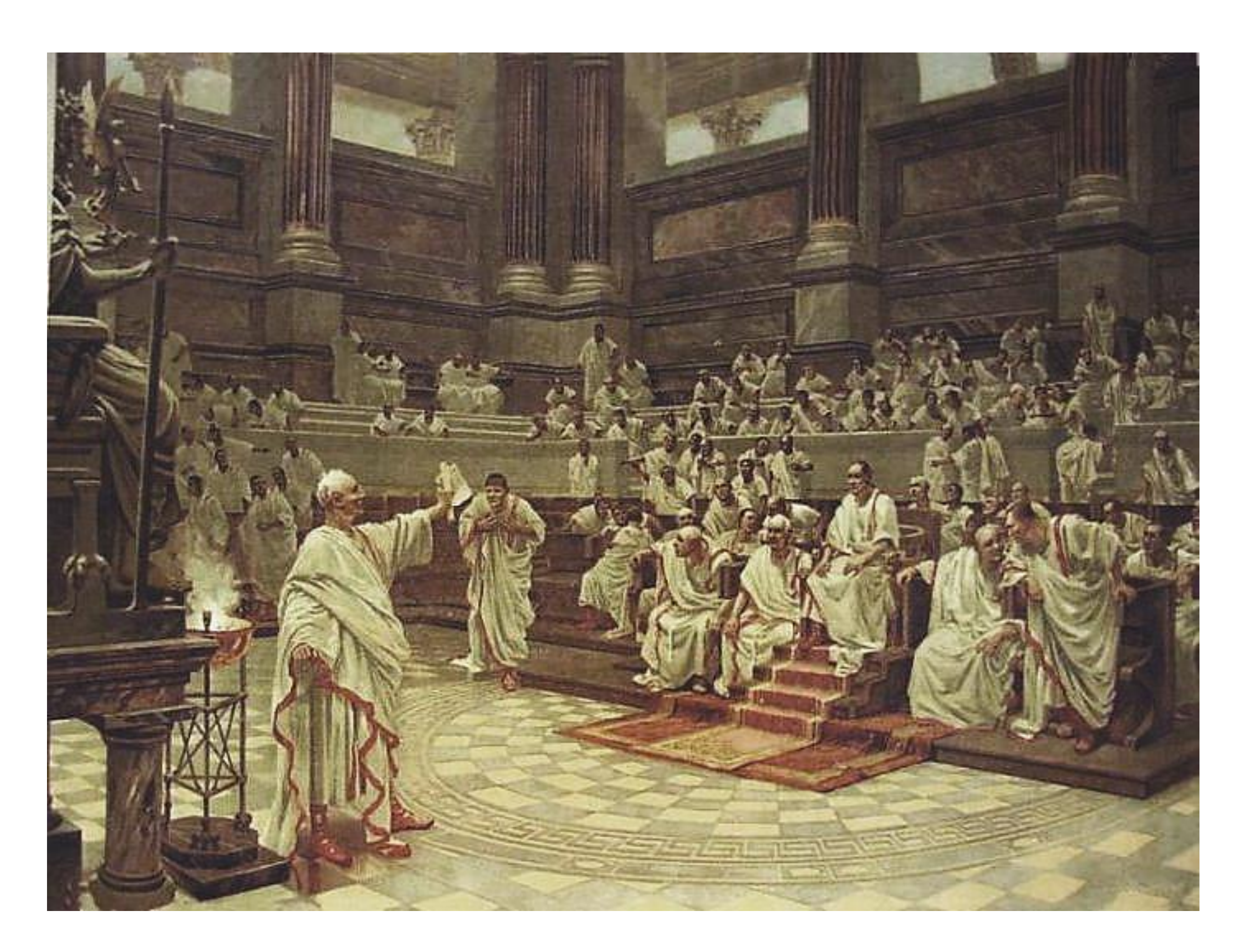
في صباح اليوم التالي، بدأ تحصين المدينة وحشد الجنود للمعركة. وسرعان ما حقق سينسيناتيوس نصرا عظيما، جعل أسرى العدو يمرون تحت النير. وهو عبارة عن ثلاثة رماح. اثنان ثابتان بحزم في وضع رأسي في الأرض، والثالث يوضع أفقيا فوقهما. لكي يمر الأسرى من تحته، وهذا يعتبر عارا كبيرا جدا للمحارب في الزمن القديم.

بعد أن أنهى سينسيناتيوس الواجب الذي تم استدعاؤه من أجله، استقال بتواضع شديد من منصب الديكتاتور، بعد 16 يوما. لقد كان من حقه أن يبقى في منصبه لمدة ستة أشهر. لكنه رفض، وفضل السير خلف المحراث في حقله. قال إن السلطة تطلب فقط عندما تكون ضرورة. لقد اختير مرة أخرى ديكتاتورا، عندما كان في الثمانين من عمره. وتصرف أيضا بحكمة ورجاحة عقل.

ديسيمفيري

بعد فترة وجيزة من تنصيب سينسيناتس دكتاتورا أول مرة، اتفق المواطنون على أن روما تحتاج إلى قوانين جديدة. لقد سمعوا عن قوانين سولون الممتازة في أثينا. لذلك تم إرسال ثلاثة أشخاص إلى أثينا، للحصول على نسخة منها، ومعرفة قوانين المدن الأخرى اليونانية.

بعد عودة هؤلاء النواب إلى روما، أصبحت المدينة تتمتع بشكل جديد من أشكال الحكم. بدلا من اثنين من القناصل، يتم اختيار عشرة قضاة يطلق عليهم ديسيمفيري، هم من يقومون بحكم المدينة وسن قوانينها. كلمة ديسي تعني عشرة.



القضاة العشرة يضعون القانون الروماني

بعناية فائقة، سن مجلس القضاة، ديسيمفيري، مجموعة قوانين رائعة، تم الحفاظ عليها لفترة طويلة، وإلى وقتنا الراهن، لازالت تنال الإعجاب والاحترام في أجزاء كثيرة من أوروبا. وبسببها، بات القانون الروماني مشهورا.

فرجينيا

استمر نظام ديسيمفيري لمدة ثلاث سنوات فقط. بسبب قصة مأساوية تسببت في فضه وإلغائه. القصة تقول أن أحد أعضائه العشرة، ويدعى أبيوس كلاوديوس، وقع في حب فتاة جميلة، اسمها فرجينيا. كانت مخطوبة للزواج من إيسيليوس، وهو شاب شجاع لم يرضخ لإغراءات أبيوس بالبعد عنها.

لكي يمنع أبيوس هذا الزواج بالعافية، ويحصل على فيرجينيا الجميلة، اتفق أبيوس مع رجل يدعى كلاوديوس نظير مبلغا من المال، على أن يقوم الأخير بادعاء كاذب، أن الفتاة هي جاريته، لكن سرقها والدها فيرجنيوس منه، ويريد استرجاعها.

أبيوس كان يعلم أن القضية سوف تعرض عليه كقاض لكي يحكم فيها. ومن ثم يمكنه إعطاء الفتاة المسكينة إلى كلاوديوس زورا وبهتانا. بعد ذلك، يمكنه أخذها من كلاوديوس حسب الاتفاق. الورق ورقنا والدفاتر دفاترنا. وأطيعوا الله ورسوله وأولي الأمر منكم.

الفتاة فرجينيا كانت مرعوبة بشكل مخيف، عندما وقفت أمام أبيوس، هي وكلاوديوس، الذي أقسم ب أغلظ الأيمان أنها جاريته، وأنها ولدت في بيته، وقد سرقها أبوها، فيرجينيوس، منه.

كان الناس مشوشين، لا يعرفون من يصدقون. هل فرجينيا المرعوبة، أم كلاوديوس صاحب الصوت العالي، والذي أقسم بطول لحيته زورا.

عندما حاول خطيبها التدخل والشهادة لصالحها، أمر أبيوس بطرده من البلاد. وكان فيرجينيوس الأب المتهم ظلما بالخطف، على مسافة بعيدة في معسكرات الجيش. ربما كان متطوعا.

تركت القضية لليوم التالي. في نفس الوقت، أرسل أبيوس أوامره باحتجاز فيرجينيوس وعدم السماح له بترك مخيم الجيش. لكن خطيب الفتاة، كان قد أبلغ والدها بما حدث قبل أمر احتجازه.

في صباح اليوم التالي، ظهر فيرجينيوس في ميدان عام يرتدي ملابس الحداد، ومعه ابنته التي لا تكف عن البكاء. وأخذ يتحدث إلى الناس عن القصة الحقيقية. وأن أبيوس قد أحب ابنته، ودبر هذه المكيدة لكي يفوز بها.

اقترب الحراس للقبض على فيرجينيا وتسليمها للنصاب المدعي كلاوديوس، وظن أبيوس أن خطته قد نجحت، والجو بهيج، وتم له ما أراد. ولم يكترث بمقدار البؤس والعذاب الذي سببه للفتاة وخطيبها ووالدها.

فيرجينوس، وهو يرى أنه لا فائدة من إنقاذ ابنته من فك الحوت المفترس أبيوس، توسل للسلطات للسماح له بتوديع ابنته وداع الفراق. بعد أن تمت الموافقة، أخذ فيرجينوس ابنته بين ذراعيه، وتشبثت هي بعنقه، بينما كانت دموعها تغرق وجهه.



فيرجينوس يقتل ابنته فيرجينيا لكي يخلصها من العبودية

قبّل فيرجينيوس رأس ابنته بحنان، وقبل أن يرفع رأسه، طعنها في مقتل بخنجره وهو يصرخ قائلا: "أوه! طفلتي المسكينة فرجينيا، هذه هي الطريقة الوحيدة لكي تتحررين من العبودية." ثم رفع خنجره الدامي في وجه أبيوس، شاحب الوجه، والمرعوب فرقا، وهتف: "بحق دم ابنتي البريئة، يا أبيوس، سوف أرسل رأسك إلى آلهة الجحيم."

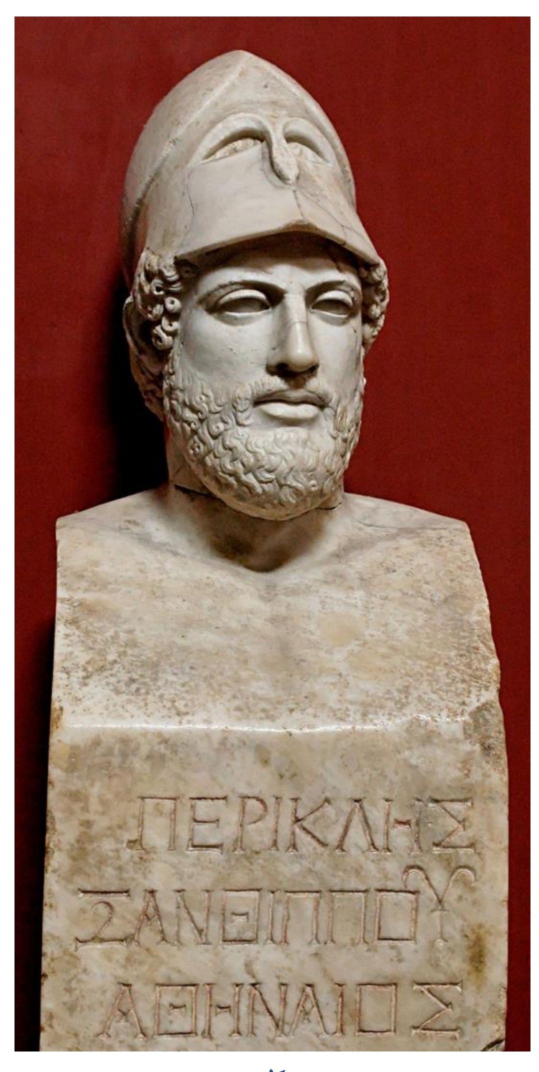
ساد الرعب والارتباك في كل المكان. أظهر إيسيليوس، خطيب القتيلة، جثتها للناس، مما أثار غضبهم وسخطهم على أبيوس. في نفس الوقت، جرى فيرجينيوس بخنجره الملطخ بدماء ابنته إلى معسكر الجيش، مما أثار غضب الجيش وسخطه أيضا على أبيوس.

لم يستطع مجلسي ال ديسيمفيري والشيوخ، السيطرة على الأمور وإخماد الاضطرابات، أو إخفاء الفضيحة. أما أبيوس، فقد هرب كالفأر واختبأ. فالكذاب جبان، ومن الحب ما قتل.

لم يجد مجلس الشيوخ بدا من إلغاء ال ديسيمفيري (مجلس العشرة)، لإعادة الهدوء للمدينة. ثم رجعوا لنظام حكم القناصل، كما كان الوضع من قبل. حدث هذا عام 449 ق م. ثم أنشئت المنابر العسكرية والرقابية بعد وقت قصير من إلغاء مجلس العشرة، ديسيمفيري.

(08)

بريكليز



بريكليز

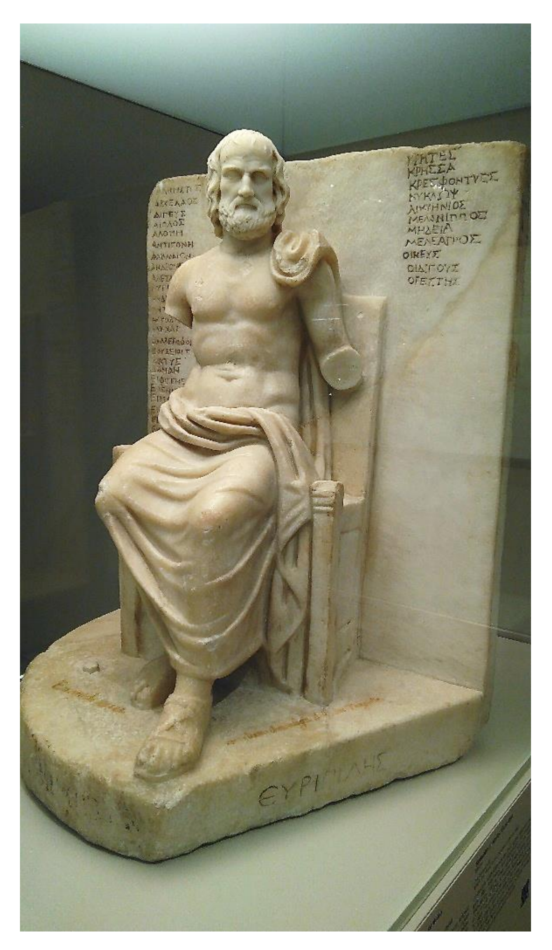
كان بريكليز أصغر سنا من سيمون، عندما قسموا السلطة في أثينا بينهما. وكان بريكليز مشهورا بكرم أخلاقه وفصاحة خطابه. عصره كان يعرف بعصر بريكليز. لأنه كان مليئا بالرجال الأفذاذ والمثقفين الأذكياء، والعديد من العمائر والمعابد والحدائق والتماثيل الجميلة في أثينا.

عندما اشتكى بعض الناس من أن بريكليز قد أنفق الكثير من المال العام في تجميل المدينة، ذهب إلى جمعية الشعب، وتساءل عما إذا كانوا يعتقدون حقا أن ما يفعله هو إسرافا؟ فجاءه الجواب بنعم، هو الإسراف بعينه.

فقال بريكليز: "إذن، اجعلوا التكاليف على نفقتي الخاصة. في مقابل ذلك، ضعوا اسمي على المباني الجديدة." أي خلوا المشاريب على حسابي. وكان الرد: "لا، لا. لا. أنفق ما شئت من المال العام أفضل." بالطبع الغيرة هي السبب.

يوريبيدس، الشاعر والكاتب المأساوي العظيم، وفيدياس، أعظم نحات عاش على الإطلاق، ازدهرا في هذا الوقت. لقد صادق بريكليز هؤلاء الرجال البارزين وحماهم وقربهم إليه.

وبالتأكيد لا شيء يمكن أن يكون أكرم ولا أعظم ولا أنبل لأي أمة، من عناية من بيدهم السلطة، بطبقة الفنانين والأدباء والفلاسفة والعلماء. لأن هؤلاء الموهوبين، لديهم ما هو أكثر شرفا وقيمة من الذهب والألقاب الاجتماعية.



يوريبيدس

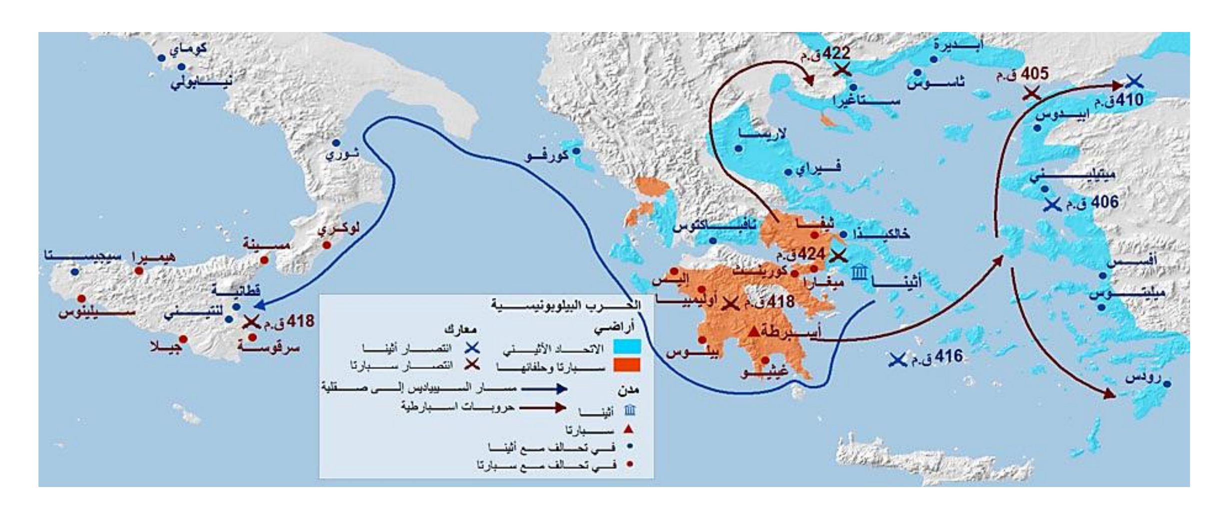
لكن الظرف الذي أظهر عظمة بريكليز أكثر من غيره، جاء عندما كان يحتضر بين أصدقائه، الذين أحاطوا به. ظنا منهم أنه غائب عن الوعي وغير قادر على سماع ما يقولون. بدأوا يعددون أعماله وإنجازاته المجيدة، والصروح الجميلة التي أقامها ونمقها.

وإذا به يهمس بصوت خافت، لا يكاد يسمع، قائلا: " لقد أهملتم شيئا هاما، هو بالنسبة لي، أكثر شرفا من كل الأمجاد التي تحدثتم عنها. وهو أنني أثناء حكمي لأثينا، لم أظلم أحدا، أو أستبد أو أسبب ألما لمخلوق"

دفع الأثينيون، بسبب الغيرة، ثوسيديس المؤرخ، ونسيب سيمون، للوقوف في وجه بريكليز، للتقليل من سلطته المتزايدة. لكن بريكليز، بادر بنفي ثوسيديس من المدينة. وبذلك، أصبح بريكليز أكثر هيبة في أثينا.

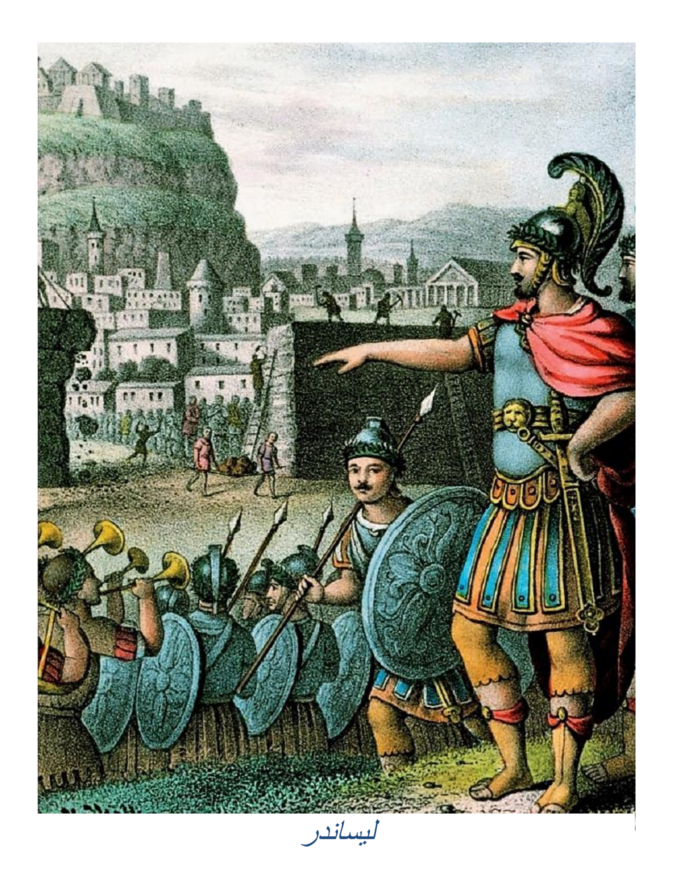
لمدة 40 عاما، كانت سلطة بريكليز غير محدودة. أثينا في هذا الوقت، تعتبر في أعلى مستويات الأناقة والشياكة والمعرفة. هي واسبرطة، كانتا في المرتبة الأولى من بين مدن اليونان.

حدث خلاف بين مدينتي أثينا وكورينث. تطور فيما بعد إلى حرب في اليونان، معروفة في التاريخ باسم "الحرب البيلوبونيزية". استمرت لمدة ثمانية وعشرين عاما. بالتمام والكمال.



الحرب البيلوبونيزية بين أثينا واسبرطة

اسبرطة أخذت جانب كورينث، وكورسيرا أخذت جانب أثينا. باقي المدن اليونانية، انحازت كل منها، إما لهذه أو لتلك. هذا الجزء من اليونان يسمى الآن المورة. اسمه السابق "بيلوبونيسوس".



ليساندر

بعد عدة انتصارات، فازت في النهاية اسبرطة. جنرالهم، ليساندر، أخضع الأثينيين، واحتل مدينتهم، ثم قام بحرقها.

السيبياديس

كان من المعتاد جدا، في أثينا، أن يتبع الشباب الحكماء والفلاسفة، كخدم وتلاميذ ومريدين وأتباع، للنهل من ينابيع الحكمة الصافية العذبة، وخبرة العمر من مصادرها الأولى.

كان السيبياديس صبيا صغيرا، من مريدين الحكيم سقراط وخادما له. سقراط، هو واحد من أكثر الحكماء والفلاسفة شهرة في اليونان في ذلك الوقت. وبالرغم من أن السيبياديس لم يكن ملتزما بخدمة سيده بصفة منتظمة، وكثير الغياب، إلا أنه بعد ذلك، صار من مريديه، متعلقا به لا يفارقه.



سقراط يجر السيبياديس من أحضان الملذات

هناك قصة طريفة تخص هذا الشاب. في ثورة غضب، لم يتملك السيبياديس أعصابه، وقام بضرب رجل عجوز محترم من أثينا. أعرب الحاضرون عن سخطهم من سلوك هذا الشاب الوقح غير الجدير بالاحترام.



السيبياديس يتلقى الحكمة من سقراط

إلا أن السيبياديس بعد ذلك، شعر بالخجل وتأنيب الضمير. فذهب إلى الرجل، وأعطاه عصا غليظة، ثم طلب منه عقابه بالطريقة التي يريدها. وكان الرجل العجوز مسرورا جدا بصراحة وروح الشاب، لدرجة أنه لم يعفو عنه فحسب، بل أعطاه يد ابنته بعد ذلك بوقت قصير كزوجة.

مع العديد من الفضائل الساطعة، كان السيبياديس لديه أيضا العديد من العيوب الخطيرة. لقد كان مولعا بالسلطة، غيورا جدا من أي شخص يحصل على التصفيق والاهتمام العام.

نيكياس، جنرال قدير جدا، هو الذي وقع السلام مع اسبرطة، الذي لم يدم مدة طويلة، والذي يعرف بسلام نيكياس. كان السيبياديس يكرهه، لأنه كان محبوبا من قبل الأثينيين. بعد ذلك، جددت الحرب بين المدينتين.

أقنع السيبياديس الأثينيين بمحاولة غزو صقلية. فأرسلته أثينا قائدا للقوات. أخذ معه نيكياس. عندما رحلوا، اتهم السيبياديس في قضية، دبرها له أعداؤه، وطلب منه العودة فورا.

لكنه خاف من الأثينيين، وهرب سرا. وعندما قيل له أنه بسبب عصيانه صودرت كل ممتلكاته، وأنه حكم عليه بالإعدام، هتف قائلا: "سأريهم من أنا، وأنني لا زلت على قيد الحياة!"

أدار نيكياس الأمور بمهارة، لدرجة أنه كان على وشك أخذ سيراكيوز في صقلية، لولا مقاومة أهلها بشدة.

بعد وصول قوات اسبرطة لنجدة سيراكيوز، حاول نيكياس الهرب بأسطوله إلى أثينا، لكنه هزم بقوات سيراكيوز. جنوده تم أسرهم. هو نفسه، قطعت رأسه.

أما السيبياديس، فقد هرب في أول الأمر إلى أرجوس، ثم اسبرطة، حيث نال العطف والاحترام من العامة، لالتزامه بزيهم العادي وطعامهم البسيط. لكن أجيس، ملك اسبرطة، لم يكن يثق به. رأى أن السيبياديس، كان يظهر غير ما يبطن، ولم يكن صادقا في سلوكه.

عندما علم السيبياديس بذلك، ترك اسبرطة، وطلب الحماية من تيسافيرنس، حاكم ليديا الفارسي بآسيا الصغرى. هناك، من خلال أناقة أخلاقه وسحر حديثه، حصل على إعجاب وشهرة كبيرتين.

أثينا الآن يحكمها مجلس من أربعمائة عضو. وكان طغيان هذا المجلس كبيرا جدا، لدرجة أن الأثينيين استعانوا ب السيبياديس للمساعدة في استرجاع حرية الشعب.

السفن الاسبرطية كانت تراقب المدينة لانتهاز أية فرصة أثناء الارتباك التي تمر به. لكن السيبياديس مع أسطول صغير، كان قد تجمع في ساموس، هاجم الاسبرطيين، ودمر سفنهم، وبعد وقت قصير دخل أثينا منتصرا.

استاء الأثينيون مرة أخرى من السيبياديس. مما جعله يغادر المدينة لكي يتجنب غضبهم. وعندما سمع أن ليسندر، الجنرال الاسبرطي، كان يخطط ببراعة لغزو الأثينيين، عاد لإخبار قادة أثينا بما كان يجري ضدهم. لكنهم تعاملوا معه بازدراء، وطردوه من المخيم.

الأثينيون كانوا كل صباح ينزلون بأسطولهم في البحر في وضع استعداد، ويتظاهرون بتهديد الاسبرطيين بمعركة وشيكة. لكن أثناء الليل، كانوا يعودون إلى مراسيهم الخاصة. وتتفرق جنودهم وبحارتهم لكي تقضي المساء في طرب ولهو وأحضان النساء.

سمح لهم ليسندر بالقيام بذلك عدة مرات، بدون أن يهاجمهم، حتى يجعل الأثينيين يعتقدون أنه يخشاهم. لكن، في ليلة ظلماء، عندما ترك الأثينيون سفنهم كالعادة، وذهبوا بعيدا للهو والطرب، هاجم ليسندر بأسطوله الأثينيين ودمر سفنهم، وأخذ ثلاثة آلاف أسير منهم.

ثم دخل أثينا، واستولى عليها، وأحرق منازلها، وهدم جدرانها. يقال إن ليسندر الاسبرطي كان قاسيا ساديا، لدرجة أنه كان يطلب عزف الموسيقى أثناء هدم المنازل. بينما نيرون برئ من العزف على القيثارة، عندما كانت روما تحترق. هي مجرد إشاعة.

تقاعد السيبياديس في قرية صغيرة في فريجيا، بآسية الصغرى، وعاش مع امرأة تدعى تيماندرا. لكن الاسبرطيين، أقنعوا الفرس بقتله. فتم إرسال مجموعة من الجنود إلى منزله لهذا الغرض. لكن خوفا من شجاعته المعروفة، لم يجرؤ أحد على الدخول، ولكن أضرموا النار في البيت.

هرع السيبياديس بالخروج من البيت لتجنب النار والدخان، فرماه الجبناء من مسافة بعيدة بالسهام والحراب، التي أردته قتيلا. دفنت زوجته جثته بشكل لائق، وكانت هي الوحيدة التي بقيت معه. هذا الرجل الأسطوري، الذي كانت له سلطة ونفوذ كبيرين.

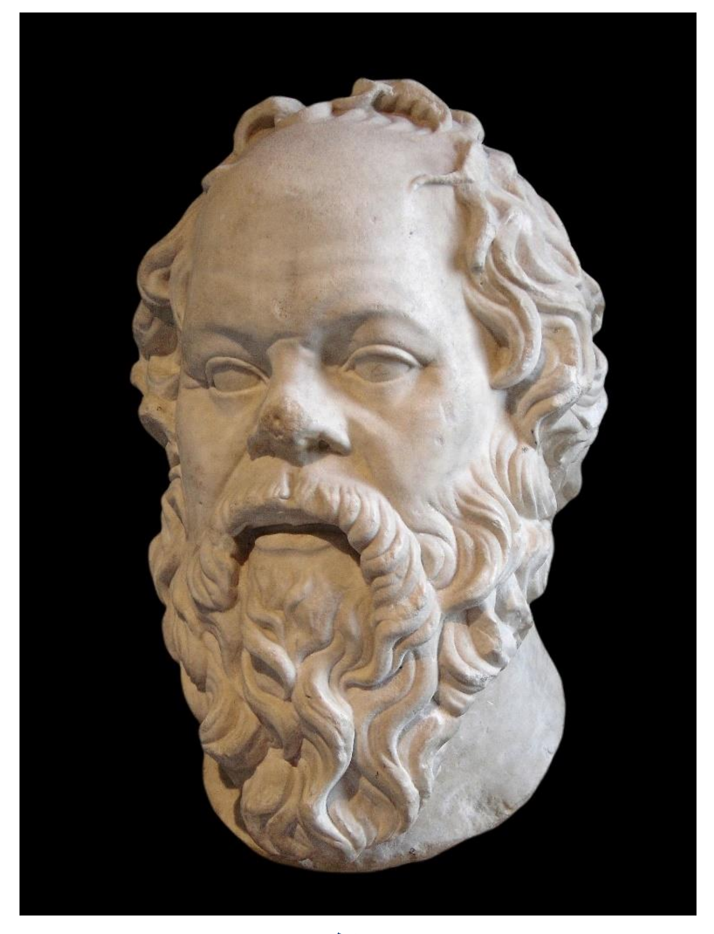
محاولة قتل السيبياديس من قبل الفرس

لم يمض وقت طويل بعد مقتل السيبياديس، لكي يتم إعدام سقراط، صديقه ومعلمه. لقد كان سقراط مواطنا عاديا. لكنه في نفس الوقت، فنان ماهر، جندي شجاع، قاض عدول، وفيلسوف عميق. كانت له مكانة مرموقة في أثينا.

سقراط

خلال حياته الطويلة، كان يُكرم ويُبجل من جميع الرجال. لكن في شيخوخته، كان هناك من يغارون من شهرته، متحمسون للإيقاع به. فتم القبض عليه، بتهمة ازدراء الأديان وإفساد الشباب. وحكم عليه بالإعدام، لأنه مجرم وبذيء.

ولد سقراط من والدين فقيرين. لكنه لم يخجل أبدا من أصله. تربى على مهنة والده من صنع التماثيل. بالرغم من أنه كان يكره التجارة، إلا أنه كان صاحب أعمال وفضائل. كانت موضع إعجاب عالمي. وضعته في مكان مرموق مع عظماء المفكرين في أكروبوليس أثينا.



سقراط

الفلسفة كانت بالنسبة لسقراط، أهم أعماله وسبب شهرته. بعد بضع سنوات من الأعمال التجارية المختلفة والعمل كمدرس خصوصي بعض الوقت، بدأ أثرياء أثينا يثقوا به لتعليم أولادهم. مما جعله يترك متجره ويتفرغ لتعليم الأولاد.

هذا التغيير، قد مكن سقراط من حضور المحاضرات العامة لأكثر الفلاسفة شهرة في ذلك الوقت، مما أغراه بطلب المزيد من المعرفة. وبعد ذلك، أرسى أصول الأخلاق المثالية، التي أحبتها الأجيال التالية.

خلال الحرب البيلوبونيزية بين أثينا واسبرطة، اشترك سقراط، مثل بقية مواطنيه، في الحرب. وقاتل بجرأة وشجاعة. وبسبب شجاعته، اثنان من أصدقائه وتلاميذه، السيبياديس وسينوفان، مدينان له بالحفاظ على حياتهما.

في حصار بوتيدا، سقط السيبياديس مصابا بجروح خطيرة، وكان على وشك القتل من قبل العدو، هنا أسرع سقراط بالتدخل، وأنقذه هو وأسلحته، وحال بينه وبين الأعداء. كان يستحق سقراط نوط الشجاعة لهذا الفعل، لكنه تنازل عنه لصديقه الشاب السيبياديس، لرفع روحه المعنوية.

وعندما شارك سقراط في الحرب ضد بوتيان، أظهر شجاعة نادرة في العديد من المواقف. في إحدى المرات، عندما بدأ الأثينيون يتراجعون أمام أعدائهم، لاحظ سقراط تلميذه سينوفان ملقى على الأرض، مغطى بالجروح. على الفور، بدون الحرص على سلامته، حمل سقراط سينوفان مسافة كبيرة، وهو يحميه إلى أن أوصله إلى مكان آمن.

شخصية سقراط هي أكثر وضوحا كفيلسوف وأخلاقي، منها كمحارب أو قاض. وعندما كان في السلطة، مارس بطريقة عملية مبادئه. لكن الأمر كان على خلاف ذلك مع مواطنيه.

من المضحك أن سقراط كان يعترف بأنه لا يعلم شيئا. لهذا قالت كاهنة دلفي أن سقراط هو أحكم الناس. لأنه على الأقل يعلم أنه جاهل.

بينما الآخرون يعتقدون خطأ أنهم يعرفون كل شيء. وله القول المشهور: "أيها الإنسان، اعرف نفسك". ترى كم منا من يعرف أنه لا يعلم شيئا؟ وخصوصا حكامنا ومن بيدهم مصائرنا.



أفلاطون

لم يكتب سقراط في حياته كتابا واحدا. لكن محادثاته قام بنشرها تلميذه النجيب أفلاطون تحت عنوان محاورات سقراط .

كانت فضيلته وعلمه مبهرتين، تنمان عن عقلية متألقة للغاية، بالنسبة لعقول مواطنيه المستعبدة والمتدنية في التفكير. عندما وجدوه يعارض أحكام الإعدام التي صدرت ظلما ضد بعض القادة، بدأوا يكرهونه.

كان أريستوفان، يسخر منه على المسرح، مما شجع أعداءه على تجريمه، واتهامه بإفساد الشباب الأثيني، وبتكفير آلهة الدولة. وعلى الرغم من أن هذا قد يبدو زيفا وبهتانا، فقد اعتمد المتهمون في نجاح قضيتهم على شهادات زور، قام بها شهود كاذبون، وقضاة جهلة تتملكهم الغيرة والحسد. وأخيرا، حكم على سقراط بالموت، وقيد بالسلاسل، وأودع ظلمات السجن.

بسبب التعاليم الدينية السائدة في ذلك الوقت، تم تأجيل تنفيذ حكم الإعدام لمدة ثلاثين يوما. خلال تلك الفترة، كان أصدقاء سقراط وتلاميذه مرافقين دائمين له. عندما بكى أحد هؤلاء بحسرة على مصير أستاذه، الذي سيموت بريئا، نهره سقراط قائلا: "وهل تريدني أن أموت مذنبا؟".

بسبب إحساس الأثينيين بالخزي لحكمهم بالإعدام على شخصية مرموقة مثل سقراط، كانوا على استعداد للسماح له بالهرب من السجن إذا أراد، بعد رشوة حراس السجن. لكنه لم يرد.

بالرغم من توسلات أصدقائه وتلاميذه، إلا أن سقراط رفض أن يهرب. قائلا إنه لو قام بانتهاك أحكام القانون بالهرب، سوف يعني هذا الفعل أنه ضد القانون. وفضل أن يموت على أن يخرج عن قانون الجماعة التي ينتمي إليها، حتى وإن كان الحكم جائرا.

حكم عليه بشرب عصير نبات الهيملوك (الشوكران)، وهو نبات سام جدا. بعد شربه السم، استمر بهدوء يتحدث مع أصدقائه المخلصين. وفي اللحظات الباقية له، منحهم نصيحته الأخيرة قائلا: "كما ترون، الموت ليس شيئا فظيعا للأبرياء الصادقين"



نبات الهيملوك (الشوكران)

أريستيبوس

بعد وفاة سقراط، تم تقسيم مدرسته إلى عدة فصول أو طوائف. أحدها المدرسة القيروانية. أسسها أريستيبوس. وهو مواطن من القيروان. ومنها أخذت الطائفة اسمها.

لا يعرف أحد الكثير عن حياة أريستيبوس في أيامه الأولى، غير أن والديه قد أرسلاه، أولا إلى الألعاب الأولمبية، وثانيا إلى أثينا لكي يصبح تلميذا لسقراط.



أريستيبوس

كان أريستيبوس يعتقد بأن الترف والمتعة هما طريقي السعادة، وهدف كل منا غير المعلن. الإنسان هدفه من حياته، الاستمتاع باللِّذِّة الحاضرة، واجتناب الندم على ما فات، والعناء في المستقبل.

بعكس سقراط الذي كان يؤمن بأن الفضيلة هي الطريق الوحيد للحصول على السعادة. السعادة كما يقول أريستيبوس، تنبع من أشياء خارج أنفسنا، أما سقراط، فيقول إن السعادة، تنبع من داخلنا.

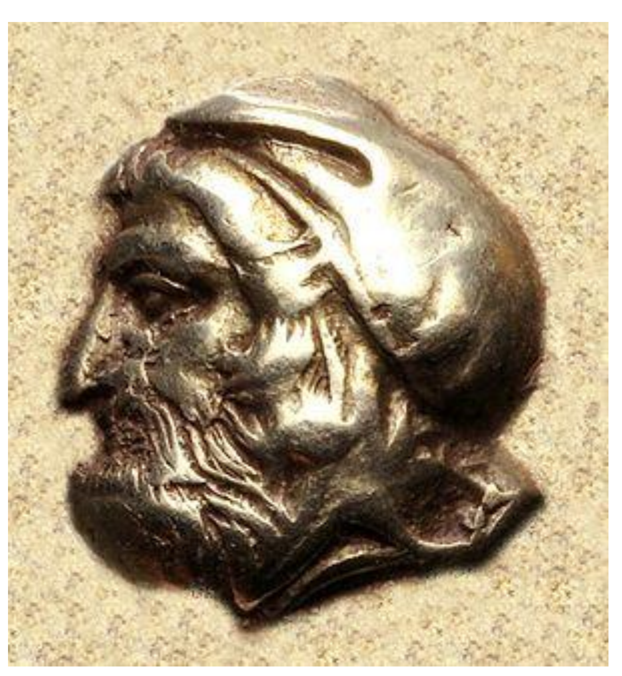
هذه الأفكار غير العادية والانغماس في الملذات، أجج مشاعر الأثينيين ضد المدرسة برمتها. مما أجبر أريستيبوس على مغادرة أثينا إلى صقلية.

هناك، تملق أريستيبوس طاغية سيراكيوز، ديونيسيوس. وامتثل لجميع رغباته، وبرر له جميع أفعاله، وأي شيء يفعله الطاغية، هو الأفضل. أتباعه، هم من يبغون المتعة واللذة، دون النظر في العواقب.

ازدهرت هذه المدرسة عام 365 ق م. وكانت تهتم بالجمل التافهة، تزكي الذكاء وسرعة البديهة، أكثر من طلب الحكمة والبحث عن الحقيقة.

(09)

زينوفون



قورش الأصغر ابن داريوس

لقد مر بنا قورش واحد، لكن هناك آخر. بعد حوالي مائة وثلاثين عاما من وفاة العظيم قورش الأكبر، ابن قمبيز، ملك بلاد فارس، عاش قورش آخر في بلاد فارس، ولكن لم يكن بنفس العظمة.

كان قورش الأخير ابن داريوس، وكان غيورا لأن شقيقه الأكبر، أرتاكسيركس، اعتلى العرش بدلا منه. حتى أنه حاول منع ذلك. لكن تم اكتشاف مؤامراته. ورغم ذلك، عفا عنه الملك، وأعطاه مقاطعة بعيدة.

عندما بلغ قورش من العمر 23 سنة، بدأ يتآمر ضد شقيقه الأكبر، أرتاكسيركس، واستنجد باليونانيين طالبا مساعدته في خلعه. لجأ كليرخوس، القائد الاسبرطي والمطرود من اسبرطة، إلى قورش

للمساعدة. جنوده لم يكونوا يدرون من يحاربون. وعندما علموا أنها حرب، يقوم بها أخ ضد أخيه، بدأوا يتململون، ثم صاروا يحتجون بصوت عال.

ثم اشتعلت الحرب، وقامت معركة كبيرة بين الأخوين، في كوناكسا، وهي بلدة تقع على بعد 25 فرسخا من بابل، والفرسخ يعادل ثلاثة أميال بالتقريب.

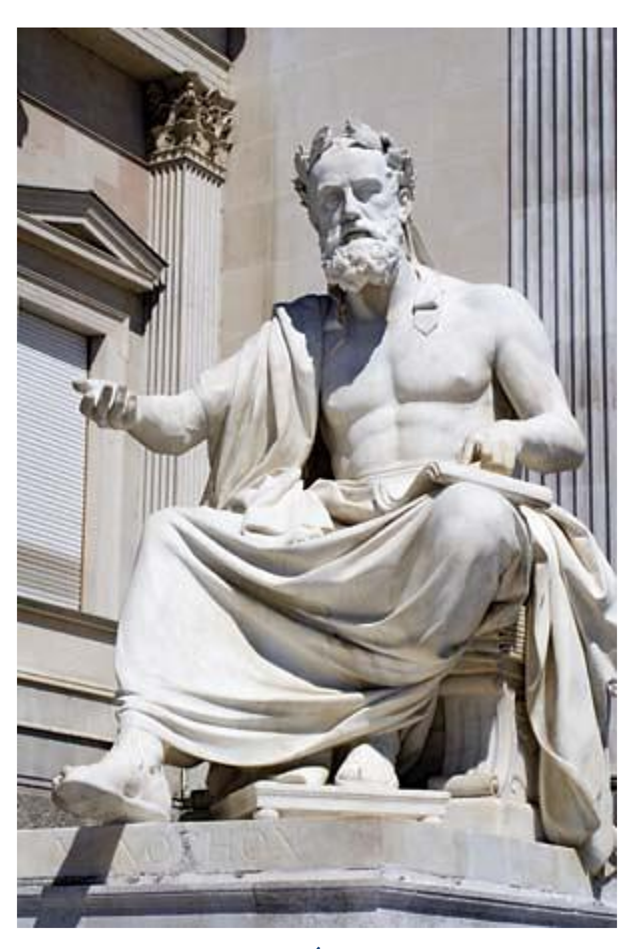
كان لدى قورش 113 ألف جندي، أما أرتاكسيركس، فقد كان لديه مليون ومائتي ألف جندي. كل جيش منهما، مصمم على ذبح جنود الجيش الآخر.

كلا الجيشين كان لديهما عربات مسلحة بالمناجل (جمع منجل). المناجل كانت مثبته بالعربات في وضع منخفض، لكي تمزق، وهي تتقدم، كل من يعترض طريقها شر ممزق.

في البداية، فاز قورش واعتقد أن الأمر قد دان له، وأن الملك أصبح قاب قوسين أو أدنى. لكن أرتاكسيركس يعاود الهجوم، ويلتقي الأخان وجها لوجه. وبعد قتال شرس، قُتل قورش، وفر جيشه. كان ذلك عام 401 ق م.

بعد مقتل قورش، أرسل أرتاكسيركس إلى الإغريق يطلب منهم الاستسلام، لكنهم رفضوا طلبه، وأكدوا له أن هذا لن يحدث بأي حال من الأحوال. نجوم السماء أقرب لك.

كليرخوس، القائد الاسبرطي، والذي كان يقاتل مع قورش، دعاه أحد قواد أرتاكسيركس، إلى مأدبة عشاء للصلح، هو وباقي الضباط اليونانيين الذين كانوا يقاتلون معه. ثم أمر بالقبض عليهم وقتلهم جميعا أثناء تناولهم الطعام، ولم تفلح وساطة والدة الملك وطبيبه الخاص في العفو عنه. مذبحة المماليك التي قام بها محمد علي باشا في أوائل القرن التاسع عشر، لم تكن الأولى في التاريخ.



زينوفون

بعد مقتل قورش وقادة جيشه، كان الجنود في حالة ذعر شديدة. لكن بناء على نصيحة زينوفون، تم اختيار قادة جدد للجيش من الأثينيين الشباب، وكان زينوفون واحدا منهم.

انسحاب هذا الجيش، الذي كان يتألف من عشرة آلاف رجل، هو حدث يعتبر واحدا من أكثر الأحداث إثارة في التاريخ. بالنظر إلى خريطة بابل واليونان، سنلاحظ كم من الصحاري والتلال والأنهار تقع بين المكانين. حتى البحر يجب عبوره للانتقال من بقعة إلى أخرى.

كل هذه العقبات والمساحات من أراضي العدو، قد اجتازتها هذه الفرقة الصغيرة الشجاعة من اليونانيين. وقد كتب زينوفون وصفا ساحرا لهذا الانسحاب المعجزة. الذي لا يقل عظمة عن انسحاب روميل، القائد الألماني، في الحرب العالمية الثانية.

عادة، يكتسب العديد من الرجال شهرة عالية من خلال الانتصارات في المعارك، لكن الطريقة الشجاعة والمهارة الفائقة، التي انسحب بها هذا الجيش المهزوم، وعودته إلى الوطن سالما في أمان، تمنح المزيد من الشرف والفخار لقواده، أكثر من أي شرف يمكن الحصول عليه بالغزو والنصر على الإطلاق.

استغرقت رحلة الذهاب والعودة من بلاد فارس خمسة عشر شهرا. كانت تتحرك بمعدل 18 ميلا في اليوم للذهاب، و15 ميلا في العودة.

أم أرتاكسيركس وقورش، باريساتيس، كانت أكثر النساء قسوة وسوءا. لقد فعلت أشياء شريرة كثيرة. منها أنها قتلت جميع أولاد الملك هيدارنيس، ولم تبق إلا على ستاتيرا، حتى يؤول تاج الحكم الفارسي لأولادها هي.

عندما تزوجت ستاتيرا من ابن باريساتيس، أرتاكسيركس، وأصبحت قريبة من قلبه، قتلتها هي الأخرى. تظاهرت بحبها، وبينت لها علامات الود. ثم دعتها لتناول العشاء معها.

أعدت باريساتيس عشاء فاخرا، ووضعت نصف طائر مشوي في طبق ستاتيرا، والنصف الآخر وضعته للتمويه في طبقها هي. نصف طائر ستاتيرا كان مسموما. نصف طائرها هي لم يكن. بعد العشاء، شعرت ستاتيرا بآلام عنيفة وتشنجات رهيبة، ثم توفيت بعد ذلك بساعات قليلة. آدي الحموات وإلا فلا.

ذعر أرتاكسيركس لوفاة زوجته الحبيبة بهذه الطريقة الغادرة. لكنه كان يعرف قسوة أمه وجبروتها. لذلك أمر بتعذيب جميع خدمها، فاعترف أحدهم بالمؤامرة الشائنة بأكملها وبتفاصيلها.

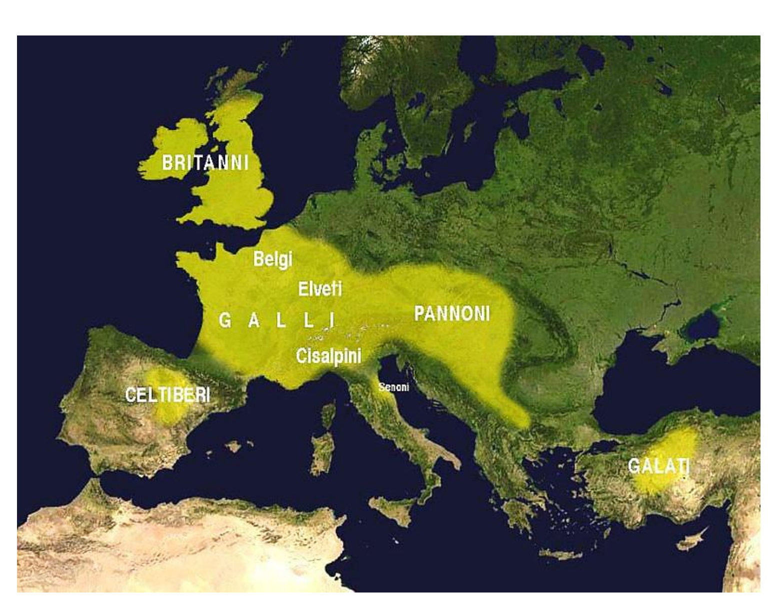
كانت باريساتيس الشريرة، قد أعدت مسبقا سكينا، وعالجت جانبا منه بالسم، والجانب الآخر كان نظيفا خاليا من السم. ثم قامت وهي تبدي كرم الضيافة بقطع الطائر المشوي نصفين بنفسها.

كانت حريصة ألا ترتكب أي خطأ قد يودي بحياتها هي. بذلك، لن يشك أحد في فعلها. فهي قد أكلت من نفس الأكل الذي أكلت منه المسكينة. ولنا أن نتخيل كمية الشر التي وضعت في قلب إنسانة بشر، غير عادية. ولم يشفع لها كونها ملكة، أو امرأة، أو أم.

ماذا يفعل أرتاكسيركس بأمه التي ولدته؟ لم يستطع سوى نفيها في بابل، وتركها تقضي بقية عمرها وحيدة بعيدة عن حياة القصور ودسائسها.

الغال، تحت قيادة برينوس، 385 ق م

فرنسا، في الزمن القديم، كانت تسمى بلاد الغال. تفصلها عن إيطاليا سلسلة طويلة من التلال العالية، هي جبال الألب. يقال إن بعض سكان الغال، مروا بالصدفة فوق هذه الجبال. ففتنوا بجمالها وسحرها.



بلاد الغال قديما

وجدوا على الجانب الآخر، كروم العنب والفاكهة والزهور تكثر وتنتشر في كل مكان. عندما عادوا إلى بلدهم، لم يفعلوا شيئا سوى الحديث عن كل ما قد شاهدوه.

بعض مواطنيهم، أرادوا رؤية هذا المكان الجميل. بعد فترة وجيزة، عبروا جبال الألب، واقاموا مدنا صغيرة، استقروا فيها عند سفح هذه التلال الهائلة. كان الغال في ذلك الوقت شعبا بربريا، خشنا في أخلاقهم، همجيا في لباسهم، شرسا، لكن شجاع شديد المراس.

برينوس

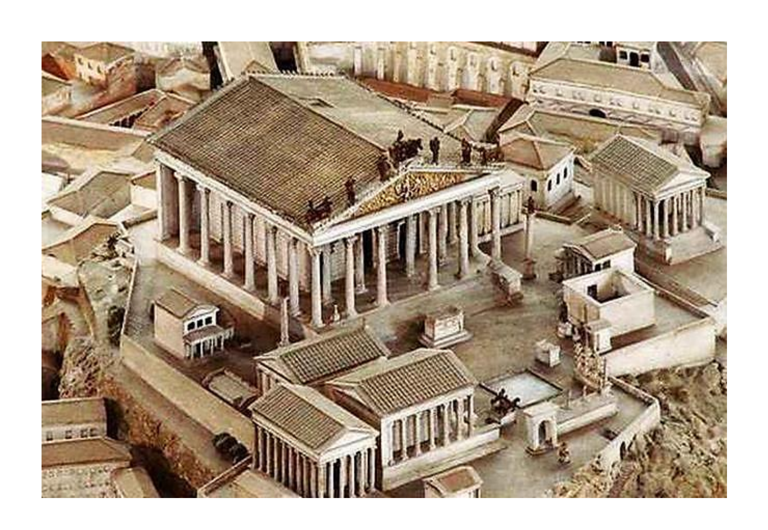


برينوس ملك الغال

بعد حوالي خمسة عشر عاما من انسحاب اليونانيين الشهير من بلاد فارس، وحوالي مائتي عام بعد زيارتهم الأولى إلى إيطاليا، سار سكان الغال، تحت قيادة ملكهم برينوس، وقاموا بحصار بلدة تسمى كلوسيوم.

كان سكان البلدة مذعورين جدا من الجيش الكبير الذي جلبه برينوس معه. إنهم يعرفون شراسة جنود هذا الجيش. لذلك، التجأوا إلى روما، يستنجدون ويستجدون المساعدة. لكن خاب أملهم، ولم يحصلوا منها على شيء. وبعد فترة وجيزة، كان الرومان أنفسهم منزعجين جدا من اقتراب الغال من مدينتهم، روما.

كان هؤلاء البرابرة، قويو العزيمة كثيرو العدد. سرعان ما هجموا على روما. غالبية السكان، فروا إلى المدن والقرى المجاورة طلبا للأمان.



ساحة الكابيتول في روما

الشباب ومن بقي من الرجال القادرين على حمل السلاح، لجأوا إلى مبنى الكابيتول، وهو مكان كبير مثل القلعة، فوق تلة عالية. عقدوا العزم والنية على الصمود إلى آخر رجل ضد العدو. كبار السن من الرجال اجتمعوا في مجلس الشيوخ، لبحث مصيرهم وما يمكن عمله.

كان الغال سعداء لدخول المدينة دون مقاومة. ركضوا ورقصوا في الشوارع وهم يتساءلون، أين اختبأ السكان؟ أخيرا، ذهب برينوس وبعض جنوده إلى مجلس الشيوخ.

هناك، رأى أعضاء مجلس الشيوخ المسنين يجلسون هادئين وغير متأثرين. المظهر الموقر لهؤلاء الرجال المسنين النبلاء، جعل الغال يخافون من الاقتراب منهم، وغير راغبين في إلحاق الأذى بهم.

لكن جندي غبي قام يهز بلطف لحية أحد الشيوخ الرومان، الذي شعر بالإهانة من هذا الفعل، لدرجة أنه ضرب الجندي على رأسه بعصاه، التي كانت في يده: أثارت هذه الضربة غضب البرابرة على الفور. فقاموا بذبح جميع أعضاء مجلس الشيوخ، وإحراق منازلهم.

كم كان مروعا حالة الرومان الفقراء! الرجال القليلون الذين بقوا في المدينة، كانوا يقتلون بطريقة بربرية. النساء يصرخن طالبات الغوث، والأطفال يبكون، والنار مشتعلة في كل مكان، والجدران والمنازل تتهاوى في كل لحظة.

في وقت الشدة هذا، لم يستسلم الرومان جميعا للغاصب. فقد بذل رجالهم الشجعان، ما في وسعهم لطرد العدو، واستعادة مدينتهم الحبيب. الفرقة الصغيرة التي بقيت في الكابيتول، صمدت وقامت بكل الترتيبات الممكنة للدفاع.

كاميلوس



كاميلوس

كان هناك روماني، يدعى كاميلوس، كان ذات مرة ديكتاتورا. وهو منصب مؤقت يعطيه الرومان لبعض القادة وقت الشدة. عندما كان كاميلوس يهاجم مدينة فاليري، أخبره مدير مدرسة، بأنه لديه أولاد المدير، وهو مستعد لتسليم المدينة، في نظير استعادة أولاده.

لكن الروماني النبيل، الذي صدم من هذا العمل الغادر، أعاد الأولاد سالمين إلى ذويهم، وأعطى كل واحد منهم عصا، لكي يضرب بها كل خائن لوطنه.

أرسل كاميلوس، بعد أن تصرف بنبل وقاتل من أجل روما، إلى المنفى في أرديا، دون أن يبكي عليه أحد. عندما جاء برينوس ينهب تلك المدينة، نسي كاميلوس ما حدث له، وبدأ يحث أهل أرديا على إرسال متطوعين لإنقاذ روما وتحريرها من الطغاة.

وقعت حادثتان أو ثلاثة أثناء حصار روما. كان الكابيتول على وشك الاقتحام على حين غرة. بعض جنود الغال، تسلقوا الصخرة شديدة

الانحدار، والتي بني فوقها الكابيتول، وكانوا على وشك قتل الحراس، والاعلان عن سيادتهم للمكان.

هنا جاءت مجموعة من الأوز البري، قد أيقظتها الضوضاء، وأخذت ترفرف بأجنحتها، وتصيح بصوت عال. مما أيقظ الحراس، اللذين سارعوا بالقبض على المتسللين.

وقع الاختيار على كاميلوس لكي ينصب دكتاتورا مؤقتا. لكن كاميلوس كان قد نفي من قبل الرومان، ولن يتمكن من العودة قبل أن يتم إلغاء الحكم الصادر بحقه.

وكان من الضروري إرسال رسالة إلى مبنى الكابيتول لهذا الغرض؛ لكن، الكابيتول المبني فوق صخرة عالية، كان محاصرا من قبل معسكر العدو. وصول الرسالة إلى مجلس الشيوخ في الكابيتول، كان أمرا خطيرا جدا.

شاب شجاع، يدعى كومينيوس، تطوع للقيام بهذه المهمة. غطى جسمه بلحاء الشجر. ثم طفق يطفو فوقت نهر التيبر، إلى أن وصل أسفل الصخرة.

ثم تسلق الصخرة بذكاء شديد، وسلم رسالته، وتلقى أوامر مجلس الشيوخ للرومان، بأن كاميلوس يجب أن يعود من المنفى وينصب دكتاتورا. ثم عاد الصبي بنفس الطريقة التي جاء بها. لقد خاطر كومينيوس بهذا الفعل البطولي من أجل قضية نبيلة، وبالتالي يستحق التمجيد.

روماني آخر أظهر بطولة مشابهة. كانت تقام مراسم دينية معينة في مكان معين من قبل أحد أفراد من عائلة معينة. فابيوس دورسو، هو أحد أفراد هذه العائلة، وبدونه، لن يقام الاحتفال الديني.

ارتدى فابيوس الزي المناسب، ونزل من مبنى الكابيتول، ومر من خلال حراس العدو. ثم سار بحزم إلى مكان الاحتفال الديني. بعد انتهاء الشعائر المطلوبة، وبوتيرة رصينة، عاد مرة أخرى إلى مبنى الكابيتول.

الغال، إما بسبب الإعجاب بشجاعته، أو لاحترام الواجب المقدس الذي كان يؤديه، سمحوا له بالمرور سالما.

هكذا سقطت روما من قبل الغال البربرية، ثم تحررت وتعافت من كبوتها ببسالة وفضيلة مواطنيها. الرومان في وقت ما، فكروا في شراء سلامتهم بالذهب، لكن كاميلوس، وصل تماما في الوقت المناسب. لكي يأمر بإرجاع كل الأموال إلى خزانة الدولة. ثم قال: "لقد اعتاد الرومان على شراء سلامتهم، لا بالذهب، ولكن بسيوفهم."

تصرف كامليوس، بحكمة وشجاعة، جعلت المقاومة تنتصر، وبعد وقت قصير، تمكنت من تقطيع جنود الغار إلى أشلاء، ولم يترك أحد منهم لكي يعود سالما إلى بلده.

(10)

بيلوبيداس


أجيسيلاوس ملك اسبرطة

حينما كانت روما فريسة للأعداء الأجانب، وتكافح بشجاعة لاستعادة حريتها، كانت اليونان أيضا مسرحا للحرب والقلاقل. فقد حقق أجيسيلاوس، ملك اسبرطة، انتصارا كبيرا على الأثينيين.

نجح الأثينيون بعض الشيء، بمساعدة مالية من بلاد فارس، في المقاومة. كانت جميع الدول الصغيرة في اليونان متحاربة مع بعضها، مثل الدول العربية حاليا. تضعف بعضها البعض.

القوة العظمى لبلاد فارس، استغلت المشاجرات وضعف اليونانيين، لكي تحصل على معاهدة سلام دائم، لكنها معاهدة كانت ظالمة وسلام غير مشرف. مما جعل اسبرطة تصفه بأنه: "عار وخراب اليونان."



اسبرطة

اسبرطة كانت في ذلك الوقت أمة من الجنود. القتال كان حرفتهم الوحيدة وهوايتهم المفضلة. عندما تخلصوا من الفرس، بدأوا في مناوشات مع جيرانهم.



طيبة في اليونان

كان سكان طيبة، وهي أيضا مدينة يونانية، تختلف عن مدينة طيبة في مصر، يتشاجرون مع بعضهم البعض. فجاء الاسبرطيون، تحت ذريعة تسوية الخلافات، وأخرجوا حامية طيبة من القلعة، ووضعوا حامية اسبرطية بدلا منها. يعني احتلوا البلد ومسّكوا القط مفتاح الكرار.

ظلت اسبرطة بعد ذلك كابسة على أنفاس أهل طيبة لمدة أربع سنوات كاملة، ولا تريد مغادرة المدينة. لكن أهل طيبة الغاضبين، قاموا

بالانتقام. جاءت مجموعة منهم، لبسوا ملابس النساء، وتسللوا أثناء وليمة كبيرة كانت معدة لكبار ضباط اسبرطة، ثم قاموا بتقطيعهم إربا إربا.

كان أرشياس، قائد اسبرطي، قد تلقى في ذلك اليوم رسالة من أثينا، تبلغه بالمؤامرة برمتها. لكنه ألقى بالرسالة جانبا، دون النظر في مضمونها، قائلا: "دع الأعمال إلى الغد!". لسان حاله يقول، "اليوم خمر وغدا أمر". كان أول اسبرطي يقتل. لقد قتله الاهمال، ولا شيء غير الاهمال.

بيلوبيداس، بسبب مهارته وشجاعته، وبمساعدة جنود من أثينا، كان له دور كبير في طرد جنود العدو من القلعة وتحرير طيبة من قبضة اسبرطة.



بيلوبيداس

بعد ذلك، دعي إيبامينونداس، وهو صديق ل بيلوبيداس، لكي يتقلد منصب قائد الجيش. إيبامينونداس، كان مشهورا بحكمته وفضيلته. لكن أهم ما كان يميزه، هو حبه للحقيقة. لم يعرف عنه أبدا الكذب. لو كانت هذه هي فضيلته الوحيدة، لاستحق حب واحترام البشرية.



إيبامينونداس

في الواقع عندما تحترم الحقيقة، تختفي الرزيلة. لأن الحقيقة هي أم الفضائل، والكذب هو أصل كل الرذائل.

أرسل إيبامينونداس رجلا فقيرا إلى صديق له ثري جدا، يطلب منه إحسانا للفقير، ألف قطعة نقود ذهبية. وقال له: إيبامينونداس هو من بعتني.

اندهش الثري من الرسالة، وسأل إيبامينونداس، عندما رآه بعد ذلك، ماذا كان يقصد بذلك. ابتسم إيبامينونداس وقال له: "لقد أرسلته إليك لكي تعطيه المال، ببساطة، لأنك غني وهو فقير". هذا كل ما في الأمر.

لكن إيبامينونداس كان جنرالا عظيما، فضلا عن كونه مواطنا صالحا. تسبب في شهرة بلد صغير، ليوكترا، عندما انتصر هناك على اسبرطة بقيادة كليوميروتوس.

كان جيش طيبة أصغر بكثير من جيش اسبرطة، ولكن مهارة إيبامينونداس، كانت عوضا عن النقص في العدة والعتاد. أضف إلى ذلك، بسالة جنود وضباط طيبة، الذين كانوا يقاتلون من أجل الحرية والاستقلال، بعكس الاسبرطيون الذين كان يقاتلون من أجل الغزو والسيطرة. فلا غرو أن تفوز طيبة على اسبرطة في هذه الحرب.

أخبر بعض السفهاء إيبامينونداس أن هناك العديد من النذر السيئة قد بدت تلوح في الأفق ضده. فأجاب يردد مقولة هوميروس: "لا توجد نذر سيئة، بل نذير خير واحد، وهو أن تقاتل من أجل بلدك."

ساعد إيبامينونداس أيضا أركاديا، وهي جزء من اليونان حاليا، لكي تنال حريتها. وقام بالعديد من الأعمال النبيلة، لدرجة أن إيزميلوس، ملك اسبرطة، أطلق عليه لقب "الرجل العجيب".



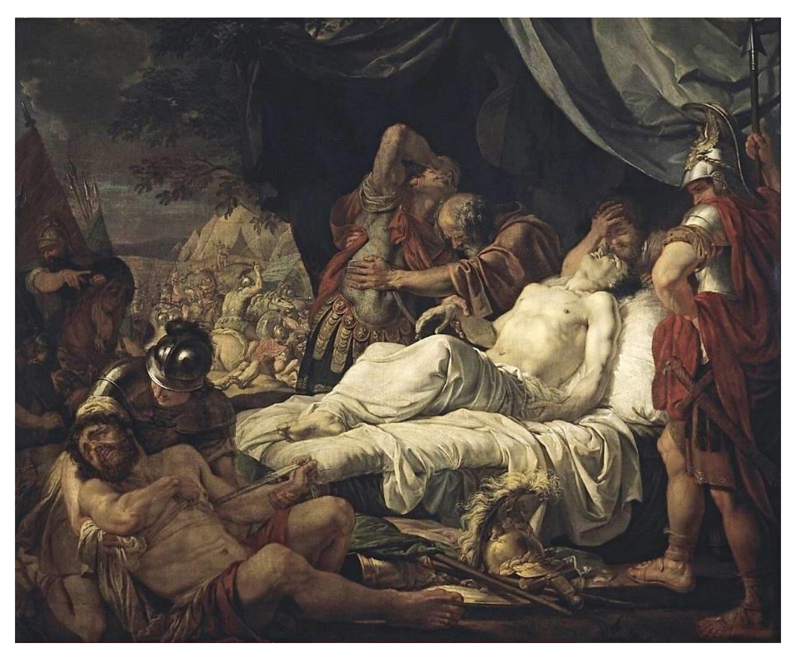
أركاديا

بيلوبيداس، لم يكن يقل أهمية أو مجدا عن صديقه إيبامينونداس. ومع هذا، عندما عادا إلى طيبة، تم استدعائهما أمام محكمة العدل، بتهمة الحفاظ على مناصبهما القيادية مددا أطول مما يسمح به القانون.

لم يدافع بيلوبيداس عن نفسه باقتدار، لأنه عاطفي المزاج رقيق الشعور. بعكس إيبامينونداس، الذي كان حازما ومتملكا لنفسه. فقد قام باقتدار وبحجج دامغة، أثبت بها براءة كليهما.

إلا أن أعداء إيبامينونداس لم ييأسوا من عقابه. فعملوا على انتخابه زبالا للمدينة، بعد أن كان البطل الهمام. وهذا عن قصد حتى يلحقوا العار باسمه. إلا أنه قبل الوظيفة الجديدة بصدر رحب قائلا: "إن لم تمنحني الوظيفة الشرف، فسأقوم أنا بمنحها الشرف."

فقد بيلوبيداس حياته، عندما كان يقاتل بشجاعة لإنقاذ شعب فيراي، وهي مدينة قديمة من مدن اليونان، من غزو طاغية يدعى ألكسندر.



بيلوبيداس على فراش الموت

ألكسندر، ليس هو الاسكندر الأكبر، ولا يمت له بصلة. طريقة حياة هذا البائس تعطي صورة مروعة عن الحالة التي يعيشها الطغاة.

كان ألكسندر الطاغية، يشك في كل من حوله. لأنه كان قد اقترف الكثير من الجرائم والموبقات، التي يندى لها الجبين، والتي تجعل الجميع حريصين على قتله. فكان ينام في غرفة، لا يمكن الوصول إليها إلا بصعود سلم طويل خارجي. وعند بداية السلم، وضع كلبا ضخما شرسا من كلاب الحراسة. وإن كنت شاطر، اطلع لي.

لكن في ليلة ظلماء غاب فيها القمر، أخذت زوجته التي تزوجها بالعافية، الكلب بعيدا، وغطت درجات السلم بالصوف، حتى لا يصدر أي صوت. وصعد إخوتها، ثم قاموا بقتل الطاغية المغتصب أثناء نومه. فنال ما

يستحقه كل مجرم طاغ جبار. الكلاب لا تحمي الطغاة، وإنما الذي يحميهم، هو الالتزام بالحق والعدل والقانون.

اختتم إيبامينونداس حياته المجيدة في ميدان المعركة، وفي لحظة نصر مبين. في معركة هائلة، خاضتها طيبة ضد اسبرطة والقوى اليونانية الأخرى. تلقى هذا الجنرال اللامع، جرحا قاتلا، أثناء هجمة جريئة وسط أعدائه.

اخترق الرمح صدره، فسقط على الفور. ثم قامت منازعة شرسة بين خصومه وأصدقائه لحيازة جسده.

إيبامينونداس يموت بطعنة رمح في معركة

لكن جنود طيبة، نجحوا في حمله من الميدان، بينما كان يعاني من ألم شديد بسبب جرحه الغائر. إلا أنه لم يكن لديه أفكار أخرى غير النصر لجيشه. وعندما علم أن جيشه هو الفائز، قال: "إذن، كل شيء على ما يرام."

قال الأطباء أنه سيموت إذا نزع الرمح من جسده. ولم يكن أحد لديه الرغبة في نزع الرمح ووضع نهاية لمعاناة هذا القائد الباسل. إلا أنه قام

بهذا الفعل بنفسه. نزع الرمح من صدره، ثم أخذ نفسه الأخير وهو في أحضان أصدقائه. هكذا مات إيبامينونداس عام 363 ق م.



ديونيسيوس الأكبر

ديونيسيوس الأكبر، طاغية سيراكيوز، توفي قبل إيبامينونداس بخمس سنوات. كان قمعيا وقاسيا، وبالتالي بائسا، مثل ألكسندر، طاغية فيراي. كان يرتدي درعا تحت ملابسه، لأنه كان يخشى، بسبب قسوته، خيانة من حوله.

هناك عدة روايات عن سبب وفاته. أحدها، أن الأطباء وضعوا له السم بتحريض من ابنه ديونيسيوس الأصغر الذي تبعه في ولاية سيراكيوز (سرقوسة).

إن بؤس هذين الرجلين يظهر بقوة، من سوء استخدامها للسلطة. لأن سوء استخدام السلطة، يلحق الضرر بمن يسئ استعمالها أولا، مهما كان حريصا. فالسلطة مفسدة بطبعها للكل، وبالأخص الرجل الضعيف، الذي لا يستطيع التحكم في رغباته، والسلطة المطلقة، فساد مطلق وأم الشرور.

تيتوس

الغيرة والطموح من امرأة شابة أنتجت تغييرا كبيرا في حكومة روما. كانت هناك طبقتان. الأشراف أو النبلاء (باتريشيان)، وعامة الشعب أو الطبقة الدنيا (باليبيان).

ضباط الدولة كانوا دائما يختارون من النبلاء. منهم كان هناك الأرستقراطي، فابيوس أمبوستوس، الذي كان لديه ابنتان. تزوجت واحدة منهما من رجل من عامة الشعب، باليبيان. الأخرى تزوجت من نبيل أرستوقراطي، باتريشيان.

الزوجة الأولى التي تزوجت الرجل العادي، لم تكن سعيدة في حياتها المتواضعة، وكانت دائمة الحسد والندم، عندما كانت تقارن حياتها بحياة أختها المتزوجة من النبيل الأرستقراطي.

كان زوجها ووالدها غير سعداء لرؤيتها حزينة مريضة، وسماع تنهداتها التي تنم عن عدم الرضا. عندما عرفا سبب شقائها وتعاستها، وعداها، الأب والزوج، بالعمل سويا على تغيير هذا الوضع، بحيث يسمح لعامة الشعب تقلد المناصب الرفيعة أسوة بطبقة النبلاء.

أخيرا نجحا في ذلك، وكان زوجها، ليسينيوس ستتولون، بعد وقت قصير، هو ثاني رجل من عامة الشعب يتقلد منصب القنصل بالانتخاب. أول منصب رفيع، كان من نصيب صديقه، سيكستيوس.

بعد عامين من انتخاب ليسينيوس قنصلا، حدث زلزال في روما، هز الأرض بعنف، مما تسبب في حدوث حفرة كبيرة أو شرخ في الأرض مكان الاجتماع العام. الحفرة كانت واسعة وعميقة، حاولت الناس ردمها بالأتربة والحجارة دون فائدة.

قيل إن العرافة ادعت بأن الحفرة لا يمكن ملؤها أبدا، إن لم يلق فيها بأثمن شيء في روما. ماركوس كورتيوس، وهو شاب شجاع، سمع بهذه النبوءة، فقرر أن يفعل شيئا يخدم به مدينته.

حمل سيفه، وارتدى درعه ثم وثب على حصانه، وقفز به في الحفرة وهو يقول: "ليس هناك أثمن من الشجاعة في روما." الناس، وفقا لخرافات تلك الأوقات، بدأوا يلقون بالقرابين فوق الفارس الشجاع. ويقال إن الحفرة قد أغلقت بعد ذلك على الفور.



ماركوس كورتيوس

تم اختيار روماني من طبقة النبلاء، لوسيوس مانليوس، ديكتاتورا، لرئاسة احتفال ديني مقدس. لقد احتدم المرض في المدينة، وقال بعض كبار السن، إن الطاعون قد أوقفه ديكتاتور البلاد ذات مرة، بأن دق مسمارا في معبد الإله جوبيتر (زيوس).

وهذا ما فعله مانليوس. بعد ذلك، رغب في حشد شعبه وتعبئة جيشه للحرب ضد الهيرنيسي، وهم قبائل إيطالية قديمة. لهذه الأسباب، تم استدعائه أمام القناصل لمحاكمته.

من بين الاتهامات الأخرى الموجهة إلى مانليوس، هي أنه قام بسوء معاملة ابنه الشاب تيتوس، لأنه نفاه من البلاد بسبب بطيء الكلام.

عندما سمع الابن تيتوس هذا الاتهام الأخير، شعر بحجم الخطر الذي يتعرض له والده. ودون الكشف عن نيته لأي شخص، أخفى خنجرا في ملابسه، وذهب إلى منزل بومبونيوس، وهو الرجل الذي أقام الدعوة على والده مانليوس.

طلب مقابلته وباقي القناصل في اجتماع خاص، وحصل على الموافقة بسهولة. كان الاعتقاد بأن الابن لديه ما يوقع بوالده ويجرمه أكثر من الأدلة الموجودة.

لكن بمجرد أن اختلا تيتوس به داخل المجلس، قام دون أن يقول كلمة واحدة ضد والده، بإشهار خنجره، واقترب من بومبونيوس، وأقسم أنه سيطعنه في قلبه إذا لم يقسم على الفور بإسقاط الدعوة ضد والده.

أدى بومبونيوس القسم المطلوب، وهو يرتجف في حالة رعب شديدة، عندما رأى حياته في خطر. بذلك، نجا مانليوس من المحاكمة، واكتسب ابنه شرف الشجاعة. وتمت مكافأته بعد فترة وجيزة، بأن تم الحاقه بالجيش الروماني.

تيتوس الابن، بعد فترة وجيزة، رافق الجيش ضد الغال. وعندما التقت القوات، جاء مقاتل من الغال، طويل عريض مفتول العضلات ذو قوة جسدية ملحوظة، يطلب النزال حتى الموت مع أي روماني يخرج ضده، قائلا: " دعونا نر من هي الأمة الاكثر شجاعة ".

كان جميع الرومان غاضبين ومرعوبين من زهو وتباهي هذا العدو. أما تيتوس، فقد ذهب على الفور إلى قائد الجيش طالبا منازلة هذا المختال الفخور بنفسه. قال له القائد: " اذهب يا تيتوس، إذا كنت قد أظهرت من قبل إخلاصك لأبيك، فاثبت الآن إخلاصك لوطنك."



تيتوس مانليوس

تقدم تيتوس بسلاح بسيط، وبجو متواضع، إلى ملاقاة رجل الغال، الذي جاء مبتهجا، يختال فخرا، يجر أسلحته الثقيلة المتلألئة إلى الأمام. لكن سرعان ما خبا كبرياؤه ثم تلاشى، عندما عالجه تيتوس بضربة أردته قتيلا.

كان العرف آنذاك، أن المنتصر يقوم بتجريد عدوه المهزوم من كل شيء معه، لكن تيتوس لم يأخذ من عدوه الملقى أمامه سوى طوق ذهبي كان يلتف حول عنق القتيل، كشاهد على فوزه.

ركض الرومان في حشود للتهنئة والتصفيق لبطلهم الشباب. وقام قائد الجيش، بعد أن أثنى عليه أمام الجميع، بمنحه تاجا من الذهب، مكافأة لبراعته.

كان هذا هو تيتوس. بعد ذلك أصبح دكتاتورا مرة، وثلاث مرات القنصل. وأعتقد أنه هو الذي أعطى مثالا رائعا لمقولة، الخطأ الجسيم مع حسن القصد. منصب الدكتاتور، هو منصب مؤقت لمدة قصيرة وقت الأزمات فقط. لكن الحاكم الحقيقي هم القناصل (مجلس الشيوخ).

عندما كان يشغل تيتوس منصب القنصل للمرة الثالثة، أثناء الحرب ضد اللاتينيين، الذين كانوا في ذلك الوقت أمة متميزة، قرر والده مانليوس وباقي القناصل، الرجوع إلى الانضباط العسكري القديم، وعدم السماح لأي جندي بترك مكانه تحت أي ظرف، والموت لمن يخالف هذا القانون.

لكن تيتوس، رأى فرصة جديدة لتحقيق مجد شخصي، فنسي أو تجاهل هذه الأوامر، وترك منصبه لأصدقائه، لكي يقوم بعدة مناوشات هزم فيها اللاتينيين، وجلبت له العديد من الغنائم. ثم، جمع أسلحة العدو وركض بفرح إلى خيمة والده، وألقى بها عند قدميه.

لكن الأب قابل ابنه بالغضب والشعور بالعار. ثم أمر بحضور القوات وخاطب ابنه قائلا: "تيتوس مانليوس! لقد تجرأت على عصيان أمر قناصلك، وأوامر والدك: لقد قمت بالتالي بضرر بالغ للانضباط والحكومة العسكرية.

لذلك، يجب أن تكفر عن جريمتك بالموت. إنني أقدر شجاعتك، لكن حبي للانضباط والقانون أكثر وأجل. وإذا كانت لديك قطرة من دمي تجري في عروقك، فلن ترفض الموت. عندما تناديك العدالة، لبي النداء."

حدث هذا الحدث المثير للاهتمام عام 340 ق م. ويبقى السؤال، هل ما فعله الأب هو الصواب؟ وهل الرحمة تقل عظمة وروعة عن الواجب وتطبيق العدالة بحزم؟

هناك قصة قرأتها في أحد جرائد مدينة نيويورك في أوائل السبعينات. القصة تقول بأن أحد ملاك العقارات قد رفع دعوة لطرد أمه وأبيه من الشقة التي يستأجرانها منه، لعدم سدادهما للإيجار.

الغريب، أن القاضي أمر بطرد الأب والأم من الشقة السكنية وتسليمها للابن. ثم قال في حيثيات الحكم، يجب أن نفرق بين الرحمة والعدل. مع اعتقادي بأن الرحمة فوق العدل، إلا أنني هنا ليس من سلطتي إلا تطبيق القانون.

(11)

فيليب ملك مقدونيا

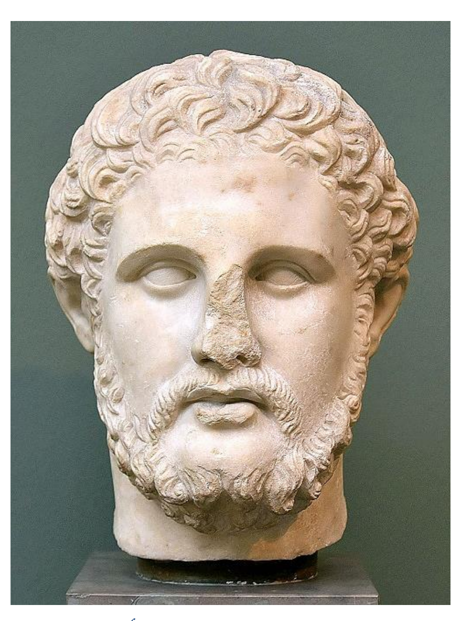


مقدونيا قديما، الخط الأحمر

كانت مملكة مقدونيا تقع شمالا في مكان غير بعيد عن أثينا والدول الإغريقية الأخرى. كانت إديسا عاصمتها، إلى أن جعل فيليب وابنه الاسكندر، بيلا، التي ولدا فيها، هي العاصمة.

عاش فيليب تسع سنوات في طيبة باليونان، تحت رعاية بيلوبيداس، حيث كان على اتصال دائم ب إيبامينونداس، لكي يتعلم ويكتسب الحكمة والمعرفة على يدي هذا الرجل العظيم.

كان الابن الثالث، وبعد وفاة شقيقيه، عاد سرا إلى مقدونيا، وانتخبه الشعب. بمجرد أن اعتلى فيليب العرش، فعل كل ما في وسعه لخدمة وحماية شعبه كحاكم جيد.



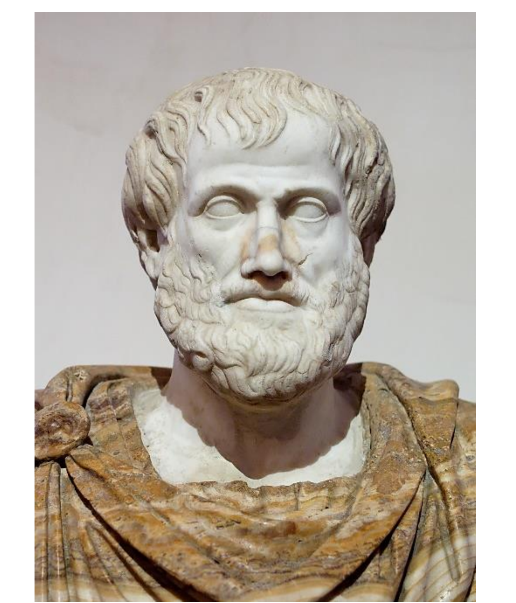
فيليب الثاني والد الإسكندر الأكبر

اهتم أكثر بالجيش، وأنشأ الكتائب المقدونية الشهيرة. كانت هذه الكتائب تستخدم طريقة معينة لوضع الجنود، حتى يتمكنوا من الدفاع عن أنفسهم على أفضل وجه. أخذ الفكرة من مقطع في هوميروس. وهكذا، فإن الحكماء تستفيد من كل ما يقرأ ويشاهد.

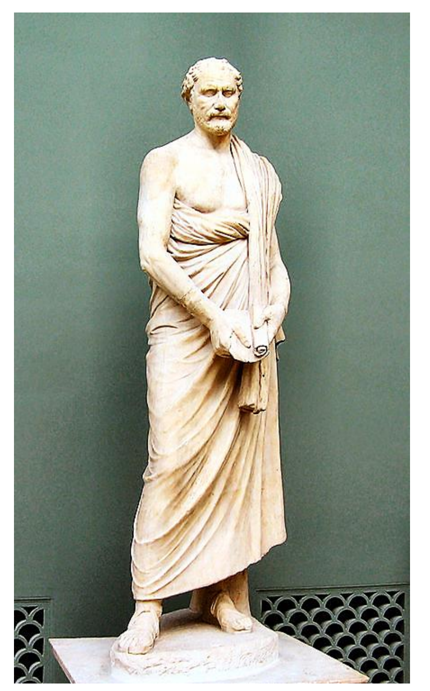


الإسكندر الأكبر

عندما ولد ابنه الإسكندر الأكبر، فرح جدا، وكتب إلى الفيلسوف أرسطو، وهو مواطن من ستاجيرا، ميناء في الساحل الشرقي لمقدونيا، يخبره أنه ينبغي أن يكون معلم ابنه الإسكندر.


أرسطو

وأضاف: "بقدر سعادتي بأنني رزقت بولد، بقدر اغتباطي لأنه جاء في الوقت الذي يعيش فيه أرسطو."


ديموستينس

كان فيليب ملكا قويا غازيا لبلدان كثيرة. من بينها، أتيكا في اليونان. لكن اليونانيين قاوموه ببسالة وإصرار، أزكتهما الخطب الحماسية، لرجال مثل ديموستينيس، التي كانت تثير دائما الأثينيين ضد فيليب، وتسخر منه. الخطابة في ذلك الوقت، كان تأثيرها مثل الصحافة والإعلام في وقتنا الحاضر.

كان ديموستينيس واحدا من أعظم الخطباء الذين عاشوا في أي وقت من الأوقات. كان يدين بقدرته بالكامل لمثابرته وإصراره على أن يكون خطيبا مفوها.

يقال إنه ولد بعاهة تعوقه من الكلام ونطق الحروف بوضوح. وبدت الخطابة هي آخر موهبة يمكن أن يتفوق فيها. لكن بالتدريب والصبر، تغلب ديموستينيس على عيبه الخلقي، وصار من عظماء الخطابة في عصره.

رأى أن أثينا تحتاج إلى مستشارين أكفاء. وكان يعلم أن الأثينيين يستمعون فقط إلى المتحدثين الجيدين. لذا سعى بجدية لكي يعد نفسه لكي يكون قادرا على خدمة المستشارين، وتقديم المشورة لهم.

اعتاد أن يخطب وهو واقفا على ساحل البحر. لأن هدير الأمواج العالي، يجعله يتعود على الخطابة في مواجهة هدير الجماهير المحتشدة. وتجعله يكتسب عادة التحدث بصوت عال. يقول بعض الكتاب، إنه كان يضع الحصى في فمه عندما يتحدث، لعلاج التلعثم في الكلام.

فقد ديموستينيس والده عندما كان طفلا. كان ضعيفا مريضا، تلقى تعليمه بشكل سيء للغاية على يدي مدرس خصوصي، وبالرغم من ذلك، أصبح خطيبا عظيما.

عندما واجه الجماهير أول مرة، كانت كارثة. فهو يتكلم بصعوبة وتهتهة، جعلت المستمعين يطالبونه بالسكوت من حين لآخر. لكنه لم ييأس، وقام بمواصلة التدريب والتمرين. وبالتدريج، بدأ ينال إعجاب المستمعين.

كان ينهض في وقت مبكر جدا من الصباح، ويظل يتدرب على الخطابة حتى منتصف الليل. وكان يحلق نصف وجهه حتى لا يفكر في الخروج من داره.

ولعلاج عيب هز هتفيه عندما يتحدث، وقف تحت سن رمح مدبب، بحث يشعر بوخز الرمح عندما يهز كتفيه. وعندما كتب كتابا ضخما في التاريخ، أعاد كتابته ثماني مرات، حتى يتقن أسلوب الكتابة.

لا توجد في معارك وانتصارات فيليب المقدوني الحربية ما يثير الاهتمام، مثل ما يوجد في حياة ديموسثينيس الاكثر تواضعا. لأن الحكمة والفضيلة لهما سحرهما الخاص، الذي يفوق سحر الطموح والعظمة.

كل ذهب وأموال فيليب لم تستطع شراء اسكات ديموسثينيس عن الحق. لكن، عندما قتل فيليب، ابتهج ديموسثينيس. ولم يكن هذا يليق برجل عظيم مثله. فلا شماتة في موت أي إنسان، حتى لو كان عدوا.

كان يجب أن يتعلم من سلوك منافس له في الفضيلة، وخطيب بارع أيضا، هو ايسخينيس، لكنه كان أقل عداء لفيليب وابنه الإسكندر.

كان ديموسثينيس مناهضا للإسكندر كما كان مع والده. يقول بعض الأشخاص إنه قد فسد بذهب هاربالوس، جنرال صديق الإسكندر الأكبر، لكن هناك شك في ذلك.

لهذا السبب أو لغيره، نفي من أثينا. وبالرغم من السماح له بالعودة، لم يجد نفسه آمنا تماما في مدينته الأصلية. وظل يتنقل من مكان إلى مكان، وعاش زمن فيليب وابنه الإسكندر. وأخيرا، وضع حدا لمتاعبه بتناول السم في إحدى جزر اليونان.

كان فوسيون، من عظماء الرجال الذين أنجبتهم اليونان على الإطلاق. هو جنرال للقوات الأثينية، هزم جيش فيليب أكثر من مرة. كان يزدري عروض هاربالوس القائد المقدوني. وعندما كان ديموسثينيس بخطبه يحرض أثينا على مواصلة الحرب ضد مقدونيا، عارضه فوسيون، ودعا للسلام، وصوت إلى جانب نفي ديموسثينيس.

فيسيون، كرجل صادق وبسيط، لم يكن يشك في مكر فيليب. لكن ديموسثينيس، كان يعرف شخصية هذا الملك بشكل أفضل، ويعتقد، إن اتبعت نصيحته، لنجت اليونان من سيطرة المقدونيين.

فوسيون، بعد أن تم اختياره جنرالا خمس وأربعين مرة، وبعد أن أدى أعظم الخدمات لبلاده، حكم عليه بالموت من قبل ابنه الأثيني الجاحد.

عندما كان على وشك شرب السم، سئل عما إذا كان يرغب في توجيه رسالة لابنه، أجاب: "قولوا له، كم أود أن ينسى ظلم الأثينيين." ثم تجرع السم القاتل، ومات بهدوء.

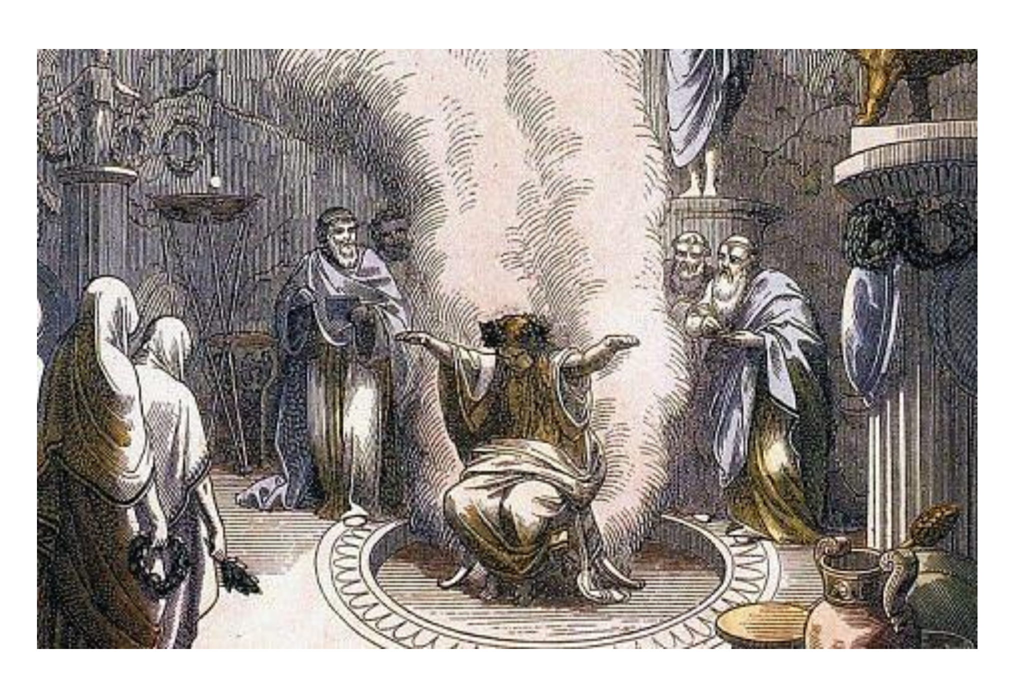
كانت توجد مدينة تسمى دلفي، يوجد بها معبد للإله أبولو. في هذا المعبد، كانت تقيم كاهنة بصفة دائمة، تتنبأ بالمستقبل، وتعمل كوسيطة بين الإله وبين مريديه. وكان كلامها من الباطن، في شكل ألغاز وأحاجي تسمى أوراكل، وهي نفسها كانت تحظى باحترام كبير.

الإله أبولو

حدث أن بخارا بدأ يتصاعد من هوة في جبل. لوحظ أن هذا البخار يسكر الحيوانات التي تتنفسه. كان هناك راع، لاحظ أن الماعز تقفز بنشاط زائد كلما اقتربت من بقعة معينة.

فحص الراعي هذه البقعة، فوجد أنها يخرج منها بخار غاز، هو سبب النشاط الزائد للماعز. تم بعد ذلك بناء معبد فوق هذا المكان. وعندما كان يريد شخص استشارة الكاهنة، لمعرفة ما ينبئه له المستقبل، أو ما تريده الآلهة، تقف المرأة فوق حامل بثلاث أرجل، لتستنشق هذا الغاز.

بعد ذلك، تصاب المرأة بالهياج العصبي، وتبدأ في النطق بجمل غير كاملة وتعبيرات غريبة غير منطقية. كل ما تقوله المرأة، يسجل بعناية كرسالة من الإله أبولو، أو من الإله المطلوب استشارته.



راهبة دلفي تتلقى الوحي من الأبخرة المتصاعدة من الأرض

هذه الرسالة المقدسة، يتم تفسيرها وفك رموزها عن طريق السائل نفسه أو الكاهنة. المرأة الكاهنة كانت تسمى بيثيا، لأن أبولو كان يعبد تحت اسم بيثيون، لقتله الثعبان بيثون.

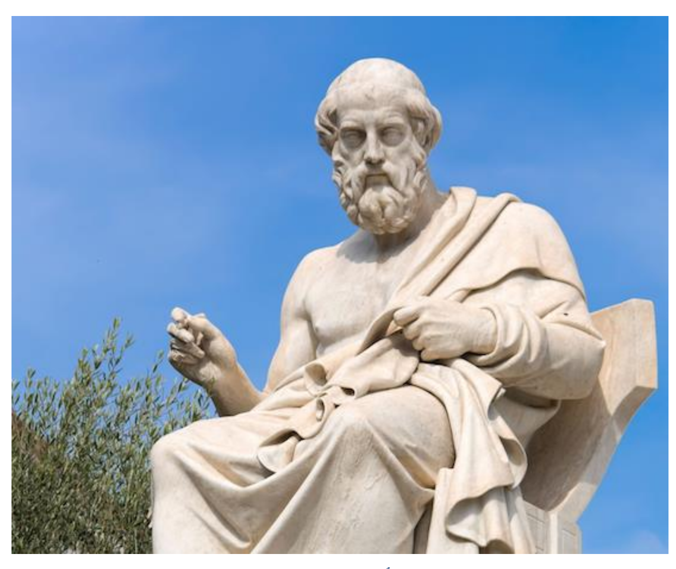
الفوسينيس، هم شعب يوناني، حرث حقلا، من أملاك وأوقاف معبد أبولو. اعترضت جميع الدول اليونانية بصوت عال ضد هذا الفعل الشنيع، الذي يعتبر تدنيسا للمقدسات. كثيرون منهم حملوا السلاح ضد الفوسينيس، أما اسبرطة وأثينا، فقد وقفا إلى جانبهم.

في المجلس العام الكبير لدول اليونان، تم توقيع عقوبة في شكل غرامة مالية، بسبب تدنيس المقدسات، الأمر الذي رفضه الفوسينيس. تلت ذلك الحرب، التي استمرت ثماني سنوات، والتي تعرف بالحرب المقدسة.

فيليب المقدوني، والد الاسكندر الأكبر، طلب منه الاشتراك في هذه الحرب، لكنه تراجع. لقد كان يسره أن يرى الدول اليونانية الصغيرة تتشاجر مع بعضها البعض. تماما كما يحدث بين الدول العربية حاليا.

حينما ضعفت ووهنت هذه الدول اليونانية بما فيه الكفاية، دخل فيليب بجيشه الجرار تحت ذريعة أنه يحارب الفوسينيس. لكن شهيته في التوسع لم تقف عند هذا الحد. وظل يتوسع ويمد سيطرته حتى جعل نفسه سيد اليونان برمتها. بعد ذلك، كان يستعد لغزو بلاد فارس، لكنه قتل على يدي بوسانياس أثناء مهرجان كبير، عام 336 ق م.

أفلاطون



أفلاطون

أفلاطون، الفيلسوف الأثيني، وتلميذ سقراط الشهير، مات 12 سنة قبل مقتل فيليب المقدوني. كان الصديق الحميم لديون، أفضل وأحكم رجل في سيراكيوز.

ذهب أفلاطون إلى سيراكيوز، وهي مدينة في جزيرة صقلية، لزيارة ديون. عندما لاحظ أن سلوك ديون كان صارما قاسيا، نصحه كصديق قديم بعيبه، وذكّره بأن عربة الغطرسة، تبعد الناس عن بعضها البعض، وتجعل الرجل يقضي حياته في عزلة.

ولأن ديون كان رجلا حكيما، فلا شك أنه قد استفاد من هذه النصيحة الجيدة؛ لأنه من الحكمة أن تستمع لمن يرشدك إلى عيوبك، ومن الحكمة العليا أن تقوم بتصحيحها.

ديونيسيوس الأصغر، الذي أصبح فيما بعد طاغية سيراكيوز، كان صهر ديون، وأمير شاب واعد له مستقبل كبير. والده، ديونيسيوس الأكبر، كان

قد أهمل تعليمه للأسف، مما دفع أفلاطون إلى القول، بأن كل أخطائه كانت بسبب جهله وعدم تعليمه. هذا جعل الفيلسوف العظيم يبذل جهدا كبيرا في إرشاده وتقويمه. لكن، تعمل إيه الماشطة في الوجه العكر.

أثبت ديونيسيوس أنه لا يزال يحمل داخله بعض الصفات الحسنة الموروثة. لأنه كان يحترم أستاذه أفلاطون وينصت له. فقد تخلى عن عاداته في الخمول وتبديد الوقت، وكرس نفسه للدراسة الجادة والهوايات الرصينة.

لولا تملق حاشية القصر ونفاقهم، لأضحي هذا الأمير الشاب رجلا صالحا عظيما.

حدث أن النبلاء، بدافع الغيرة من تأثير ديون على ديونيسيوس، أساءوا تمثيله، وتحدثوا عنه بسوء، مما تسبب في النهاية في نفيه من سيراكيوز. أفلاطون، بعد أن رأى ما حدث لصديقه ديون، وبعد أن فقد الأمل في تلميذه ديونيسيوس الأصغر، ترك البلاد وهو سعيد بالنجاة من عرين الطاغية.

بعد ذلك بعامين، عند تلقيه وعدا من ديونيسيوس، أنه سيعيد ديون من منفاه، قام أفلاطون برحلة أخرى إلى صقلية. خرج ديونيسيوس، حين سماعه بوصول أفلاطون، لمقابلته في عربة رائعة، تجرها أربعة خيول بيضاء مطهمة. وضع فيها الفيلسوف، وقام بقيادتها بنفسه.

فرح الصقليون بعودة الفيلسوف، وبات كل شيء على ما يرام لفترة من الوقت. كبرهان آخر على حب ديونيسيوس لمعلمه الفيلسوف، منحه ثمانين قطعة ذهبية تمثل ثروة كبيرة في ذلك الوقت.

أضحى أفلاطون الأكثر نفوذا وتأثيرا على ديونيسيوس. وبات الأخير يعيش حياة كريمة، هي فخر لأصدقائه، ومدعاة للقلق من أعدائه.

لكن أفلاطون لم يستطع التأثير على ديونيسيوس وحثه على إعادة ديون، وكان قد وعد بإعادته من قبل. تبع ذلك، عدم ثقة متبادلة بين أفلاطون وديونيسيوس، مما تسبب في عودة أفلاطون إلى أثينا.

ديونيسيوس، تحت تأثير السلطة المطلقة، ترك نفسه لإغراءات المنافقين والفاسدين حوله، ونسي كل التعاليم وحب الخير والامتثال بالفضيلة التي علمها له أفلاطون من قبل. فهو لم ينكث بالوعد الذي قطعه على نفسه بالعمل على عودة صهره ديون فحسب، بل زوج زوجة ديون لأحد أفراد حاشيته.

استفز هذا الفعل الحقير ديون، ولكي يثأر لشرفه، قاد جيشا لسيراكيوز، وقام بطرد الطاغية من عرشه، واستعاد زوجته. ثم حكم سيراكيوز بالعدل والاقتدار. لكن في النهاية، قتل للأسف بقسوة.



ديون حاكم سيراكيوز

بعد وفاته، عاد ديونيسيوس إلى العرش مرة أخرى، ثم طرد منه للمرة الثانية. وانتهى به الأمر بعد كل هذا الثراء والسلطة، إلى أن يكون مدير مدرسة في كورنث، وهي بلد في اليونان.

عندما لامه صديق على عدم استفادته من تعاليم أفلاطون، أجابه: ""كيف يمكنك أن تقول إنني لم أستفد من تعاليم أفلاطون، وأنت تراني أتحمل المحن والمصائب ولا أشتكي؟"



تيموليون

كان تيموليون، وهو مواطن من كورنث، جنديا ممتازا. هو شجاع، إنساني، وحازم. كان لديه أخ، تيموفانيس، نصب نفسه طاغية لكورينث.

كان تيموليون يحب شقيقه، لكن حبه لبلده كان أكثر من ذلك. عندما وجد أنه لا يستطيع إقناعه بإعطاء الحرية ل كورينث، وافق على اغتياله.

بالرغم من أن الناس أشادوا بما فعله، إلا أن قلب تيموليون وبخه على هذا الفعل. فقرر معاقبة نفسه بالموت، لولا مناشدة أصدقائه. فقرر أن يعيش. لكنها حياة، لم يكن يعرف خلالها أبدا راحة الضمير.

أرسل القرطاجيون، الذين كانوا دائما في حالة حرب مع سيراكيوز، جيشا لحربهم. وهم في محنتهم، طلبوا الغوث من كورينث. فتم إرسال تيموليون مع بعض القوات لمساعدتهم. فتفوق على القرطاجيين، ودخل سيراكيوز منتصرا. ثم أخضع جميع أعداء سيراكيوز، وأعاد تلك المدينة إلى الحرية، وسن قوانينها.

بعد كل الأمجاد التي حققها لجزيرة صقلية، تنازل تيموليون عن سلطته، وعاش بقية أيامه في تقاعد مشرف وحياة هادئة. تبعته زوجته وأطفاله من كورنث. وحتى آخر ساعة من حياته، كان أهل سيراكيوز يعملون بنصائحه في جميع المسائل الهامة.

عندما كانوا يحتاجون إلى سماع رأيه، كانوا يأخذونه في عربة إلى مكان الاجتماع، وكل ما يوصي به، يتم تنفيذه. توفي عام 337 ق م. أما أفلاطون، فقد توفي عام 348 ق م، عن عمر 81 عاما. قبل أن يستعيد الطاغي ديونيسيوس عرش سيراكيوز بعام واحد.

(12)

ديسيوس


فوسيس بمقدونيا، اللون الأحمر

بينما كان أهل سيراكيوز في جزيرة صقلية يقاتلون ويطردون أعدائهم القدامى، القرطاجيون، كان فيليب المقدوني، بدءا من فوسيس، يغزو المدن اليونانية، واحدة تلو الأخرى، وكان الرومان منخرطين في منافسة حادة مع السامنيت، وهم شعب إيطالي قديم يعيش جنوب إيطاليا.

هذا يعني أن الحرب كانت تشكل جزءا رئيسيا من تاريخ جميع الأمم الأوروبية!

التارنتيين، وهم شعوب إيطالية أيضا تسكن جنوب إيطاليا، كانوا حلفاء سامنيت، ناشدوا وحصلوا على مساعدة بيرهوس (بيروس) اليوناني، ملك إيبيروس، أعظم جنرال في عصره. إيبروس دولة تقع شمال غرب اليونان.



بيرهوس (بيروس)

على الرغم من قدرات بيرهوس العظيمة ومجهوداته الاستثنائية، إلا أن الرومان كانوا منتصرين بشكل عام. حتى عندما غزاهم بيرهوس، استفادوا من سوء الحظ، وتعلموا فنون القتال.

الانتصارات التي حصل عليها الرومان في هذا الوقت أدت إلى غزو كل إيطاليا، ووضعت أسس تلك القوة التي سوف نجدها بعد ذلك تنتشر في جميع أنحاء العالم المعروف آنذاك تقريبا.

روما كانت بالتأكيد غنية بالرجال الشجعان. بعد وقت قصير من الأعمال الباسلة ل تيتوس مانليوس، ظهر قنصل (عضو مجلس شيوخ)، اسمه ديسيوس، وهب حياته لخدمة بلاده.

في معركة مع اللاتينيين، رأى ديسيوس، بذعر، أن العدو كان يكتسب ميزة على جنوده. طلب حضور الكاهن الأكبر الروماني، لكي يشهد على أنه قد وهب نفسه للآلهة.

تم تغطية رأس ديسيوس بحجاب، ثم وقف على رمح ملقى على الأرض، وأخذ يردد صلاة معينة لإله الحرب آريس. بعد ذلك، تلفع ديسيوس بردائه، وشهر سلاحه، ثم امتطى صهوة جواده. وانطلق بأقصى سرعة مخترقا صفوف العدو.



ديسيوس البطل الروماني

كان يشاهد بوضوح من كلا الجيشين، الهجمة الجريئة التي قام بها، جعلت أعداءه اللاتينيين يعتقدون بحق أنه رسول السماء، جاء لكي يحاربهم. والرومان تيقنوا أن ديسيوس، قد بعثته الآلهة لنصرتهم.

بهذا، فترت عزيمة جيش اللاتينيين وانتشر بينهم الخوف، وانتعش الأمل والحماس في جيش الرومان. لكن ديسيوس قد مات متأثرا بجراحه. بعد أن أنقذ جيشه، وجعل اللاتينيين يخسرون المعركة ويولون الأدبار. حدث هذا عام 340 ق م.

الإسكندر الأكبر



أوليمبيا والدة الإسكندر الأكبر

لقد وصلنا الآن إلى حكاية الإسكندر الأكبر، ابن فيليب، ملك مقدونيا. والدته هي أوليمبياس (أوليمبيا)، ومعلمه هو أرسطو العظيم. الإسكندر الأكبر، كان كبيرا بغزواته ونشره للثقافة الهيلينية بين الأمم، وأرسطو كان عظيما لحكمته وعلمه، ونشره للفكر التنويري في كل أنحاء المعمورة.

لقد جعل الإسكندر الأكبر نفسه سيدا على اليونان، وعلى بلاد فارس، ومصر، وسار بجيشه حتى نهر الجانج في الهند. ثم وصل إلى بابل. وبعد سنوات من الغزو والانتصارات، مات بالحمى هناك.

نهر الجانج في الهند

في نفس اليوم الذي ولد فيه الإسكندر، احترق معبد ديانا، في أفسس، وهي مدينة في أيونيا، اليونان. كان هذا المعبد واحدا من عجائب الدنيا السبع في العالم القديم.



معبد ديانا، من عجائب الدنيا السبع

كان لدى الإسكندر مدرسين آخرين بجانب أرسطو. لقد أراد الإسكندر أن يتميز، فقرأ الكثير. قرأ إلياذة هوميروس، ودرسها بشكل خاص. كان متفائلا مبتهجا. كانت آراؤه إيجابية بعض الشيء، لكن كان على استعداد لتغييرها إذا ثبت خطؤها.



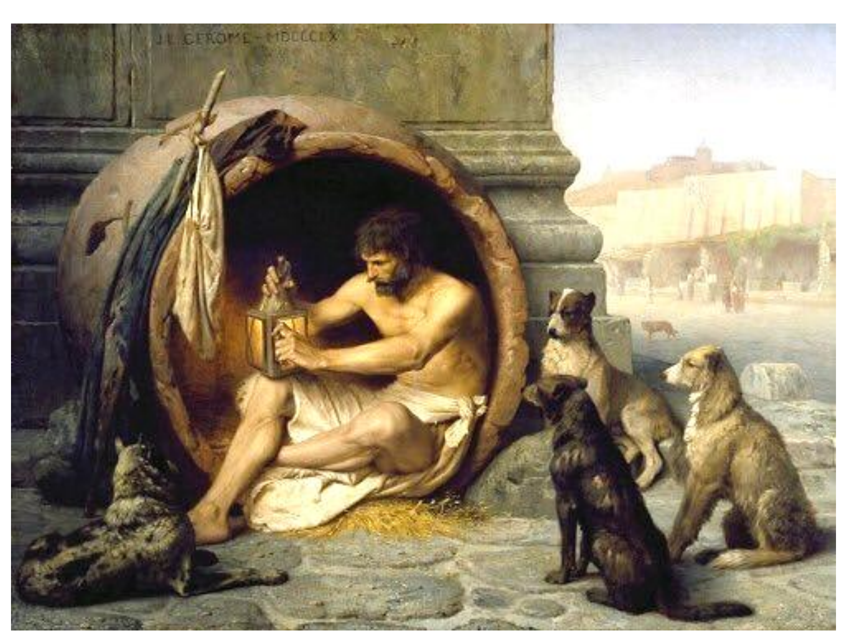
الإسكندر الأكبر

عندما كان صغيرا جدا، ركب حصان الحرب الجامح، بوسيفالوس، الذي لم يجرؤ أحد آخر على ركوبه. ثم بنى بعد ذلك، مدينة تكريما لهذا الجواد، أسماها بوسيفاليا، على اسم الجواد.

عندما كان يشترك مع والده في المعارك الحربية، كان يظهر شجاعة ومهارة فائقة. في أحد المرات، أنقذ حياة والديه، عندما كانا في خطر داهم.

كان عمره عشرين سنة فقط، عندما نصبه موت فيليب ملكا على عرش مقدونيا. بعد ذلك بقليل، كان القائد الأعلى لجيش الإغريق ضد الفرس. سأل ذات مرة بفخر بعض السفراء، الذين كان يعتقد أنهم يهابونه: "ما الذي تخشوه أكثر؟" فأجابوه: "نحن لا نخشى شيئا سوى سقوط السماء

والنجوم"، وهي طريقة ذكية لإخباره بأنهم لا يخافون منه ولا من أي رجل آخر.



ديوجين كان يسكن في برميل

في كورنث، رأى ديوجين، الملقب ب سينيك. الزاهد الذي يكره الثروة والمناصب، والذي كان يسكن في برميل ويحيا حياة تقشف شديدة.

سأله الإسكندر عما إذا كان يريد أي شيء؟ "نعم"، أجاب ديوجين، "أريدك أن تتحكم في أشعة الشمس، وتحجبها عني. أنت لا تستطيع أن تمنحني ما لا تستطيع أن تحجبه عني."

كان الإسكندر معجبا برد ديوجين. وقال: "إن لم أكن الإسكندر، لوددت أن أكون ديوجين." ثم أضاف: "إن لم أكن أملك كل شيء بصفتي الإسكندر، لوددت أن أملك لا شيء مثل ديوجين."

هذا هو ديوجين، الذي ترتبط به العديد من القصص الطريفة. وبالرغم من ذلك، كان فيلسوفا عبقريا، له دراية ومهارة خاصة بمعرفة النفس البشرية. ولد في سينوب، وهي مدينة بونتوس (بنطس)، جنوب البحر الأسود. حيث كان والده يعمل بالعملة، واتهم بصك عملة زائفة. بعدها هرب ديوجين إلى أثينا، وأصبح تلميذا ل أنتيثينيس، الذي يتوافق مع طباعه.

في شوارع أثينا، كان يرى ديوجين في رداء صوف خشن، هو لباسه نهارا وغطاؤه ليلا. كان يتباهى بأن الأروقة والمباني العامة، قد بنيت لكي يستخدمها هو. لأنه كان يستخدمها للنوم وتناول الطعام والمحاضرة.

كان يحمل حقيبة يحفظ فيها الطعام. اعتاد على تحمل أقصى درجات الحر في الصيف والبرد في الشتاء. وعندما وعده صديق ببناء كوخ صغير له، وتأخر في بناء الكوخ لسبب ما، سكن في برميل مفتوح.

في شيخوخته، عندما كان يقوم برحلة بحرية إلى أوجينا، أخذه القراصنة إلى جزيرة كريت، وبيع كعبد. لغرابة طباعه، اشتراه زينيادس، وهو كورنثي ثري.

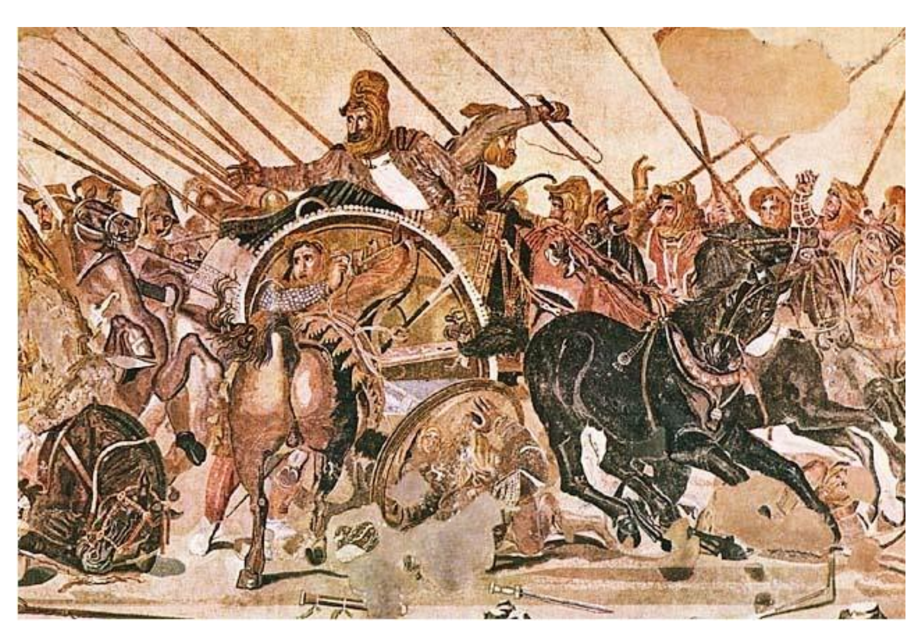
ثم نقله إلى كورنث، حيث منحه حريته. وعندما اختبر مواهبه، وعرف المزيد عن شخصيته وأخلاقه، جعله يعلم أطفاله ويرعى أسرته في غيابه. وكان راضيا عن سلوكه، لدرجة أنه كثيرا ما أعلن أنه قد جلب عبقريا إلى منزله. عاش 96 سنة، ومات عام 324 ق م.

سنعود الآن إلى الإسكندر الأكبر. قبل الزحف بجيشه إلى آسيا، ذهب لأخذ مشورة عرافة دلفي. لكنه وصل في اليوم الذي تمنع فيه التنبؤات والمشورات. لذلك، رفضت الكاهنة الذهاب إلى المعبد في ذلك اليوم.

لكن الإسكندر غير معتاد على رفض طلبه. لذلك أمسك بذراعها وقادها أمامه إلى المعبد. فقالت له: "آه، يا ابني. أنت لا تقاوم.". سر الإسكندر بكلمات الكاهنة، واعتقد أنها إجابة كافية من المرأة المقدسة.

كان الإسكندر سخي العطاء، إذا كان العطاء يدل على الكرم. وعندما أعطى هدايا كثيرة إلى كل من يستحق، سأله بيرديكاس، أحد قواده، "يا سيدي، ماذا احتفظت به لنفسك؟". "الأمل"، أجاب الإسكندر. فقال بيرديكاس، "وهو يرضينا أيضا.". ثم رفض أن يأخذ هديته.

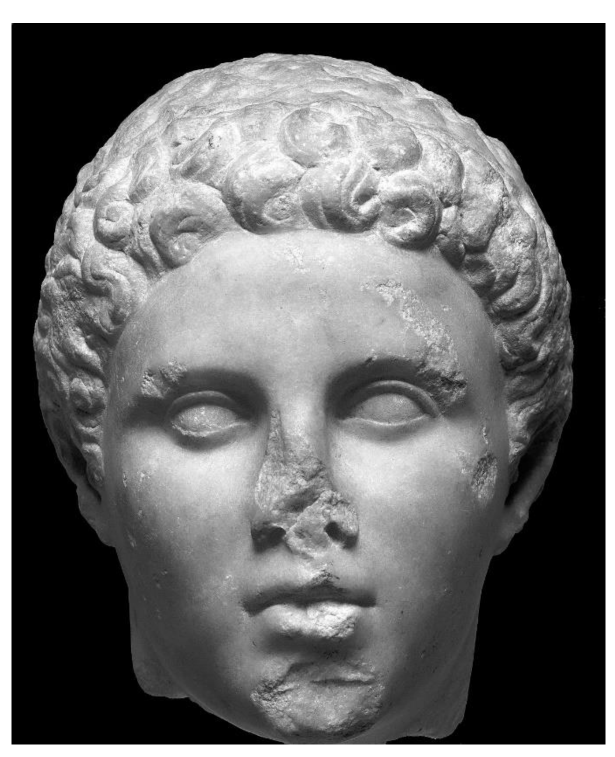
لكن الأجواء كانت مسممة. ففي نوبة سكر، قتل صديقه اللطيف كليتوس. وفي حالة أخرى، حقق رغبات المرأة الشريرة لايس. وبيده أضرم النار في قصر برسيبوليس الجميل.



داريوس الثالث ملك الفرس في معركة مع الإسكندر

لكن سلوكه قبل عائلة داريوس، ملك بلاد فارس، بعد أن قتل الملك وسلبه تاجه، يستحق الذكر بشكل أفضل. فقد تزوج ستاتيرا، ابنة داريوس، وتعامل مع أرملته وأطفالها الآخرين بحنان وإنسانية.

أخلص الإسكندر لصديقه هيفاستيون بأمانة ودفء، ونعى وفاته بشعور صادق. كان يسمح له بالتحدث بحرية وأمانة، ولم يشعر بالإهانة من أي شيء يقوله.



هيفاستيون

وقعت والدة داريوس، وزوجته وعائلته، في أيدي الإسكندر بعد معركة إيسوس. زارهم، وكان معه صديقه هيفوستيون، الذي، كان الرجل الأطول والأوسم. فحسبته الأميرات بالخطأ أنه هو الإسكندر.

عندما علمن بهذا الخطأ، شعرن بالحرج والخوف. لكن الإسكندر بادرهن وقال: "أيتها الأم الطيبة، لست مخطئة، ف هيفوستيون ليس إلا إسكندر آخر." وكان يعني أن الصديق المخلص هي نفس أخرى للإنسان.

عندما كان مريضا بشكل خطير في تارسوس، بسبب استحمامه في نهر سيدنوس في يوم حار صيفا، ربما بضربة شمس، جاءته رسالة من بارمينيو تحذره من طبيبه فيليب. لأن فيليب كان قد تم رشوته من قبل داريوس لكي يقتله بالسم.

بعد أن قرأ الرسالة، وضعها تحت وسادته. وعندما جاء فيليب بالدواء، أخذ الإسكندر الكأس وشرب الدواء، ثم أعطى فيليب الرسالة لأول مرة لقراءتها. لكن الطبيب أثبت أنه جدير بثقة الإسكندر. وبعد فترة وجيزة، تعافى الإسكندر وعم الفرح وسط جنوده.

تصرف بلطف شديد مع والدته، أوليمبيا، وكان يستمع إلى انتقاداتها بلطف وصبر. وعندما كتب أنتيباتر، الذي تركه لحكم مقدونيا في غيابه، رسالة طويلة يشتكي فيها والدته، قال الإسكندر مبتسما: "أنتيباتر لا يعرف أن دمعة واحدة تذرفها أم، تطمس عشر رسائل مثل هذه".

في الهند، غزا ملكا، يدعى بوروس، الذي كان طوله سبعة أقدام ونصف: هذا الرجل طويل القامة بشكل فريد، عندما وقف بين يدي الإسكندر، سأله كيف يعامله. "مثل ملك"، أجاب بوروس. كان الإسكندر معجبا بهذه الإجابة، لدرجة أنه أعاد له مملكته، وبعد ذلك عامله بلطف واحترام.

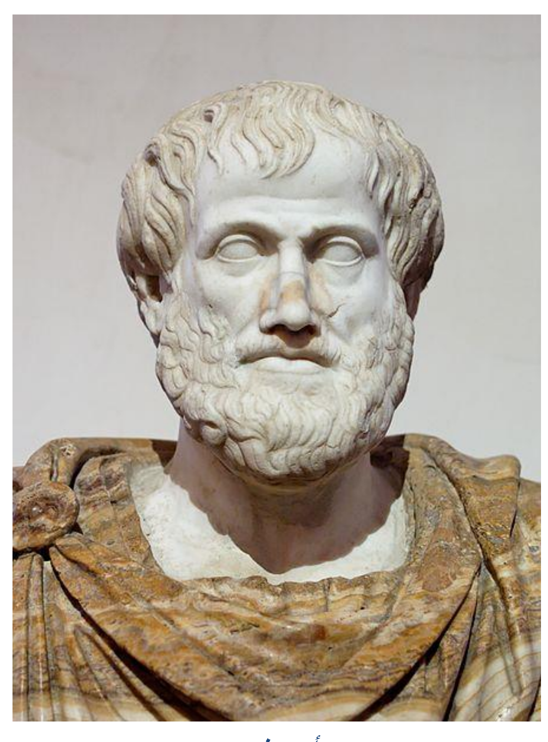


ستاتيرا الأولى زوجة داريوس الثالث، وستاتيرا الثانية زوجة الإسكندر الأكبر

ثم ماذا؟ مات الإسكندر. وماذا حدث بعد ذلك لفتوحاته الجبارة؟ تشاجر خلفاؤه حول تقسيم الأراضي الهائلة التي أخضعها. ثم قتلوا ابنه الرضيع، ووالدته، وزوجتيه، روكسانا وستاتيرا الفارسية. وفي سنوات قليلة تم تقسيم إمبراطوريته الواسعة، إلى العديد من الممالك الصغيرة. توفي الإسكندر في بابل، عن عمر 33 عاما، في عام 323 ق م.

لقد جاء الإسكندر كمخلص، ليحارب العنصرية والطائفية والعوائق السياسية. وليبني المدن، على النمط الإغريقي، ويجعلها مراكز للنور

والثقافة والحضارة والإدارة. مدينة الإسكندرية في مصر على سبيل المثال، ومدن أخرى شرق تركستان وعلى حدود الهند.



أرسطو

بعد أن تقلد الإسكندر مقاليد الحكم، عاد أرسطو إلى أثينا، التي أصبحت الآن تحت الحكم المقدوني. هناك استأجر مبنى كان مخصصا للإله "أبولو ليسيوس"، والذي يعني اسمه، أبولو أمير الضياء. ليسيوس كلمة مشتقة من كلمة الضياء باليونانية. ومن ثم كان اسم المدرسة التي أنشأها أرسطو "الليسيوم".

في مدرسة الليسيوم، قام أرسطو بجمع الكتب والمخطوطات، وعينات علمية من المواد والأحياء المختلفة بغرض الأبحاث والدراسة. وأنشأ أرسطو حديقة نباتات وحديقة حيوانات وطيور بغرض الدراسة.

أحد تلاميذه أو أكثر، كانوا يرافقون الإسكندر في حملته نحو الشرق، ويقومون بإرسال ما يصادفهم من نباتات وحيوانات أو طيور غريبة، إلى مدرسة أرسطو.

في مدرسة الليسيوم، كان أرسطو يدير ويقوم بالأبحاث ويحاضر في كل فرع من فروع العلوم المعروفة في ذلك الوقت. وكان يقوم بالتدريس في الهواء الطلق أثناء السير، وفي الشرفات المكشوفة التي تطل على

الحديقة.

هذا الأسلوب الجديد في التدريس، جعل الليسيوم مركزا لدراسة وأبحاث العلوم الحديثة، مثل: العلوم الطبيعية، الفلسفة، العلوم السياسية، وغيرها. بالنسبة لنشاط المدرسة وحجمها ومدة بقائها وعدد طلبتها، أضحت تتجاوز مدرسة أفلاطون، الأكاديمية، التي ظلت تعمل وفقا للبرنامج الذي وضعه لها أفلاطون قبل وفاته.

لكن الموت المبكر للإسكندر الأكبر وضع نهاية لنشاط أرسطو في أثينا. الشعور الوطني المتنامي ضد المقدونيين، بدأ يتكثف في المدينة، بسبب وجود المحتل. تحول هذا الشعور بعد وفاة الإسكندر إلى كره وعداء سافرين لكل من كانت له صلة بالمقدونيين.

فترة حياة أرسطو، شاهدت مجد المدن الإغريقية، التي استطاعت أن تدافع عن حرياتها وأسلوبها في الحياة، ضد غزوات الفرس المتكررة.

الآن بعد أن فشلت هذه المدن الإغريقية في وأد خلافاتها، فقدت استقلالها وأُغلقت مدارسها وخبت شعلة حضارتها. وإذا استثنينا فترات قليلة قصيرة من عمر بلاد الإغريق، نجد أن هذا الوضع البائس ظل على حاله حتى نصل إلى القرن التاسع عشر.

عاصر أرسطو بداية هذه الأحداث. كان يعرف أبطالها. وترك لنا فكرا عميقا عظيما رائعا في كثير من المواضيع. في كل المعلومات التي تركها لنا، لم يعقب بكلمة واحدة عما كان يدور في وقته من أحداث، أو عن أبطال هذه الأحداث.

لم يحدثنا أرسطو عن الثورات التي كانت تدور حوله. لقد شاهد سقوط بلاد الإغريق وغزوات الإسكندر، ولم يعرها اهتماما. هذه أحداث ليست لها قيمة دائمة خالدة في نظره.

لقد كان تركيز أرسطو على أشياء أعمق وأخلد. كان تركيزه على المبادئ وقوانين الطبيعة التي لا تتغير. على وجود وسلوك الإنسان المتحضر وعلى المنطق والمعرفة ذاتها والفنون.

(13)

السامنيت



السامنيت، جنوب إيطاليا

بعد وقت قصير من وفاة الإسكندر، عانى الرومان من عار شديد. كانوا لا يزالون في حالة حرب مع السامنيت، وهم قوم من جنوب إيطاليا.



بابيريوس كيرسر

حصل الرومان في البداية، بقيادة الدكتاتور بابيريوس كيرسر، على انتصار رائع، في نفس السنة التي مات فيها الاسكندر الأكبر. لكن بعد خمس سنوات من هذا الانتصار، كان محكوما عليهم أن يتجرعوا كأس الهزيمة.

الرومان، تحت قيادة فيتوريوس وبوتوميوس، تم استدراجهم إلى ممر ضيق من قبل السامنيت، بقيادة الجنرال كايوس بونتيوس. وجد الرومان أنفسهم محاطين بالعدو، غير قادرين على المضي قدما أو التقهقر إلى الوراء. الأسوأ من ذلك كله، أنهم غير قادرين على الدفاع عن أنفسهم.

شعر السامنيت بسعادة غامرة لرؤية خصومهم القدامى تحت رحمتهم، فأرسلوا إلى هرينيوس المسن، والد جنرالهم، يطلبون النصيحة والرأي. فأوصى هرينيوس ابنه بالسماح للرومان بالمرور بشرف، وتركهم بكل احترام وكرم. لم يعجب هذا الرأي قواد السامنيت، فأرسلوا للشيخ يطلبون مراجعة رأيه. فأرسل لهم جملة واحدة: "إذن اعملوا فيهم السيف جميعا."

كان كايوس يظن أن هرينيوس والده قد كبر وخرف وأصبح يقدم نصائح متضاربة. لكن هرينيوس جاء إلى المخيم، لكي يدافع عن رأيه ويبين حكمته. قال: "إذا أعطيت الرومان حريتهم، فإن شعبا كريما جدا لن ينسى

هذا الفعل. ولكن إذا اخترت تدابير أقسى وأشد، وقمت بقتل كل منهم، ستضعف قوتهم بشكل أساسي. وعليك أن تفعل هذا أو ذاك."

اختار السامنيت حلا وسطا. جعلوا الرومان يمرون تحت نير العار. وهو عبارة عن ثلاثة رماح. اثنان ثابتان بحزم في وضع رأسي في الأرض، والثالث يوضع أفقيا فوقهما. لكي يمر الأسرى من تحته، وهذا يعتبر عارا كبيرا جدا للمحارب في الزمن القديم.

عندما استسلم الرومان وطلبوا السلام، اقترح بونتيوس شروطا صعبة للغاية. تأوه الجنود الرومان بصوت عال عندما سمعوا الشروط المخزية المتوقعة منهم.

هنا ذكرهم ضابط حكيم وشجاع، يدعى، سيكستولوس، بأن سلامتهم كانت ضرورية لسلامة بلدهم، لأنهم يشكلون جيشها الرئيسي. وأنه من واجب الجندي الوطني الحقيقي أن يعاني حتى من العار، مثل طلبه للمجد من أجل بلده. اعترف الرومان بسلامة رأيه، ووافقوا على تجرع ما هو أمر من الموت في سبيل روما الحبيبة.

أولا، أمِروا بتسليم جميع أسلحتهم وخلع ملابسهم الخارجية، ثم الخروج من حصارهم. القناصل وهم الحكام، يقودون المسيرة، نصف عراة، جردوا من كل الأوسمة والرتب. ثم يمرون من تحت النير المشار إليه ورمز العار للجندي المحارب. بعدهم، يأتي الضباط وفقا لرتبهم، ثم باقي الجنود. أما السامنيت، فوقفوا يسخرون من الأسرى.

عندما انتهى احتفال إهانة الأسرى وإذلالهم، بدأ الجنود البؤساء، يرقدون في الحقول والطرق، يخجلون من العودة والدخول في أية قرية وهم شبه عرايا بملابسهم الداخلية.

لكن في اللحظة التي سمع فيها سكان كابوا، وهي مدينة ليست بعيدة عن ممر جاوديوم، عن محنة الأسرى الرومان، أرسلوا لهم بسخاء الخيول والملابس والطعام.

لنا أن نتخيل مقدار الغضب والعار الذي شعر به الرومان بسبب المهانة التي لحقت بجنودهم. لذلك، بدأوا على الفور في اتخاذ تدابير للقضاء على وصمة العار التي لطخت مجدهم العسكري. ولم يمض وقت طويل قبل أن يحقق الرومان بقيادة بابيريوس انتصارا هاما على السامنيت.

جعلوهم يتذوقون مرارة الهزيمة، وكانوا حريصين على أن يجعلوا الأسرى منهم يمرون شبه عرايا تحت نير الهوان، كما فعلوا بهم من قبل. ويوم لك ويوم عليك.

كان الرومان منزعجين لدرجة أنهم لم يلقوا أسلحتهم حتى قاموا بقهر السامنيت بالكامل. كانت هذه هي عواقب استفزاز شعب شجاع!

حدث قبل هذا العار أن الرومان كانوا قد غزوا مدينة بريفيرنوم. سأل أحد أعضاء مجلس الشيوخ نواب المدينة عن العقاب الذي يستحقه المواطنون لتمردهم ضد روما؟

"مثل أولئك، يستحقون أن يشعروا بالأمان وأنهم أحرار. أجاب النائب.
وتابع عضو مجلس الشيوخ، "ولكن، أي نوع من السلام يمكن أن نتوقعه معكم، إذا غفرنا لكم؟"

"سلام ثابت ودائم، إذا كانت شروطه عادلة. أما إذا كانت الشروط ظالمة، فالسلام معنا لن يدوم طويلا." كانت هذه هي إجابة عضو نواب مدينة بريفيرنوم.

هذه الكلمات يجب علينا جميعا أن نفكر فيها. وتعني أن جميع المعاهدات والصفقات ينبغي أن تكون عادلة، لكل الأطراف، في السر وفي العلن.

مر الرومان تحت النير في كوديوم، عام 321 ق م.

خلفاء الإسكندر

قبل مرض الإسكندر الأكبر الخطير، استولى على مدينة جورديوم، في فريجيا، آسيا الصغرى. في هذه المدينة كانت هناك عربة، مربوط بعمودها عقدة غريبة جدا، يعتقد أنه من المستحيل حلها. كان هناك أيضا اعتقاد في المدينة، أن من يستطيع حل هذه العقدة، سوف يمتلك إمبراطورية آسيا.

كان الإسكندر واثقا من أن حكاية العقدة تخصه هو. لكنه، كان يفشل كلما حاول عبثا حلها. وعندما نفذ صبره، مزق العقدة بسيفه إربا.

في الصحراء الغربية، وجد الإسكندر معبد آمون. يقال إنه تاه في الصحراء وكاد جيشه يفنى مثل جيش قمبيز من قبل. لولا سرب من الغربان دله على الطريق.

معبد أمون في سيوة

يعتقد أنه مرسل من الإله آمون. هناك، أعلن كهنة المعبد أن الإسكندر، هو ابن الإله آمون. منذ ذلك الوقت، كان يطلق الإسكندر على نفسه، ابن آمون.

كان لدى الإسكندر ابنا يدعى هرقل، من زوجته بارسين. ترك أيضا أخا يدعى أريدوس. أريدوس والإسكندر ابن روكسانا، والذي ولد بعد وفاة الإسكندر الأكبر، هما ورثته الباقين في الحكم. لكن سرعان ما أغلقت صفحتهما وحياتهما.

عندما سئل الإسكندر الأكبر في لحظات موته، لمن يترك الإمبراطورية، أجاب: "إلى الأكثر قوة".

قسم قواد الإسكندر الكبار الإمبراطورية الواسعة فيما بينهم. وقام أحدهم بقتل الطفل ابن الإسكندر، ووالدته بارسين. وقتل آخر شقيقة الإسكندر، كليوباترا. وبذلك، تكون عائلة الإسكندر الأكبر قد انقرضت بالكامل.

بدأ الضباط في الحكم أولا كجنرالات وحكام فقط، وأخذ كل منهم بلدا معينا تحت حكمه. ولكن بعد بضع سنوات، تولوا الألقاب العليا. ثم أصبحوا ملوكا وأباطرة، وأسسوا أنفسهم وأبناءهم بعدهم على العروش التي صنعوها.

اندلعت المشاجرات بين قواد الإسكندر الأكبر والمعارك، التي أفقرت البعض ودمرت البعض الآخر، حتى لم يبق في النهاية سوى أربعة في السلطة. من بين هؤلاء، بطليموس ملك مصر، وكاساندر في مقدونيا واليونان، وسيليكوس في سوريا وبابل، وليسيماخوس في تراقيا.

بطليموس الأول حاكم مصر

أومينيس، أفضلهم جميعا، حكم كابادوكيا. لكنه لم ينعم بالحكم لأن أنتيجونوس غزا بلده وقام بقتله. من بين الأربعة المذكورين أعلاه، نقل اثنان فقط، بطليموس وسيليكوس، حكم إمبراطوريتيهما إلى أطفالهما. الآخرون تم غزو بلادهم وتحريرها من قبضتهم.

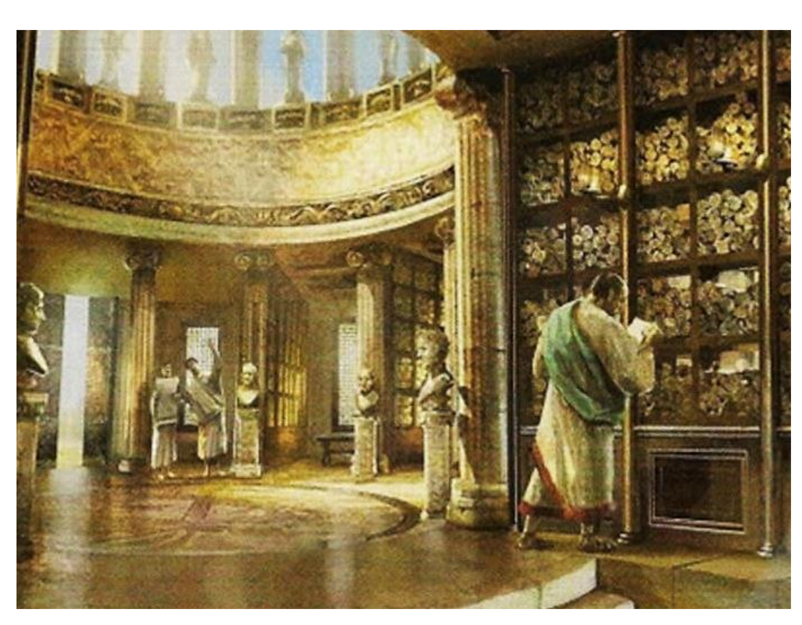
عندما غادر الإسكندر مقدونيا، ترك أنتيباتير حاكما لها. استمر أنتيباتير يتمتع بهذا المنصب العالي بعد وفاة سيده. في سن متقدمة جدا، توفي، تاركا ابنه كاساندر، يشاركه بوليبرشون، أقدم جنرالات الإسكندر، الحكم في مقدونيا. كان كاساندر طموحا جدا، فاستخدم المكر والدهاء لكي ينفرد بحكم مقدونيا واليونان فيما بعد.

ملوك مصر، لفترة طويلة، كانوا يسمون بطليموس. وهو اسم الجنرال الذي كان واحدا من القواد الأربعة الذين تقاسموا ممتلكات الإسكندر الرئيسية فيما بينهم.


فنارة الإسكندرية، من عجائب الدنيا السبع

عندما كان في الثمانين من عمره، تنازل عن العرش، وكان قد ربي ابنه بطليموس الثاني فيلاديلفوس تربية رفيعة بكل المقاييس. ثم توفي بسلام بعد عامين. بنى فنارة الإسكندرية التي صارت من أعاجيب الدنيا السبعة.

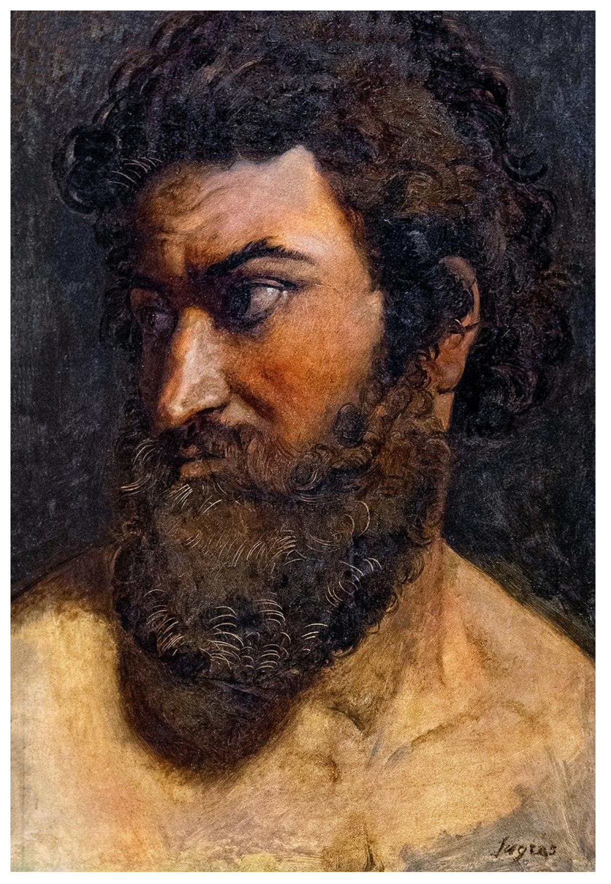
أما بطليموس الثالث، فقد كان رجلا متعلما وفاضلا. أسس المتحف والمكتبة الشهيرة في الإسكندرية. وهو الذي قال: "إن العظمة الحقيقية للملك تأتي من إثراء شعبه، وليس من إثراء نفسه".



مكتبة الإسكندرية قديما

تزوج سيليوكوس من امرأة شابة جميلة تدعى ستراتونيس. بعد فترة وجيزة من الزواج، مرض ابنه أنطاكيوس، ولم يتمكن الأطباء من اكتشاف مرضه، حتى قام إيراسيستراتوس، وهو طبيب ماهر، بمعرفة سبب مرض الأمير الشاب.

لاحظ تغيير لونه، وانه يتنهد ويرتجف، كلما تدخل عليه الملكة الجميلة زوجة أبيه. وأخيرا، حصل على اعتراف منه، بأنه أحب الملكة.



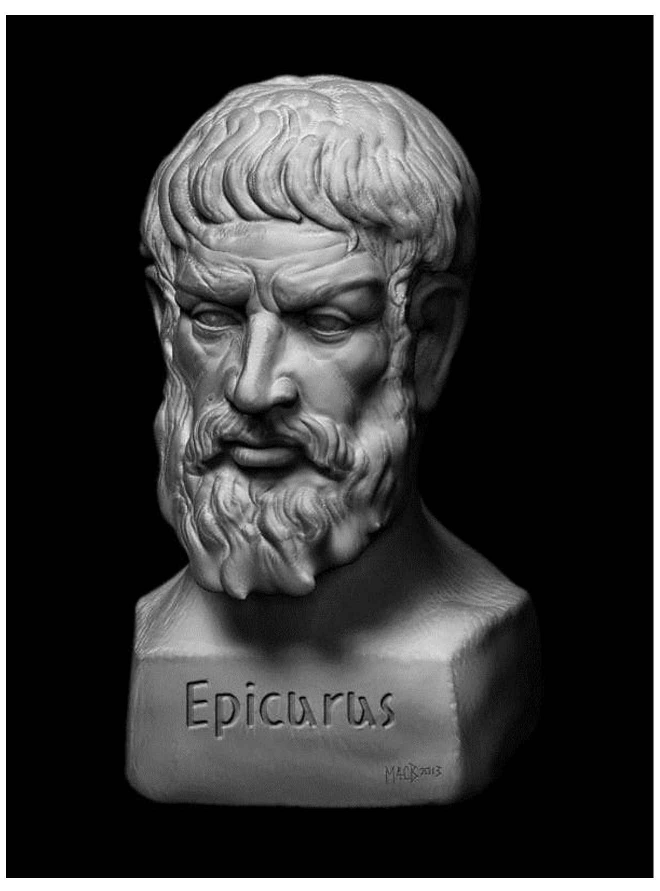
ايراسيستراتوس الطبيب

ثم أضاف الأمير الشاب: "أفضل أن أموت على أن أعلن حبي، وبالتالي أعاقب على إعطاء قلبي لمن لا أستطيع الزواج منها أبدا."

قرر الطبيب القيام بمحاولة لإنقاذ أنطاكيوس الولهان. ذهب إلى الملك، وقال له إنه اكتشف سبب مرض ابنه. "ما هو؟ " سأل سيليوكوس. قال إيراسيستراتوس: "إنه واقع في حب سيدة لا يستطيع الزواج منها. ولماذا لا يستطيع الزواج منها؟" - "لأنها زوجتي"، أجاب الطبيب الماكر.

"وأنت، ألا يجب أن تتركها لإنقاذ ابني؟" سأل الملك. "سيدي، ضع نفسك في مكاني، هل تتخلى عن زوجتك؟" - "نعم"، أجاب الأب الحنون."، أعطيه زوجتي ومملكتي أيضا، إذا كان هذا ينقذ حياته." إذن، افعل ذلك يا مولاي، لأنها زوجتك، وليست زوجتي التي يحبها.

لم يتردد الملك سيليوكوس لحظة واحدة. وبموافقة الزوجة، ستراتونيس، تركها الملك لكي تتزوج ابنه. ثم توجهما ملكا وملكة على سوريا. لكن، الابن أنطاكيوس، احتراما لمشاعر والده، لم يدخل بها إلا بعد وفاته.



أبيقور

كان في زمن سيليوكوس وابنه، يعيش الفيلسوف أبيقور. ولد من أبوين فقراء، في جارجيتوس، وهي قرية يونانية. لكنه في وقت مبكر تميز بالعبقرية. في الرابعة عشرة، صمم على أن يكون فيلسوفا. بعد أن ثقف نفسه وأثرى عقله بالسفر، استقر في أثينا وكان سنه 36 سنة.

عندما وجد جميع الأماكن العامة مشغولة بفلاسفة آخرين، اشترى أبيقور حديقة جميلة، لكي يلقي فيها محاضراته. ومن ثم كان أتباعه يوصفون بفلاسفة الحدائق. وكان أول من ألحق الحديقة بالمنزل في أثينا.

سرعان ما جذب عددا من أتباعه بحلاوة حديثة وكرم أخلاقه، وكذلك بفضائله الاجتماعية. كان طعامه اليومي يتألف من الخبز والماء، مع الفواكه المنتجة من حديقته، وقليل من الحليب والجبن والزيتون. ويكتفي بشرب الماء فقط.

كان يعلم أبيقور أن السعادة تأتي من المتعة. لا يعني هذا الإشباع الحسي أو من الرذيلة. لكن من متعة العقل وحلاوة الفضيلة.

حياة أبيقور وتعاليمه، أثارت الغيرة عند الطوائف الأخرى. الذين قاموا بتوجيه اللوم إلى مذهبه بلا تهاون، مما جعل اسم طائفته هو المثل لكل شيء فاسد من حيث المبدأ والسلوك.

في سن متقدمة، تعرض أبيقور لنوبات ألم مبرح بسبب مرض مزمن. ومع ذلك ثابر في التدريس حتى عامه الثاني والسبعين. خلال أسبوعين من العذاب المبرح، لم يبين آلامه، لكنه تحدث كالعادة مع أصدقائه حول مبادئ الفلسفة.

وعندما اقتربت النهاية، أمر بحمام دافئ، ثم شرب كأسا من النبيذ. وبعد ذلك، بينما كان يحض أصدقاءه على عدم نسيان تعاليمه أسلم الروح عام 270 ق م.

رسالة، كتبها قبل وفاته مباشرة إلى صديقه إيدومينوس، معبرة عن حالته العقلية: "بعد حياة سعيدة، وصلت إلى اليوم الأخير. إن الألم المبرح الذي يعاودني، أتغلب عليه بالفرح الذهني الذي أشعر به من تذكر خطاباتنا واكتشافاتنا".

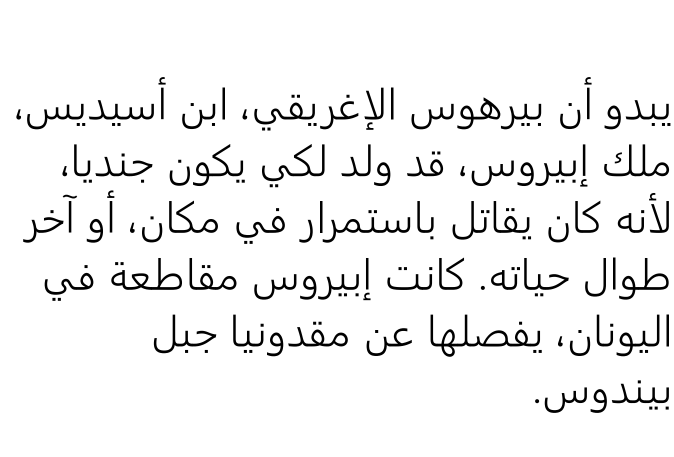
هذه هي لغة الفيلسوف، وليست لغة رجل المتعة. إذا كانت عبارات "العربدة" و"الإغواء" و"الإفساد" و"النهم" تنسب إلى الفلسفة الأبيقورية،

فهذا يرجع إلى شروح وتفسيرات الرومان، وليس لفلسفة أبيقور.

ذكرى هذا الفيلسوف الودود كانت مبجلة جدا من قبل تلاميذه، لدرجة أن كل واحد منهم كان لديه صورة له، يحملها دائما معه. وكانوا يرسمون صوره على الكؤوس والخواتم، ويعتبرون ذلك فأل حسن.

(14)

بيرهوس



يبدو أن بيرهوس الإغريقي، ابن أسيديس، ملك إبيروس، قد ولد لكي يكون جنديا، لأنه كان يقاتل باستمرار في مكان، أو آخر طوال حياته. كانت إبيروس مقاطعة في اليونان، يفصلها عن مقدونيا جبل بيندوس.



بيرهوس

كان بيرهوس رضيعا، عندما قُتل والده. في سن الثانية عشر، أصبح ملك إيبيروس، ولكن في السابعة عشرة حرم من تاجه. حارب بشجاعة كبيرة في معركة إبسوس، عندما قسم قادة الإسكندر الأربعة الرئيسيون فتوحاته بينهم.



إيبيروس، جزء من اليونان

تزوج أنتيجون، ابنة بطليموس، ملك مصر. ومع الجيش الذي أعطاه له حماه، عاد إلى اليونان، واستعاد عرش إيبيروس.

انخرط بيرهوس الآن في حرب ضد مقدونيا، وطرد ملكها ديمتريوس، وأعلن نفسه ملكا لها. لكن، في وقت قصير جدا، تم طرده هو نفسه من مقدونيا من قبل ليسيماخوس.

عاد الآن إلى إبيروس، عسى أن يمضي حياة سعيدة هادئة، ولكي يقوم بحماية وخدمة رعاياه الخاصة، والوفاء بواجبات الحياة المختلفة. لكن ميوله الحربية جعلته كارها للسلام.

كان شعب تارينتوم آنذاك في حالة حرب مع الرومان. أرسلوا يتوسلون إلى بيرهوس يطلبون المساعدة. لبى بيرهوس النداء، وبدأ الاستعداد للذهاب إلى إيطاليا. عندما سأله الحكيم سينياس، عن نواياه، قال بيرهوس:



تارينتوم

"غزو روما"

"وماذا ستفعل بعد ذلك يا سيدي؟"

"بعد ذلك، سأغزو إيطاليا."

"وبعد ذلك؟"

"سأخضع قرطاجة ومقدونيا وكل أفريقيا واليونان".

"وعندما تقهر كل ما تستطيع قهره، ماذا تفعل؟ "

"افعل؟ ماذا، سنجلس ونقضي وقتنا في سلام وراحة".

"آه! يا إلهي!" قال سينياس الحكيم،

"ما الذي يمنع من الجلوس في سلام وراحة الآن؟"

دعنا نتوقف قليلا ونتأمل نهاية كل فتوحات الإسكندر الجبارة! لقد أصبح سيلوكوس وبطليموس ملوكا عظام. ما كان يمتلكه القادة الآخرون من امبراطورية الإسكندر مترامية الأطراف، سقط مرة أخرى في أيدي السكان الأصليين، ولم يتبق منه شيء. زوجات الإسكندر وأولاده وأقاربه، قتلوا بدم بارد حتى لا يكون لهم دور في الحكم. الإسكندر نفسه توفي في عز شبابه.

ودعنا نرى ما الذي فعله طموح بيرهوس. ذهب وغزا الرومان. كان الاعتقاد أن سبب النصر يرجع إلى فيلة جيش بيرهوس، التي أصابت الخيول الرومانية بالرعب فولت الأدبار. لكن بيرهوس كان منبهرا بالسلوك الباسل والماهر للرومان.

في ذلك الوقت كان الإغريق يطلقون على جميع الدول فيما عداهم لفظ البرابرة. بعد ذلك قلدهم الرومان واعتبروا شعوب كل الدول الأخرى برابرة فيما عداهم.

حقق بيرهوس انتصارا ثانيا؛ لكن بعد ذلك وجد نفسه يفقد أرضه يوميا، وكان سعيدا بمغادرة إيطاليا قبل أن يهزم بالكامل. عندما دعاه شعب صقلية، ذهب إليهم مسرورا، لأن هذا أعطاه ذريعة يبرر بها انسحابه من إيطاليا.

في صقلية، شهد في البداية ترحابا تحول بعد ذلك إلى شعور سلبي. جعله يعود مرة أخرى إلى إيطاليا، وكاد أن يطرد من سيراكيوز من قبل القرطاجيين.

هو مرة يغزو روما، ومرة أخرى يهرب من هناك. ومرة يخضع مقدونيا، ومرة يفقدها. ثم فرض حصارا على اسبرطة، لكنه لم يستطع تحمل ذلك. أخيرا فقد حياته، عندما كان يحاول غزو مدينة أرجوس، بسبب امرأة.

رأته المرأة وهو يقاتل ابنها، فألقت صخرة كبيرة من فوق الجدار الذي كانت تقف فوقه على بيرهوس. الصخرة وقعت على رأسه فسقط على الأرض، فجرى جندي معادي، وقطع رأسه على الفور.

كانت هذه هي نهاية بيرهوس! ومن المرجح أن تكون هذه نهاية كل جبار معتد آثم، وكل دكتاتور ظالم، في كل مكان وكل زمان.

عندما غزا إيطاليا أول مرة، عرض أحد أطبائه على الرومان أن يقوم بدس السم ل بيرهوس، نظير مكافأة كبيرة. صدم الجنرال الروماني، فابريسيوس، بهذه الخيانة. وأبلغ بيرهوس بما عرضه الطبيب، ثم نفاه بعيدا بازدراء. وقال: "يتعين علينا ان نكون شرفاء حتى أعدائنا ".


فابريسيوس

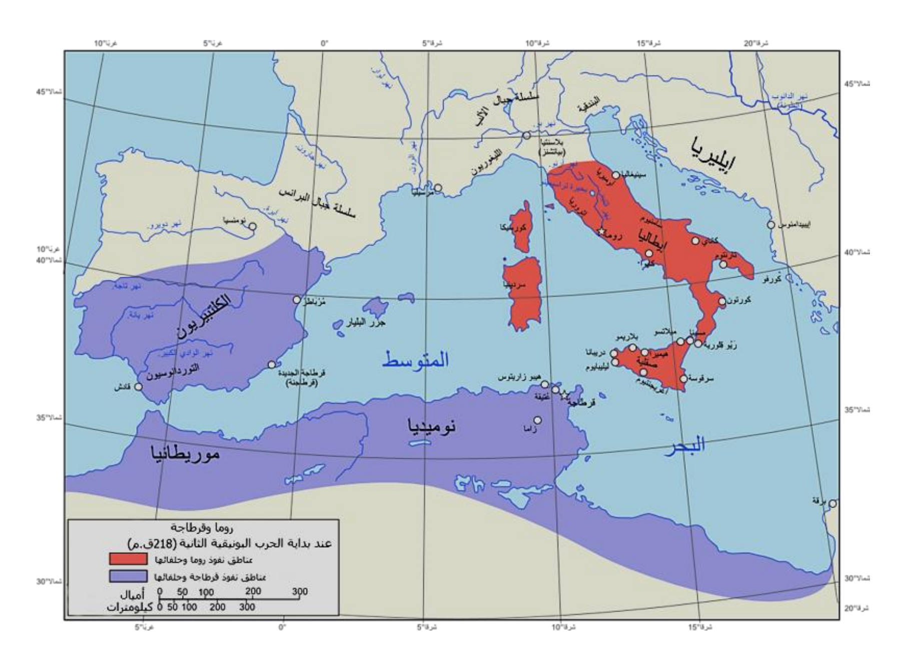
هذا هو فابريسيوس، الرجل الذي سعى بيرهوس لإرهابه بأفياله، التي لم يرها الرومان من قبل. والذي عرض عليه بيرهوس رشوة كبيرة من الأموال، إذا سهل له عقد معاهدة مفيدة مع الرومان. لكن فابريسيوس، الحازم والصادق، رفض جميع عروضه، وقال مبتسما: "أنا لا أخاف أفيالك، ولا أقدر ذهبك".

قتل بيرهوس عام 272 ق م. يقال إنه كان أول جنرال يفهم ويعلم فن المخيمات. ومنه تعلم الرومان الكثير من فن الحرب. في الواقع، كان الرومان يتعلمون بكل ما في وسعهم، حتى من أعدائهم. وكان هذا السبب في نجاح تأسيس امبراطورية كبيرة لمئات السنين.

الحرب البونيقية (البونية) الأولى

كانت الحروب بين روما وقرطاجة تسمى بالحروب البونيقية (البونية). لأن القرطاجيين جاءوا أصلا من فينيقيا، وأطلق عليهم اسم فيني.

كانت الحرب البونيقية الأولى بسبب شقاق بين الصقليين، الذين تقدم بعضهم يطلب المساعدة من الرومان، ويطلب آخرون العون من قرطاجة.



روما وقرطاجة

كانت هناك معاهدة بين الرومان وقرطاجة بعدم التدخل في تجارة وممتلكات القرطاجيين. لكن عندما قتل بيرهوس، ولم يعد الرومان يتعرضون للمضايقة بسبب هجماته، كان لديهم الوقت للتفكير في قرطاجة، التي كانوا يراقبون قوتها وثروتها المتنامية بحسد وخوف.

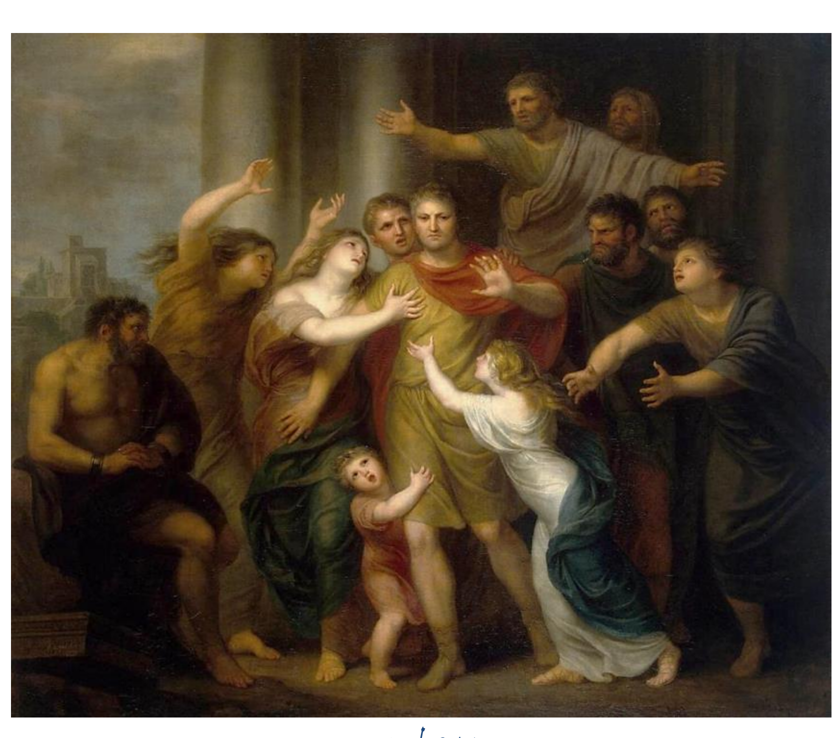
أثينا، كانت مشهورة بالمهارة في فن النحت، والخطابة، والرسم، والشعر. قرطاجة، كانت مشهورة بالثروة والتجارة. أما روما، فكانت معروفة بغزواتها واسعة النطاق. وكانت تسيطر في وقت ما على الأرض المعروفة بأكملها تقريبا، وكانت هي سيدة العالم.

أول حملة قام بها الرومان، كانت من إيطاليا. عندما عبروا إلى صقلية وأخذوا مدينة ميسينا. فكروا بعد ذلك في غزو قرطاجة من البحر. ولكن لم يكن لديهم سفن. قرطاجة، كانت تمتلك أسطولا بحريا قويا.

وجد الرومان حطام سفينة قرطاجية مهجورة على ساحل إيطاليا، فبدأوا في بناء سفن على نفس النمط. في البداية كانت سفنهم بدائية خشنة، لكن مع الوقت والمثابرة، تحسنت صناعتها وتميزت. لم يكن يعرفون البوصلة، لذلك كانوا يبحرون على مرأى من الأرض، أو يتبعون مواقع النجوم.

لقد نجح الرومان في ذلك، لدرجة أنهم سرعان ما دمروا الأسطول القرطاجي.

ريجولوس، القائد الممتاز، لكن قليل البخت، مع أسطول من ثلاثمائة وثلاثين سفينة، وكل سفينة كان على متنها ثلاثمائة مجدف ومائة وعشرين جندي، فاز على أسطول قرطاجة، بقيادة هانو وهاميلكار.



ريجولوس

شجع الرومان هذا النصر كثيرا، لدرجة أنهم عبروا بجرأة البحر الأبيض المتوسط، ثم هبطوا في أفريقيا، وأخذوا بلدة كليبي الصغيرة.

صدر الأمر لريجولوس بالبقاء هناك، كقنصل محترف لقيادة القوات. لكنه طلب إجازة للعودة إلى منزله في روما، حيث كان لديه تركة صغيرة من سبعة أفدنة، الأمر الذي يتطلب رعايتها. وقام بتكليف شخص ما بأداء هذه الخدمة. بعد أن اطمأن ريجولوس على زوجته وأطفاله، وأن لديهم الغذاء الكافي، وهب نفسه عن طيب خاطر لواجباته الوطنية.

استعان القرطاجيون بقوات دعم من اسبرطة تحت قيادة زانتيبوس. مما جعلهم يهزمون الرومان، ويأخذون ريجولوس أسيرا. إلا أن القرطاجيين كانوا غاضبين جدا، لأن النصر كان ينسب لدعم حلفائهم الاسبرطيين. هذه الغيرة أو ربما الخوف، جعلهم يرسلون القائد زانتيبوس في سفنهم الخاصة، ثم قاموا بقتله هو ورفاقه. فياله من جحود.

ظل ريجولوس في السجن لسنوات عديدة. ثم أرسل إلى روما، في اتفاق سلام لتبادل الأسرى. بعد أن قام أولا بأداء اليمين على أنه سيعود إلى قرطاجة، إذا لم ينجح في مسعاه.

عندما ظهر هذا الروماني النبيل بين مواطنيه، تأثروا جميعا بما أصابه، وكانوا على استعداد لشراء حريته من خلال الموافقة على طلب أعدائه. لم يسمح ريجولوس لبلده بأن يعاني من أجل مصلحته الشخصية.

وفضل أن يعاني من أجل وطنه. وهو يعرف أن التعذيب والموت ينتظره في قرطاجة.

توسل للرومان أن يرفضوا الاتفاق، ويرسلوه إلى قرطاجة ثانية. لأن إطلاق سراح القرطاجيين السجناء، يعني عودة الجنرالات المهرة والشبان النشطين للقتال ضد روما.

وافق مجلس الشيوخ مع الألم الشديد على رأي ريجولوس، بالرغم من دموع زوجته، وأحضان أطفاله، وصلوات أصدقائه. وعاد بدون اتفاق إلى قرطاجة.

بمجرد أن رآه القرطاجيون يعود بالرفض، كانوا غاضبين لدرجة أنهم مارسوا ضده كل أنواع التعذيب الذي لا يوصف. لكنه تحمل كل أنواع العذاب في صمت، ومات بطلا كما عاش.

بعد عدة معارك عنيفة بين الجانبين، اكتسب الرومان أخيرا انتصارا كاملا، لدرجة أن القرطاجيين، رضخوا لشروط السلام. ووافقوا على ترك صقلية بالكامل، وإعادة جميع الأسرى لديهم، ودفع مبلغ كبير من المال للرومان. بهذا تنتهي الحرب البونيقية الأولى، بعد أن استمرت ثلاثة وعشرين عاما، عام 241 ق م.

الحرب البونيقية الثانية

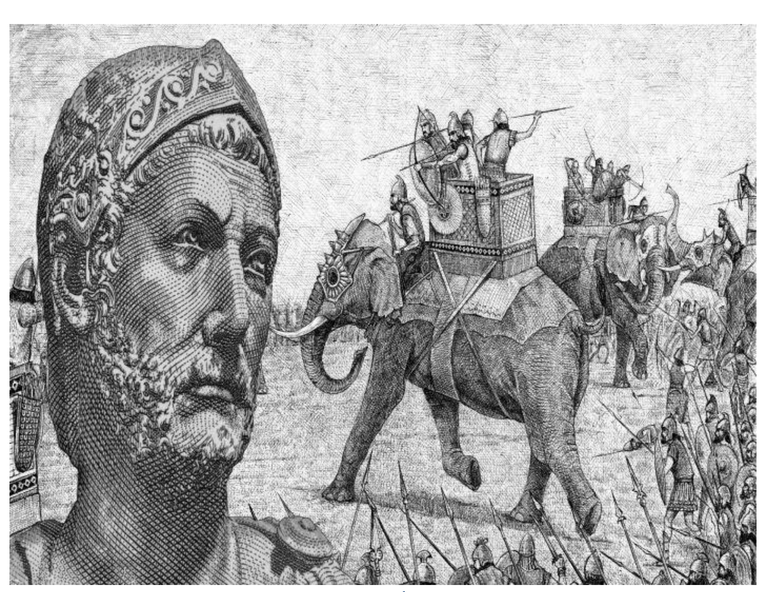
انقضت 22 سنة بين نهاية الحرب البونيقية الأولى وبداية الحرب البونيقية الثانية. خلال هذا السلام بين الرومان والقرطاجيين، لم يحدث شيء يستحق الذكر.

ظهر المسرح الكوميدي أول مرة في روما، عام 240 ق م. في عام 242 ق م، عبر الرومان البحر ودخلوا أراضي الغال، وحققوا نصرا عظيما عليهم. وقتل مارسيلوس ملك الغال، فيريدومارس، بيده عام 222 ق م.

كان الغال في ذلك الوقت، أمة غير متحضرة. برابرة ونصف عراة. كانوا يصنعون أكواب الشراب من جماجم أعدائهم الذين قتلوا في المعارك.

لكن الحضارة تفعل بالأمم المعجزات. بلاد الغال الوحشية، هي الآن فرنسا. ويا له من شعب مثقف ومهذب، ولا يقارن بأسلافهم. أما إسبانيا، فهي أراض تكثر فيها مناجم الذهب والفضة، وكانت تقع تحت سيطرة قرطاجة آنذاك.

هانيبال


هانيبال أو حنا بعل

الآن نتحدث عن هانيبال، ابن هاميلكار، الجنرال القرطاجي الشهير. مثل معظم الرجال العظماء الآخرين، كان قادرا على تحمل التعب والمشقة الكبيرة، والبرد والحرارة الشديدة، وما يسوقه القدر دون شكوى.

كان ثوبه بسيطا، لم ينغمس أبدا في شهواته. كان يأكل ويشرب وينام فقط بقدر ما يحتاجه جسده، وبقدر ما يعطيه من قوة وقدرة على إعمال عقله، ويساعده على التفكير والتركيز.

كان يعرف كيف يطيع، وكيف يقود. ومع ذلك يقال إنه كانت له عيوب كبيرة في حجم حسناته. لقد كان قاسيا، مهملا في حقه وشرفه، وغير ملتزم دينيا. هذه هي الشخصية التي رسمها له ليفي، المؤرخ الروماني، الذي لم يعط عدو روما هذا حقه. لكن دع أفعاله هي التي تفند مزاعم ليفي.

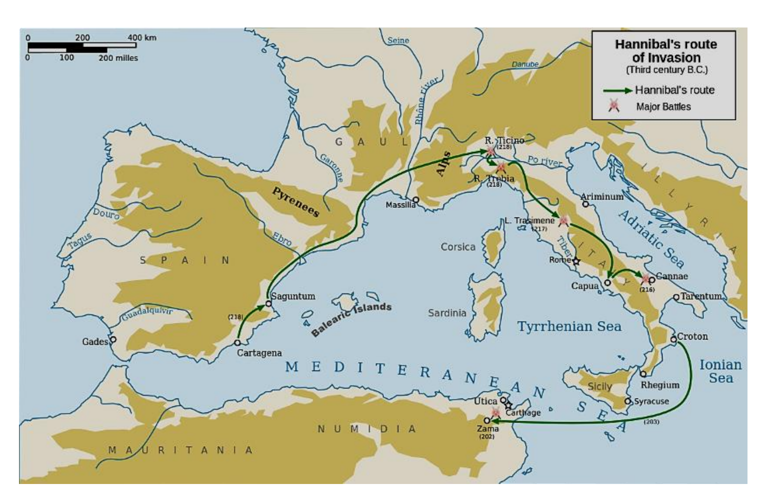
غزا هانيبال مدينة ساجونتوم في إسبانيا. وهي مدينة كانت حليفة للرومان، مما تسبب في الحرب البونيقية الثانية. لذلك، بدأت الدولتان، روما وقرطاجة، في التحضير للحرب ومهاجمة بعضهما البعض.



ساجونتوم إسبانيا

من المعروف، أن هاميلكار جعل ابنه هانيبال، البالغ من العمر تسع سنوات، يؤدي اليمين الرسمية في المعبد، بأنه سيعلن نفسه، في أقرب وقت ممكن، عدوا لروما. لذلك، كان متحمسا للاستعداد للحرب وتوفير الرجال والأسلحة.

عبر هانيبال، الجنرال القرطاجي، البحر من أفريقيا إلى أوروبا، ثم سار بجيشه إلى إسبانيا، ثم عبر التلال إلى بلاد الغال (فرنسا)، منها إلى إيطاليا عبر جبال الألب التي تعلوها الثلوج.



مسار جيش هانيبال

رحلة برية قطع خلالها مسافة ألف ميل سيرا على الأقدام. مر خلالها بأمم بربرية مختلفة، معظمها كان يقاوم مروره بأراضيها منها شعب الغال.

كان هانيبال في السادسة والعشرين من عمره، عندما بدأ هذا الزحف الكبير. ضد أقوى وأشرس الأمم المعروفة في ذلك الوقت. عارض خطته العديد من جنرالات الرومان ذوي المواهب المعتمدة. ومع هذا، كان هانيبال على وشك غزو روما نفسها.



معركة كاناي

في معركة كاناي الشهيرة، عام 216 ق م، في الحرب البونيقية الثانية، التي جرت جنوب شرق إيطاليا، استطاع هانيبال أن يحقق نصرا حاسما على الجيش الروماني بقيادة باولوس وترينتيوس. يعتبر التكتيك الذي

استخدمه هانيبال في المعركة واحدًا من أعظم التكتيكات العسكرية في التاريخ العسكري .

أحد القادة الرومان، أعطى أوامره ببدأ المعركة، ضد رغبة زميله باولوس. لكن باولوس قاتل بمهارة وشجاعة ومات مضرجا بدمائه، ومغطى بجراحه. وقبيل وفاته، عثر عليه جالسا على حجر، ينزف. الجندي الذي وجده، حاول مساعدته ووضعه على حصانه، وقال إنه سيبقى معه لحمايته.

"لا"، قال باولوس، "أشكرك. لن أدعك تغرق معي. اذهب بسرعة إلى روما، وأخبر مجلس الشيوخ بهذه الكارثة، واطلب منهم زيادة تحصين المدينة، فالعدو يقترب. أما أنا، فسأموت مع جنودي. ولن أعاني من سخط روما بعد موتي، أو أضطر إلى الشهادة ضد زميلي لتبرئة نفسي." ثم لفظ أنفاسه الأخيرة.

قيل مرارا وتكرارا، أنه لو كان هانيبال قد سار إلى روما مباشرة، بعد معركة كاناي، لكان بالتأكيد قد استولى على تلك المدينة. ولكن، في هذا الوقت، كان من الصعب الحكم على ما يمكن، وما لا يمكن، القيام به وخصوصا في المعارك الحربية.

كان خصم هانيبال، الذي يستحق إعجابا أكثر، هو سيبيو، ولقبه أفريكانوس، من ارتباطاته الناجحة في أفريقيا. عندما كان صغيرا، أنقذ حياة والده في معركة. وبعد هزيمة الرومان البشعة في كاناي، جمع حوله بضعة شبان متحمسين، تعهدوا بالدفاع عن بلادهم إلى آخر

سيبيو، الملقب أفريكانوس

قطرة من دمائهم. ثم شهر سيفه وهتف قائلا: "أيا كان ضد روما، هذا السيف هو خصمه!"

كان سيبيو هو من نصح الرومان بأن يجبروا القرطاجيين على الانسحاب من إيطاليا من خلال نقل الحرب إلى أفريقيا. الهجوم هو خير وسيلة للدفاع. هو نفسه ترأس القوات المرسلة ضد قرطاجة. وكما توقع، تم استدعاء هانيبال على عجل، لحماية مدينته الأصلية.

هكذا، بعد معاناة ستة عشر عاما من الرهبة والخوف من الغزو الأجنبي، بدأ الرومان يشعرون براحة.

سعى هانيبال عبثا للحصول على سلام مشرف. لكن لم يستجب القائد الروماني الشاب. وبدأ الجيشان يستعدان للمعركة.



معركة زاما

وجرت مواجهة حاسمة في زاما، وهي بلدة ليست بعيدة عن قرطاجة، وهزمت قوات تلك المدينة الغنية هزيمة كاملة عام 202 ق م. كانت شروط السلام التي منحها الرومان في العام التالي صعبة للغاية، وكانت كراهيتهم لهانيبال مريرة وشديدة.

لم يفقد هانيبال حياته في زاما، لكنه عاش ليندم على أنه لم ينتصر أو حتى يهزم بشرف هناك. وعاش في نهاية الأمر مطاردا من الرومان من مكان إلى آخر، إلى أن انتحر بالسم.



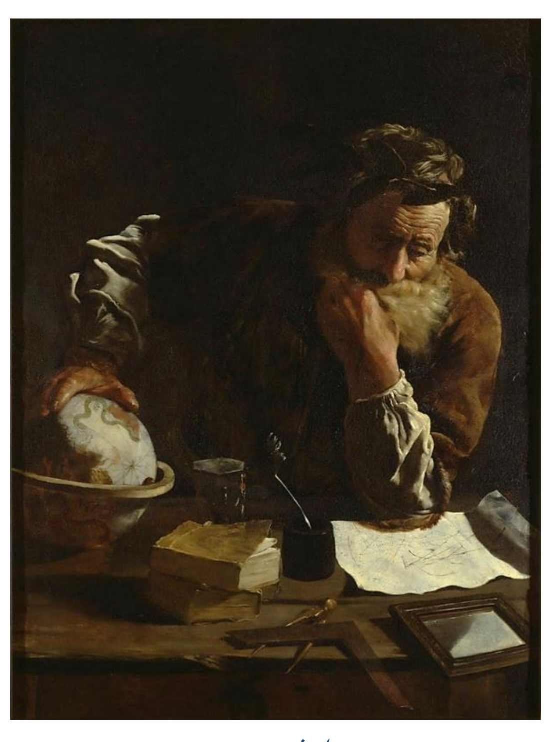
بيثنيا

آخر كلماته: "دعونا نخفف من مخاوف الرومان". توفي في السبعين من عمره، في بلاط بروسياس، ملك بيثنيا، عام 183 ق م.

يقال إن سيبيو أفريكانوس قد أنهى الحرب البونيقية الثانية بانتصاره في زاما. أما معاهدة السلام فلم تبرم حتى العام التالي، 201 ق م.

(15)

ارشميدس



ارشميدس

بعد سنوات قليلة من معركة كاناي، فرض مارسيلوس حصارا على سيراكيوز. وبالرغم من الآلات الجهنمية التي اخترعها ارشميدس للدفاع عن المدينة، إلا أن مارسيلوس دخلها منتصرا.

يستخدم الجنود الآن البنادق والمدافع المشحونة بالبارود والقنابل. لكن البارود هو اختراع حديث تماما، ولم يكن معروفا من قبل. كان الجنود يحاربون بالسيوف والرماح والسهام والهراوات.

عند مهاجمة المدن، كان يتم بناء آلات كبيرة لضرب المنازل والجدران، وقذف الحجارة الكبيرة على العدو. أرشميدس، من سيراكيوز، كان ذكيا

بشكل ملحوظ. قام باختراع مثل هذه الآلات الضاربة، وغيرها من الأسلحة الهجومية والدفاعية.


هييرو الثاني ملك سيراكيوز

كان على صلة قرابة ب هييرو الثاني. وهو ملك سيراكيوز العاقل. أرشميدس هو الذي قال: "إذا كانت لديه نقطة ارتكاز ثابتة، يمكنه تحريك العالم". عن طريق استخدام الروافع.

هييرو الثاني. كان على علاقة طيبة مع الرومان. ولكن، بعد وفاته، جاء حفيده، هيرونيموس. وكان شابا أخرق، مكروه من شعبه. مما تسبب في قتله في مؤامرة. تبع ذلك، عدة متاعب، أغرت الرومان بالسيطرة على سيراكيوز عام 212 ق م.

كان مارسيلوس على علم بقدرات أرشميدس. وعندما أخذ مدينة سيراكيوز، طلب إحضار أرشميدس في أمان. أثناء أخذ المدينة، كان هذا الفيلسوف منغمسا في حل بعض المسائل، لدرجة أنه لم يكن على علم بما حدث.

هرع جندي إليه لكي يأتي به، فطلب منه أرشميدس أن ينتظر لحظة، حتى يكمل حل المسألة، التي كان قد خطها على الرمال. لم يفهم الجندي ما قاله أرشميدس، واعتقد أنه يرفض الامتثال، فعالجه بسيفه وقتله على الفور. لقد نكب مارسيلوس، وشعر بكآبة، عند سماعه بهذا الحادث.


مارسيلوس

بعد عامين من أخذ سيراكيوز من قبل مارسيلوس، تم اختيار فيلوبمين، وهو رجل مثير للإعجاب، قائدا للأخينيين. وهم رابطة مكونة من اثني عشر مدينة صغيرة يونانية للدفاع المشترك، تحت اسم رابطة أخينيا. لكنهم فقدوا حريتهم بعد ذلك، وحكمهم الطغاة.

عندما كان بيرهوس يقاتل وينتقل من مكان لآخر، استعادت هذه المدن الصغيرة حريتها، وتوحدت مرة أخرى تحت لقبها القديم. لقيادة قوات هذه المدن، تم اختيار فيلوبمين.

لقد لطخ فيلوبمين سمعته بسلوكه تجاه الاسبارطيين. فقد قتل عددا منهم بقسوة، عندما استولى على المدينة وهدم أسوارها وجدرانها، وأخضع الناس للأخينيين.



ميسينا في صقلية

لكن شاءت الأقدار أن يعاني فيلوبمين هو أيضا، ويدفع ثمن ظلمه. لأنه، في السبعين من عمره، تم أسره، عندما كان يحاصر ميسينا في صقلية. كان الميسينيون مسرورين للغاية لأسر هذا الرجل الذي أذاقهم الأمرين.

لدرجة أنهم سحبوه مكبلا بالسلاسل إلى المسرح العام، لكي تشاهده الحشود وتشفي غليلها. أثناء الليل، وضع في زنزانة، ثم قدم له السجان جرعة من السم. استلم الكأس بهدوء، وبعد أن سمع أن معظم أصدقائه قد هربوا وولوا الأدبار، قال: "ليس كلنا سيئ الحظ تماما" وبعد أن شرب الجرعة القاتلة دون تردد، رقد لكي يموت، عام 183 ق م.


بيرسيوس ملك مقدونيا

شخصية أخرى تستحق الذكر، كانت تعيش في هذا الوقت، هو بيرسيوس، ملك مقدونيا. ابن فيليب، والد الاسكندر الأكبر، وهو محارب عظيم وطموح مثل والده.

لم يجعل بيرسيوس والده فخورا به، لأنه كان غيورا من أخيه ديمتريوس، الذي كان محبوبا جدا من قبل الناس، بالرغم من كونه يصغره بخمس سنوات. مما جعل بيرسيوس يكرهه ويحقد عليه.

بسبب ذلك، أقنع بيرسيوس والده فيليب أن ديمتريوس يميل إلى الرومان، الذين عاش معهم سنوات عديدة كرهينة. هكذا ألهب بدهاء شعور الملك بالكامل ضد أخيه، لدرجة أنه أمر بخنق ديمتريوس.

بعد فوات الأوان، اكتشف فيليب زيف ادعاء بيرسيوس، ومات مكسور القلب لقسوته على ابنه ديمتريوس، الشاب الفاضل.

ثم أصبح بيرسيوس ملكا، وحاول اقناع الأخينيين بالانضمام إليه سرا ضد الرومان. وبعد فترة وجيزة، أعلن عن نواياه العدائية. كان في بعض الأحيان هو الفاتح الغازي، وأحيان أخرى هو المهزوم.

ثم هزم من قبل باولوس أميليوس الروماني في بيدنا، ووقع أسيرا هو وجميع أفراد أسرته. ثم تم نقلهم جميعا إلى روما، لكي يمشوا في طابور الأسرى. فقام بيرسيوس بالإضراب عن الطعام حتى الموت. وأصبحت مقدونيا منذ ذلك الحين مقاطعة رومانية.

أرشميدس توفى عام 212 ق م، فيلوبمين توفى عام 183 ق م،

بيرسيوس توفى عام 167 ق م.

الحرب البونيقية الثالثة

بعد ما يقرب من نصف قرن من السلام، تورطت روما وقرطاجة في الحرب البونيقية الثالثة والأخيرة. استمرت أربع سنوات فقط، وانتهت بتدمير قرطاجة بالكامل.

أصبحت روما دولة قوية جدا. اكتسبت مناطق واسعة، وازدادت جشعا للسيطرة على أراض جديدة. وكلما غزت وقهرت، زادت رغبتها في الغزو والقهر.

لقد حدث أن ماسينيسا، ملك نوميديا، كان يرغب في امتلاك إقليما يعتبره القرطاجيون إقليما خاصا بهم، لذلك تصدروا للقوات الغازية. هنا وجد الرومان، ذريعة لمهاجمة القرطاجيين.

نوميدا باللون الأخضر، قرطاجة باللون الأحمر

لقد كانت روما غيورة جدا من تنامي ثروة وقوة قرطاجة. لذلك، اعتبرت هذه الأحداث خرقا لمعاهدة السلام بينهما. لأن ماسينيسا، كما قالوا، كان من حلفاء روما. وبدأوا في التحضير للحرب.

لقد عانى القرطاجيون بشدة من الحروب السابقة، وكانوا مرعوبين من فكرة التورط مرة أخرى في حرب مع الرومان الفخورين بأنفسهم والناجحين في غزواتهم.

لذلك عرضوا على روما تسوية الأمور بينهما وديا. لكن لم يقدم مجلس الشيوخ الروماني إجابة حاسمة. أعضاء مثل كاتو وناسيكا، نسيب أفريكانوس، كانا يناقشان أمجاد روما، بدلا من مناقشة عدالة القضية وقضية السلام.

صوت كاتو للحرب، ثم أعلنت الحرب بعد ذلك بوقت قصير. حاولت قرطاجة للمرة الثانية تجنب الحرب، لكن العروض التي قدمتها روما كانت مخجلة حتى للرومان أنفسهم.

لقد طلب من القرطاجيين الامتثال الكامل والطاعة العمياء. وأن يرسلوا إلى روما 300 رهينة، ضمانا لحسن سلوكهم في المستقبل. أعطى القرطاجيون الوعد بالامتثال، وأرسلوا 300 من شبابهم كرهائن.

ثم أمروا بعد ذلك بتسليم كل أسلحتهم. وهو الأمر الذي فعله القرطاجيون أملا في السلام. وأصبحوا الآن بدون سلاح، ولهم 300 رهينة عند الرومان. لم يكتف الرومان بذلك، بل طلبوا من القرطاجيين ترك مدينتهم الحبيبة وإخلائها، لكي يتم تدميرها ومساواتها بالأرض.

لكن القرطاجيين شعروا بالمهانة والإذلال عند سماعهم هذا الطلب الوقح الأخير. لقد وجدوا أنهم قد أخطأوا في فهمهم للشخصية الرومانية. فهي شخصية، قد تملكها الغرور والغطرسة، وشوهها النجاح والانتصارات الحربية، ولم تعد تؤمن بالعدل والقيم الإنسانية.

قرر القرطاجيون بالإجماع، ما داموا لا يستطيعون إنقاذ مدينتهم، أنهم سيموتون معها. لكن، بعد أن سلموا أسلحتهم، وثلاثمائة من شبابهم، لم يكن في استطاعتهم تحقيق رغباتهم. ولن يمكنهم هزيمة قوة مسلحة رومانية وهم بدون أسلحة.

ويا ليت قوة أبدانهم، كانت كافية لإنقاذ مدينتهم، والإطاحة بالغزاة. لكن ما فعله الرومان في مدينة قرطاجة، هو نقطة سوداء في تاريخهم، ويعتبر وصمة عار في جبين كل روماني.

القرطاجيون بذلوا كل ما في وسعهم لمقابلة العدو بشجاعة. نساؤهم قطعن ضفائر شعورهن الطويلة الجميلة لكي تستخدم كأوتار للأقواس. أخرجوا ما لديهم من ذهب وفضة، ليتم تحويلها إلى أسلحة. لأن هذه كانت المعادن الوحيدة التي تبقت معهم. الحديد في مثل هذه المواقف، يكون أكثر قيمة من الذهب.

ذهل الرومان من شدة المقاومة التي واجهوها. في كثير من الأحيان، كان يتم صدهم عند أسوار المدينة. مما تسبب في قتل العديد من الجنود الرومان في الهجمات المختلفة.

في الواقع، يعتقد أن قرطاجة لم تكن لتسقط في يد الرومان، لو لم يذهب أحد القواد الخونة إلى العدو، ليلتحق به ضد مواطنيه. بعد خيانة هذا البائس لشعبه، انخفضت بسرعة الروح المعنوية للقرطاجيين، وفترت عزيمتهم للقتال.

سقوط قرطاجة

قطع سيبيو أوميليانوس خطوط إمدادهم بالطعام، وأغلق الطريق إلى البحر. لكن المواطنون المثابرون حفروا ممرا جديدا إلى البحر. ثم هاجم القائد الروماني الجنود المتمركزين عند الأسوار، مما تسبب في قتل 70 ألف رجل، وأسر 10 آلاف. ثم اخترق الأسوار ودخل المدينة. وقام بحرق المنازل والمعابد والمباني العامة، بغضب وعشوائية.

أسدروبال، الجنرال القرطاجي، سلم نفسه والقلعة إلى الغزاة. لكن زوجته وأطفاله، مع أعداد من المواطنين، أضرموا النار في المعابد، وهرعوا إليها لكي يلقوا حتفهم فيها وهي مشتعلة.

هكذا دمرت المدينة، التي كانت في يوم من الأيام من أجمل مدن البحر المتوسط. إلى الدرجة التي يتعذر معها تحديد مكانها الآن. كان محيطها 24 ميلا، ظلت مشتعلة بالحرائق مدة 17 يوما. كل المدن التي كانت

تصادق قرطاجة، لقت نفس المصير. وقام الرومان بتوزيع هذه الأراضي على أصدقائهم.

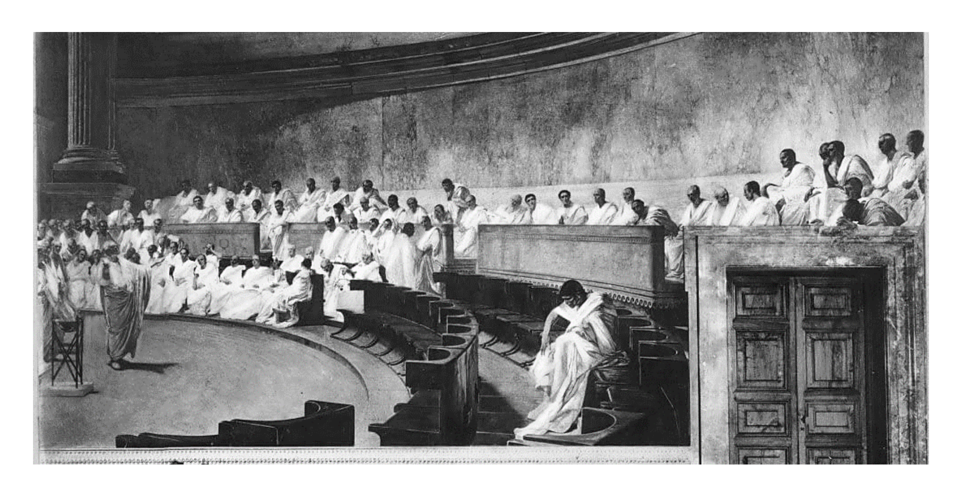
هكذا سقطت قرطاجة، ومع سقوطها انتهت الحرب البونيقية الثالثة، عام 146 ق م. كورينث، واحدة من أجمل المدن اليونانية، دمرت في العام نفسه، من قبل موميوس، القنصل الروماني.

إن مصير قرطاجة هو تحذير لجميع البلدان التي تتطلع للحرية، وخصوصا شعوبنا المنكوبة، بأن لا تقدم تنازلات لا مبرر لها. لو بدأ القرطاجيون بالقتال منذ البداية، لتمكنوا من إنقاذ مدينتهم على الأرجح.

(16)

الجراشوس

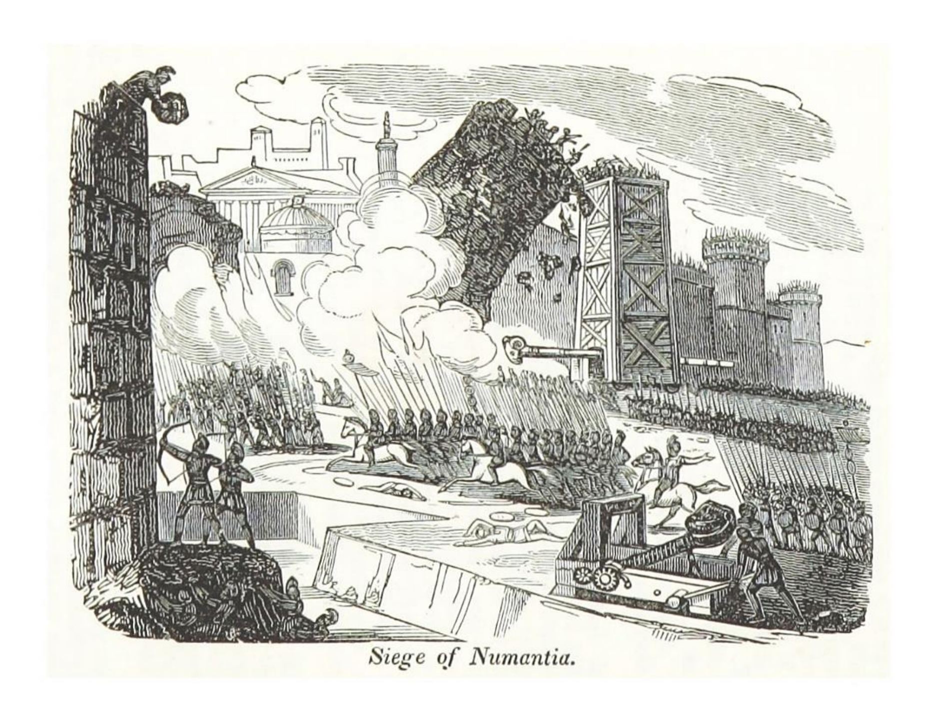
أضحى الرومان أقوياء جدا. لقد دمروا قرطاجة في أفريقيا، وكورينث وآخيا في اليونان. مقدونيا كانت تحت حكمهم أيضا. اليونان بكاملها، تحت اسم أخيا، تم تحويلها إلى مقاطعة رومانية.



مجلس الشيوخ الروماني

لقد أخذ مارسيلوس سيراكيوز في صقلية، كما رأينا من قبل. وقدمت أنطاكية في تركيا تنازلات كبيرة لروما. وكان لمجلس الشيوخ الروماني تأثير واسع في مصر. كما أن الرومان قد كسبوا العديد من المعارك في إسبانيا والغال. لذلك، شعروا بقوتهم المتزايدة. في الواقع، تاريخ روما في هذه الفترة هو تاريخ العالم.

تغلب شعب نومانتين، وهو شعب إسباني، على الرومان في معركة، بعد وقت قصير من تدمير قرطاجة. بعد ثلاث أو أربع سنوات من هذه الهزيمة، استولى الرومان على نومنتيا، وهي أفضل وأكبر مدينة في إسبانيا.



حصار نومانتيا



نومانتيا في إسبانيا، اللون الأحمر

لكي يتجنب السكان الوقوع في أيدي الغزاة، أضرموا النار في مدينتهم، وكانوا يلقون بأنفسهم ليهلكوا في لهيبها. وهكذا أصبحت إسبانيا مقاطعة رومانية.

لكن، بينما كانت روما ناجحة في الحرب، كانت سمعتها الداخلية في تدهور. بسبب الفروق الاجتماعية بين الأغنياء أو النبلاء، وباقي عامة الشعب (بليبيان). إلا أن هذه الخلافات قد تم إثارتها بسبب جايوس جراشوس وأخيه تيبيريوس.

كورنيليا، ابنة سيبيو أفريكانوس، الذي انتصر على هانيبال، تُركت أرملة لديها ولدان. حدث أن جاءت سيدة ذات مرة لزيارتها، وكانت تتفاخر بجواهرها الثمينة.

بعد أن أرت مجوهراتها لكورنيليا، طلبت رؤية مجوهراتها هي الأخرى. انتظرت كورنيليا حتى جاء أبناؤها من المدرسة، وبعد ذلك، قدمتهم إلى ضيفتها، وقالت: "ها هي، سيدتي، جواهري!"



كورنيليا تقدم أطفالها للضيفة كأثمن مجوهراتها

أراد ابنها الأكبر، تيبيريوس، مساعدة الفقراء والمساكين. كسب بذلك عداء جميع الأغنياء. في اجتماع عام، صادف أن وضع يده على رأسه، فاتهمه الذين تمنوا سقوطه، أنه يريد إثارة الشعب. ثم قتلوه عام 133 ق م.


جايوس جراشوس

بعد وفاة تيبيريوس، وضع المواطنون شقيقه الأصغر جايوس فوق رؤوسهم. كان جايوس جراشوس يبلغ من العمر 21 عاما فقط في هذا الوقت، وعاش حياة طبيعية حتى التقاعد.

ومع ذلك، قام بالعديد من الأعمال الجيدة، وتسبب في سن العديد من القوانين الممتازة. كان معتدلا وبسيطا في طعامه ولباسه، لكن نشيطا وكادحا. حبه واحترامه لوالدته كان رائعا.

بناء على طلبها، سحب قانونا كان يرغب كثيرا في تمريره. نصب تمثالا لذكرى والدته، عليه هذا النقش: "كورنيليا، أم الجراشوس؛" تحية كبيرة للوالدين وأولادهما.

فقد جايوس حياته في نزاع بين الشعب وأعضاء مجلس الشيوخ. فهو لم يعادي أي شخص، ولكن كونه صديقا حميما للشعب الكادح، جعله عرضة للتصفية.

كان قد وصل إلى بستان صغير، عندما رأى أعداءه يقتربون منه. كان يرافقه خادمه المخلص. حاول انقاذ سيده والدفاع عنه، ولكن دون فائدة. وعندما فشل في ذلك، قتل الخادم نفسه. حدث ذلك عام 121 ق م.

تحملت كورنيليا هذه المحن بصبر عظيم. أحبت أن تتحدث عن والدها وأبنائها. وقد أدى سلوكها الفاضل إلى مقولة بلوتارخ المثيرة للإعجاب: "عندما تتعرض الفضيلة للبلاء والقهر، تظل فضيلة ولا تفقد قيمتها أبدا". أو كما نقول نحن بالبلدي: "إن دبل الورد، ريحته فيه".

بيرجاموس، مدينة كبيرة في آسيا الصغرى، جلبت الآن تحت نير الرومان. هناك، أصبحت الناس مولعة بالثروة والسلطة. لدرجة أن جوجورثا، ملك نوميديا في شمال أفريقيا، بعد أن رشاهم إلى حد كبير، نظر إلى روما، وهتف: "أوه، روما! متى تبيعين نفسك؟ وهل هناك من يستطيع شرائك؟".

هذا يعني أنه، متى كانت الناس مولعة بالثروة والسلطة، فيمكن رشوة أي شخص، وشراء أي شيء حتى لو كان روما نفسها.

كان جوجورثا، حفيد ماسينيسا، هو الملك النوميدي الذي قاتل ضد قرطاجة في زمن هانيبال. وقد عومل معاملة قاسية من قبل الرومان، الذين عرضوا عليه، بعد بعض الخلافات، شروطا مجحفة.

أو بالأحرى أرسلوا له أوامر، بنفس الشدة التي أصدروها للقرطاجيين الذين تعرضوا لسوء المعاملة من قبل. بأن يتخلى عن أفيلته وأسلحته. وأن يدفع دية كبيرة، ويطلق سجناءه.

لكن، عندما طلب منه أن يسلم نفسه أسيرا، ويذهب إلى روما للمحاكمة كمجرم، قاوم. كما يجب أن يفعله أي شخص في مكانه. بعد ذلك، غزاه ماريوس، وحمله إلى روما، وأجبر على السير في طابور الأسرى، ثم وضع في السجن. وبأمر من مجلس الشيوخ، منع عنه الطعام حتى مات جوعا عام 105 ق م. ما رأيك إذن في الرومان، الذين كانوا يعشقون الإهانة والقسوة؟

ماريوس

كايوس ماريوس، الذي هزم جوجورثا في نوميديا، جدير ببعض الانتباه. ولد لوالدين فقيرين. وقح الأخلاق، طويل القامة، قوي. الطاعة العمياء، هي الواجب الأول للجندي، قال انه يمارسها إلى درجة الكمال، لجذب الانتباه وللحصول على الثناء.



كايوس ماريوس

تدرج من رتبته المتواضعة إلى أن صار قائدا عاما لجيوش روما. كان في وقت ما حاميها، وفي وقت آخر آفتها. نفس الحظ الذي واتاه، هو نفس الحظ الذي يصادف من يكرسون أنفسهم كلية لمآثر العسكرية.



موقع مينتورنو في إيطاليا

بعد أن نحى أعداء روما جانبا، وبعد أن وضع المدينة في حرب أهلية، اضطر إلى الفرار، حيث أصبح طريدا هائما، وانتهى به الأمر إلى النفي وسط أحراش مينتورنو في إيطاليا.

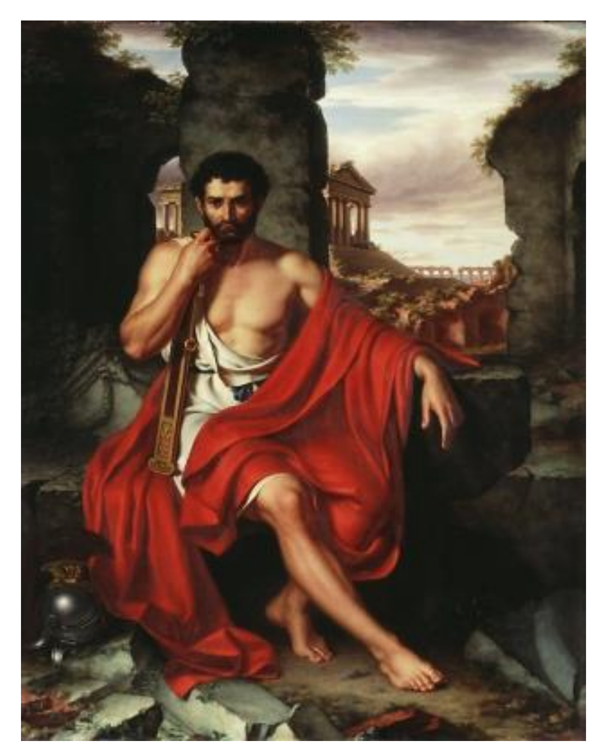
كان يعرف عواقب الطموح المفرط. وخوفا من أن يكتشف مكانه، كان يقضي ليلته، غاطسا في مستنقع حتى ذقنه في الأرض الرطبة. وبالرغم من ذلك، تم اكتشاف مكانه، في الصباح، بينما كان يتابع رحلته الانفرادية. عاري وملطخ بالقذارة، وضعت حلقة وحبل في رقبته، واقتيد إلى أقرب سجن.



القبض على كايوس ماريوس

تم إرسال عبد لكي يأتي به. لكن نظراته الشرسة ومظهره الوحشي أرعبا البائس المسكين، لدرجة أنه لم يجرؤ على الاقتراب منه. حاكم البلدة، فسر خوف العبد من كايوس ماريوس على أنه نذير بأنه لا ينبغي أن يموت. وبالفعل، أطلق سراحه وأعاده إلى الحرية.

ثم هرب ماريوس من إيطاليا، وهبط على أفريقيا، حيث جلس وسط أنقاض قرطاجة. لكن، أمره ببروتون بترك المكان، وهو الرجل الذي كان قد خدم تحت قيادته سابقا. فهتف ضد جحود البشرية.



كايوس ماريوس يجلس وسط أنقاض قرطاجة

دافع سينا باقتدار عن ماريوس داخل مجلس الشيوخ. وهكذا وجد ماريوس نفسه مرة أخرى جنرالا لجيش قوي. روما الآن كانت ممزقة بسبب الشقاق المدني. وكان سيلا، صديق الحزب الارستقراطي، في آسيا الصغرى بعيدا.

هكذا، دخل سينا وماريوس المدينة منتصرين: وكلاهما أعيد إلى مراكزهما السابقة. سينا كقنصل وماريوس كقائد عسكري. لكن، هرع هذا الوحش الشرس الأخير، الذي كان يرأس مجموعة من الجنود، عبر شوارع روما، وذبح كل من كان يخشاه أو يكرهه، دون شفقة أو ندم.

ثم نصب نفسه قنصلا، واستمر قنصلا سبع مرات. لكن توفي بعد شهرين تشبعتا بالدم والانتقام، عن عمر سبعين عاما، خلال فترة القنصلية السابعة له. ويعتقد أن وفاته نجمت عن طموحه وعواطفه العنيفة الأخرى، التي سارعت به إلى القبر، عام 86 ق م.

قد يبدو أنه وقع ضحية لتلك الرغبات غير المحكومة، التي تبغي المجد والشهرة بأي ثمن.

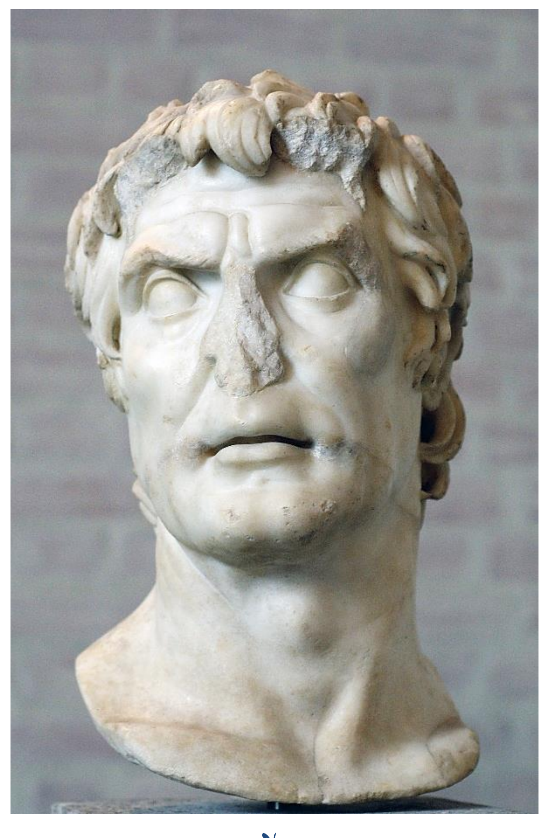
أفلاطون، كما يقول بلوتارخ، عندما حضره الموت، هنأ نفسه لأنه رجل وليس امرأة. وأنه ولد يونانيا وليس بربريا (غير يوناني). وأنه عاصر الكاتب المسرحي سوفوكليس. لكن ما الذي يمكن أن يتباهى به ماريوس؟

على الرغم من أنه ولد رجلا، إلا أنه تصرف بضراوة غاشمة. وبالرغم من أنه قد أصبح مشهورا، إلا أنه مشهور بالجريمة. السلطة لا يجب أن تطلب، إلا كوسيلة للصالح العام. ومن الأفضل ألا نذكر على الإطلاق ويطوينا النسيان، على أن نذكر لمساوئنا.

لقي سينا حتفه عندما كان يركض بين جنوده، عندما كان ماريوس يحاول إخماد تمرد الجنود. كان سينا من عائلة نبيلة. لكنه، على أمل الحصول على السلطة والشهرة، بدأ حياته المهنية من خلال معارضة سيلا. وتوفي عام 84 ق م.

اندلعت الحرب الأهلية في روما بين سيلا وماريوس، عندما أعلن سيلا نفسه سيدا للمدينة عام 88 ق م.

سيلا


سيلا

لوسيوس كورنيليوس سيلا، هو خصم لماريوس، وهو الأرستقراطي بالولادة، كان يعمل في البداية قسطورا لماريوس، وهي رتبة وظيفية، ثم ذهب معه إلى أفريقيا.

كان يُعتبر جنديا جيدا. لكنه استخدم الرشوة لكي يتم انتخابه برايتور، وهي وظيفة قاض أقل درجة من درجة القنصل الروماني. قال مرة بغضب لضابط استفزه، "سأستخدم سلطتي ضدك."، ضحك الضابط وأجاب: "هي حقا سلطتك، لأنك قد اشتريتها".

كان سيلا قد هزم ميتريديتيس، ملك بونتوس، في آسيا الصغرى جنوب البحر الأسود، وكان عائدا لإنقاذ روما من طغيان ماريوس، عندما مات ذلك المحارب الشرس.

تشاجر هذان الرومانيان أولا، قبل اندلاع الحرب الرهيبة التي شنتها روما ضد بعض الدول الكونفدرالية. كلاهما حارب في هذه الحرب ضد العدو المشترك، ولكن عندما عاد السلام بسبب مجهودات سيلا، ازدادت كراهية وحسد ماريوس.

أثناء شغب في مدينة روما، عندما كان بومبي صغيرا، كاد سيلا أن يفقد حياته. استفزه اختيار ماريوس لكي يقوم بشن الحرب الميتريداتية في آسيا الصغرى، لدرجة أنه أسرع إلى الجيش، وحرضه على السير ضد روما.

أرسل المواطنون من يسترضي سيلا. وعده المرسال بمنحه كل ما يريد. ولكن، عندما غادر حامل الرسالة، دفع سيلا بقواته إلى الأمام، ودخل روما غازيا، وساعد بيديه على إشعال النار فيها.

كان يحكمه الانتقام والغضب، لم يعد يشعر بأية قيمة إنسانية تربطه بالجنس البشري، أو يتصرف كإنسان سوي. ثم أصدر حكما بإعدام ماريوس وآخرين، ولم ينقذ ماريوس من الموت سوى الهرب والفكاك.

أثينا كانت محاصرة، ثم أخذت من قبل سيلا. سفك جنوده الكثير من الدماء البشرية، يقال إنها غطت السوق وتدفقت الدماء إلى الشوارع في مجرى كالنهر. بعد العديد من الفتوحات الأخرى، عاد إلى روما، لكي يسلك سلوكا مرعبا هناك.

جمع ستة آلاف شخص، كانوا معارضين لمصالحه الخاصة. وضعهم في فناء السيرك، وقام بذبحهم جميعا بدم بارد من قبل جنوده. صرخات هذه المخلوقات البائسة، سمعها أعضاء مجلس الشيوخ. فأبلغهم سيلا، أنها صرخات بعض المجرمين، يستحقون العقاب.

بعد هذه البداية الدموية، لم يمض يوم دون إسالة الدماء. لذلك، سمي بدون تردد سيلا الرهيب. لم يقتل الآباء النبلاء فحسب، بل كان يصادر ممتلكاتهم، ويسئ لسمعة أبنائهم.

الأزواج كانوا يذبحون وهم في أحضان زوجاتهم. والأبناء وهم في أحضان أمهاتهم! كل هذا من أجل ماذا؟ لكي يحكم سيلا بسلطة مطلقة، وفي أمان من المعارضين.

في مدينة برينسيت، الإيطالية، تم تجميع اثني عشر ألف شخص، وقام بتقطيعهم إلى أشلاء. ولا يمكن الاستمرار في وصف مثل هذه المجازر. لكن، كيف سقطت روما من علياها وفضائلها، ووصل بها الحال إلى هذا الحضيض؟

الرذائل المفرطة، يأتي معها عقابها الخاص. كان سيلا منتفخا جدا بفخر. بدأ يكرس جل وقته لمتعة الأكل والشرب والملذات الحسية، بكل حماقة وكل استهتار. لدرجة أن جسده بدأ يعاني.

اندلعت الدمامل الكبيرة في كل أجزاء جسمه. وكانت تنفجر لكي تخرج منها حشرات صغيرة زاحفة. مما أجبره على التقاعد من الحياة العامة. بالرغم من أنه تم اختياره بعد أن استخدم نفوذه، ديكتاتورا دائما، إلا أنه تخلى عن منصبه، ولم يعد قادرا على التمتع به. ثم تقاعد من كل مناصبه، لكي يعيش في الريف.

هناك زادت معاناته جدا، لدرجة أن الحياة أصبحت عبئا ثقيلا بالنسبة له. في أحد الأيام، تحدث بصوت عال وعنيف، وأمر بخنق القسطور إيرانيوس، ثم فتح خراجا في جسمه. وبعد أن قضى ساعات عديدة، يعاني من آلام مبرحة، قضى نحبه عام 78 ق م.

تم تقاعد سيلا الرهيب، عندما تم تعيينه ديكتاتورا دائما، عام 82 ق م. بعد عشر سنوات من هذا التقاعد، غزا لكولوس ميتريداتيس. وعند وفاة ذلك الملك، عام 63 ق م، أصبحت بونتوس مقاطعة رومانية. خلال هذه الفترة من الجمهورية الرومانية، كان يتم كل عام، غزو وإضافة دول وأراض جديدة.

(17)

يوليوس قيصر

عندما مات سيلا، كان هناك روماني آخر يصعد إلى أعلى المناصب. هذا هو يوليوس قيصر، الذي بدأ يظهر كقائد عسكري خلال ديكتاتورية سيلا.



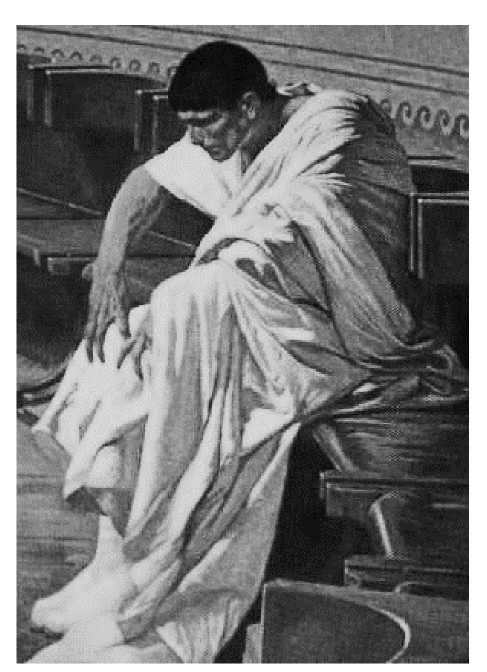
يوليوس قيصر

روما كانت الآن في فوضى بسبب مشاجرات كبار رجالها، وكان بومبي وكراسوس، القنصلان، هما رؤساء الطرفين المتصارعين. لكن يوليوس قيصر، تجنب بذكاء ربط نفسه بأي منهما. وعن طريق محاولة التوفيق بينهما، اكتسب صداقة كل منهما. كانت روما تحكم بقناصلها.

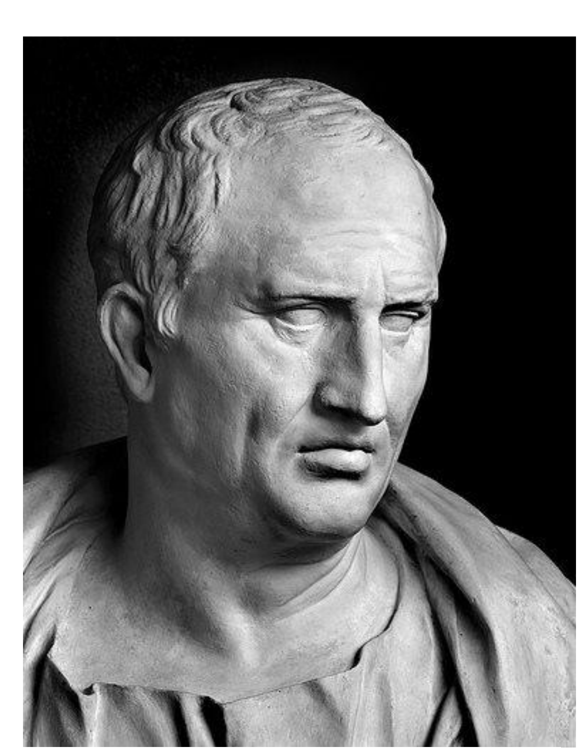


بومبي

بينما كان بومبي يقوم بغزوات في الخارج، كانت روما قد سقطت تقريبا في يد متآمر جريء. سيرجيوس كاتيلين، من طبقة الأرستقراطيين، أراد أن يرفع نفسه على حساب خراب بلده. وإذا أمكن، على حساب حرية روما وفقدها لنظامها الجمهوري. لقد كان شخصية تافهة، تطمح أن تكون قنصلا.


كاتيلين

عندما خاب أمله، ولم تتحقق هذه الرغبة الملحة، وأُعطي شرف القنصلية للخطيب المفوه العظيم، شيشرون، لجأ كاتيلين لبعض الوسائل الأخرى الغير قانونية، طلبا للسلطة والسيطرة.


شيشرون

قرر كاتيلين، والحسد والكراهية يوغلان صدره، بتصفية خصمه جسديا، كأول خطوة في سبيل تقدمه السياسي. لذلك قام بتأجير فارسين لقتل شيشرون. وحرض كاسيوس بإشعال النار في المدينة، وسيثجوس بإقامة مذبحة للناس. ثم يأتي هو بعد ذلك على رأس القوات الأجنبية، لكي ينصب نفسه سيدا لروما. ومن لا يأتي بالذوق، يأتي بالعافية. هكذا كانت الخطة.

كان ماركوس توليوس شيشرون خطيبا مفوها، اشتهر ببلاغته بين الرومان بقدر ما كان ديموسثينيس من بين اليونانيين. في المرة الأولى التي تحدث فيها للعامة، كان في عامه السابع والعشرين، عندما دافع بنجاح عن الممثل الهزلي الشهير، روسيوس، ضد مرسوم سيلا القاسي.

اكتشف شيشرون النشيط واليقظ دوما، مؤامرة كاتيلين. امرأة ذكية تدعى فولفيا، أخبرته بالمؤامرة. علمت بها من صديقها، أحد المتآمين. سرعان ما اكتشفت كل أبعاد المؤامرة، وفر كاتيلين. المتآمرون الآخرون، تم القبض عليهم.

دار نقاش كبير بشأن هؤلاء المتآمرين. أوصى قيصر، باتخاذ تدابير رحيمة. ونصح الذين ينادون بالموت للمتآمرين، بأن يكونوا أكثر رحمة، لأن الموت يضع نهاية لكل شيء. من جانبه، يفضل هو السجن المؤبد.

لكن بيرسيوس كاتو، وهو روماني آخر مشهور وصارم وشديد المراس، قد أفتى بأن المتمردين يجب أن يعدموا. شيشرون والقنصل، كانا يؤيدان هذا الرأي. بعد ذلك تم خنق المتآمرين المقبوض عليهم على الفور. لقد قيل إن شيشرون، أحب بلاده، على أمل أن يحكمها يوما ما. لكن كاتو، كان يحبها أكثر من أي بلد آخر، لأنها أكثر حرية.

كان كاتيلين، مع الجيش الذي جمعه، يحاول عبور جبال الأبينين إلى بلاد الغال (فرنسا)، عندما سمع بإعدام رجاله. الأبينين، هي سلسلة جبال تمتد على طول شبه الجزيرة الإيطالية. لكن الجيش الروماني كان يلاحق

هذا الرجل المتهور عن كثب، بقيادة ميتيلوس، وأجبر على الدخول في معركة. كانت المعركة يائسة ودموية. كاتيلين وقواته قُطّعوا أشلاء، ووجدت روما نفسها أكثر أمنا من قبل.

كان كاتو مسرورا جدا بسلوك شيشرون، وبالطريقة التي اكتشف بها المؤامرة، وحثه على معاقبة المتآمرين، لدرجة أنه أطلق عليه لقب "أبو بلده الروحي"، وهو اللقب الذي أكده الشعب بفرح.

دخل بومبي روما الآن بعد انتصاراته في آسيا الصغرى. وبعد فترة وجيزة تم اختياره، مع قيصر وكراسوس، لتشكيل أول ثلاثي للحكم، عام 60 ق م. ثم تزوج ابنة قيصر، وبالتالي بدا هؤلاء العظماء الثلاثة، متحدين بروابط خاصة وعامة.



قيصر، كراسوس، بومبي

كلوديوس، شاب أرستقراطي، أحب بومبيا، زوجة يوليوس قيصر. وكان يتشوق لدخول منزلها في ثوب مطربة موسيقية. سرعان ما اكتشف أمر كلوديوس، وطرد من المنزل.

بدأ اللغط والقيل والقال، عن هذا الحدث. وبدأت الناس تعرف أن بومبيا هي امرأة طائشة وزوجة غير مسؤولة. لذلك طلقها قيصر. وعندما سئل لماذا فعلت ذلك، أجاب: زوجة قيصر، يجب تكون فاضلة، وأن تظهر أيضا فاضلة". وهي جملة تستحق الملاحظة.

شيشرون، بعد أن هاجم قيصر، هرب من نفسه إلى اليونان، حيث بقي ستة عشر شهرا في المنفى. هناك، أعجب به الإغريق وكرموه.

بومبي بعد أن عاد، رحب به الرومان مرة أخرى بكل مظاهر التقدير والسرور. كان شيشرون تعيسا جدا أثناء نفيه، وكتب رسائل إلى زوجته تيرينتيا وأصدقائه، مليئة بالأشجان.

أول ثلاثية حكم من بومبي، كراسوس، وقيصر، كانت عام 60 ق م.

بريطانيا

كان قيصر جنرالا عظيما ناجحا. غزا الغال مرارا وتكرارا، وانتصر أيضا على هيلفيتي. بلد جبلي بين فرنسا وإيطاليا، هي سويسرا الآن. كان الهلفيتيون رائعين لشجاعتهم وثباتهم في القتال.

كان يوليوس قيصر مسرورا جدا بشجاعة الهلفيتيين، وتحدث عنهم بإعجاب في تعليقاته. من هيلفيتيا (سويسرا) مر عبر بلاد الغال (فرنسا)، وجزء من ألمانيا، وكان يقهر كل ما يقع في طريقه.

عندما وصل إلى ساحل بلاد الغال، جذبت شواطئ ألبيون انتباهه. وقام بعبور المضيق الضيق، الذي يعرف الآن بمضيق دوفر. بريطانيا كانت معروفة منذ فترة طويلة.

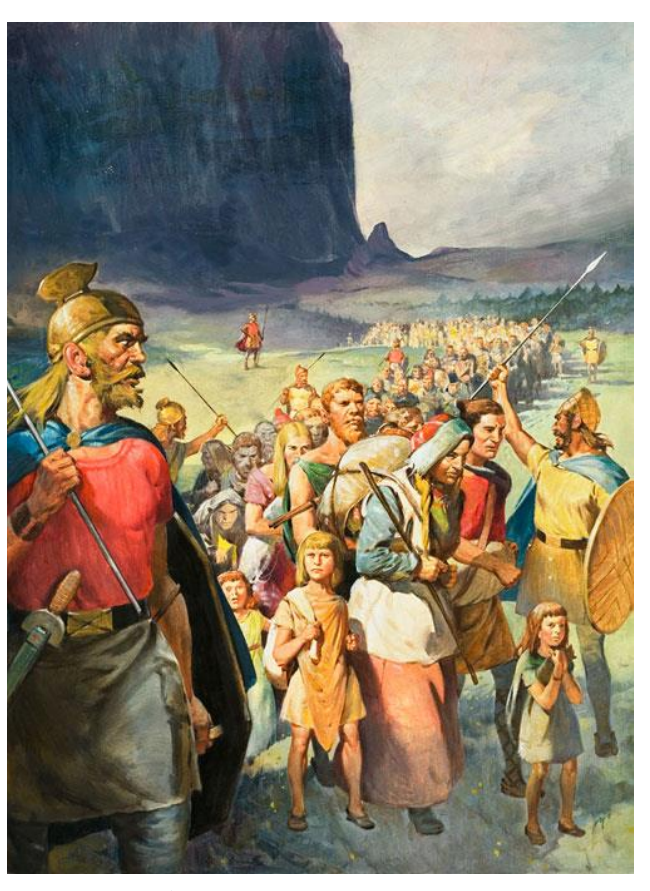
اسم بريطانيا يأتي من كلمة بريت. وهو لقب كان يطلق على السكان، لأنهم كانوا يدهنون أجسامهم باللون الأزرق. وكلمة بريت بلغتهم، تعني أزرق.

اسم ألبيون يأتي من المنحدرات الطباشيرية البيضاء، التي تظهر على ساحل كينت، الساحل الأقرب إلى القارة، ويمكن رؤيتها بسهولة من بلاد الغال.

عندما حاول قيصر الهبوط على أرض بريطانيا، هاجمه السكان الأصليين بضراوة. وبعد إراقة الكثير من الدماء، أخضع جزءا من الجزيرة البريطانية.

بريطانيا في ذلك الوقت، كانت غير بريطانيا الآن. المزارع قليلة أو غير موجودة على الإطلاق. البيوت طينية منخفضة ومسقوفة بالقش. السكان نصف عرايا، يرتدون جزئيا ملابس من جلد الوحوش. يعملون بالصيد للغذاء والكساء.

لغتهم وعاداتهم وديانتهم، كانت تشبه تقريبا أقرب جيرانهم، الغال. كانوا يقاتلون بالهراوات والرماح، تلك الآلات الرهيبة التي أتى بها الرومان، ومنها العربات المثبت فيها مناجل على محاور العجلات.



قبائل الجيرمان التي استوطنت بريطانيا

كان كهنتهم (الدرويدس)، يأمون احتفالاتهم الدينية. والكاهنات يقومن بالتنجيم ومعرفة المستقبل. كانوا يقدمون ضحايا بشرية لآلهتهم. ولا شيء أكثر وحشية من سكان الجزر البريطانية هؤلاء.

قاد كاسيبيلونوس البريطانيين عندما غزا قيصر جزيرتهم. بعد قتال طويل بشجاعة، لكن بأسلحة غير متكافئة، خضعوا للغزو، وقدم قيصر لهم أفضل الشروط للاستسلام. منذ ذلك الوقت، لحوالي مائة عام قادمة، ظلت بريطانيا خاضعة بهدوء للرومان، الذين كانوا سعداء لامتلاك منطقة بعيدة عنهم، لا تثير القلاقل.

عاد قيصر إلى إيطاليا، ليقدم تقريرا بغزواته، واستمر في قيادته للغال والبلدان الشمالية. ثم عين بومبي حاكما لإسبانيا. لكنه كان يحكمها عن طريق مساعديه، متظاهرا أنه لا يستطيع مغادرة روما. وعين كراسوس

حاكما لسوريا. في عام 53 ق م، قتل كراسوس، وتم تقسيم سلطاته بين بومبي وقيصر.

كان كراسوس، قائدا رومانيا في سوريا. أرسل له قيصر، من بلاد الغال، تعزيزا من ألف رجل، تحت قيادة ابن كراسوس. هذا المحارب الشاب تميز كثيرا في حرب، سوف يقوم بها والده بعد فترة وجيزة.

في معركة عنيفة، أصيب الابن مرارا بجروح، وقتل جميع الجنود الخاضعين لقيادته وقطعوا أشلاء تقريبا. صديقان، كانا معه، نصحاه بالفرار من ميدان المعركة وإنقاذ حياته. لكن بعد أن طلب منهما الاعتناء بأنفسهما، هتف قائلا: "لن يدفعني الخوف من الموت إلى التخلي عن رجالي الشجعان، الذين ماتوا من أجلي." ثم أقنع أحد زملائه بطعنه.

بعد فترة ليست بالطويلة، قتل الأب كراسوس في اشتباك مع هؤلاء البرابرة. البارتيان، كانوا رائعين في استخدام أسهمهم ببراعة، حتى عندما كانوا يهربون من العدو.

غزا يوليوس قيصر بريطانيا لأول مرة عام 55 ق م.

معركة فارساليا

لقد مات كراسوس. كان يوليوس قيصر في بلاد الغال (فرنسا). بومبي كان في روما. قيصر يبغي المزيد من السلطة، ويا حبذا لو استطاع أن

يسود وحده روما. لذلك استقال من سلطته، وكان يود أن يفعل بومبي نفس الشيء. كانت بعض النزاعات قد نشأت بينهما.

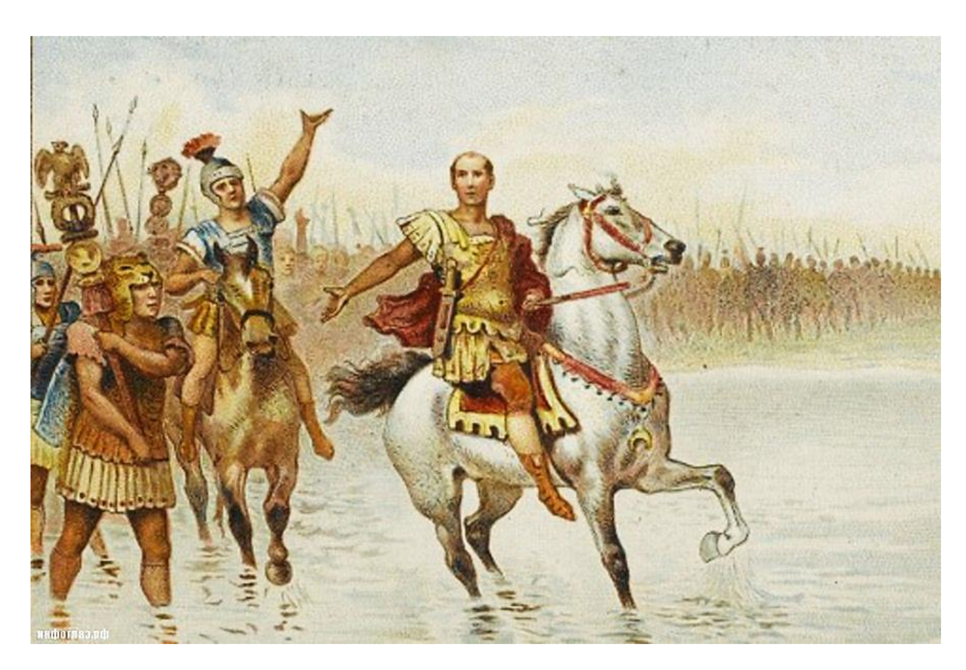
كان قيصر يستعد للعودة إلى إيطاليا مع جيشه، لكي يفرض سيطرته بالسيف. جوليا، ابنة قيصر، وزوجة بومبي، كانت قد ماتت. بينما كانت تعيش، حافظت على مظهر الود، على الأقل، بين والدها وزوجها. ولكن بعد موتها، أصبحت الخصومة بين قيصر وبومبي معلنة.

عندما سمع مجلس الشيوخ عن نوايا قيصر، أصدروا قانونا، يقول أي جنرال، لديه قواته وأسلحته، يعبر نهر روبيكون (يفصل بلاد الغال وإيطاليا) دون إجازتهم، يصبح متمردا وخائنا.

وبالرغم من ذلك، تحدث قيصر ببلاغة إلى جنوده، الذين وافقوا على السير معه أينما يذهب. ثم تقدم واقترب من حدود إيطاليا. وفي فجر أحد الأيام، وجد نفسه وجيشه على ضفاف نهر روبيكون.

هنا توقف قيصر قليلا. بدأ يفكر في حجم مشروعه وخطورته. نظر إلى المياه تتدفق في النهر في صمت رهيب، وهو يتأمل المخاطر التي قد تجلبها عودته بجيشه إلى روما.

ثم، انتقل إلى أحد جنرالاته قائلا: "إذا عبرت هذا النهر، كم من الكوارث قد أسببها لروما؟، وإن لم أفعل، لن أنجز مهمتي". ثم حث حصانه على الغوص في الماء وعبور النهر، مناديا: "إلى الموت". ولسان حاله يقول: "لقد عبرت النهر في تحد للقانون، والأسوأ أنني ذاهب الآن إلى روما". بعد ذلك، تبعته قواته بحماس.



يوليوس قيصر يعبر نهر روبيكون

كانت روما في حالة ذعر قصوى عند سماعها بقدوم قيصر. بومبي، كان مدركا أنه لا يستطيع مجابهة قيصر، فتراجع إلى كابوا. وبعد أن دخل قيصر روما منتصرا، ذهب لمواجهة بومبي.

لكن بومبي كان قد تراجع إلى اليونان، وأخيرا إلى فارساليا، وهي مدينة في مقدونيا. هناك دارت معركة يائسة بينه وبين قيصر، انتصر فيها قيصر. ثم هرب بومبي بحياته فقط.

عندما كان قيصر يطارد بومبي في اليونان، كان قيصر على ظهر سفينة صغيرة. وإذا بعاصفة عاتية جعلت القبطان يأمر بإلقاء المجاديف جانبا، وترك السفينة تحت رحمة الرياح العاتية والأمواج العالية.

قيصر كان متخفيا في هيئة عبد يخدم الجيش. فقام بالكشف عن شخصيته للقبطان المندهش، وطلب منه بالتجديف قائلا: "لا تخافوا شيئا، لديك قيصر وثروته على متن السفينة". مما شجع القبطان والبحارة على بذل قصارا جهدهم، حتى وصل قيصر بسلام إلى الساحل وسط جنوده المبتهجين.

كان شعار المعركة من جانب بومبي هو "هرقل الذي لا يقهر"، وشعار قيصر هو "فينوس المنتصر". عندما نظر قيصر إلى جيش خصمه، المكون من مواطنيه، وهم ملقين قتلى في ميدان المعركة، شعر بندم وحزن بالغ.

سارع بومبي من معسكره إلى جزيرة ليسبوس، حيث ترك زوجته كورنيليا. كان اللقاء حزينا. فقد سقطت كورنيليا تبكي بين ذراعي بومبي، وهو يحتضنها في صمت.

عرض سكان ليسبوس على المصابين والفارين ملاذا في جزيرتهم. لكن بومبي نصحهم بالتصالح مع قيصر، قائلا: "قيصر هو عدوي، لكنني أشهد على رحمته وإنسانيته".

بعد رفض شعب رودس استضافتهم، عقد الهاربون العزم على طلب حماية بطليموس، ملك مصر. كان بطليموس آنذاك صبي صغير. لكن وزرائه اتبعوا سلوكا مؤسفا تجاه بومبي. أرسلوا قاربا لاستقباله من السفينة، وكورنيليا زوجته بقلب ينبض بالقلق، رأت زوجها ينزل إلى القارب. ثم شاهدت بعيون مجهدة، عملية اغتياله الدموية.

قبيل وصول القارب إلى الشاطئ، نهض بومبي من مقعده، وكان على وشك النزول من القارب، عندما طعن في ظهره وهو متكئا على ذراع خادمه. في اللحظة التي شعر فيها أنه طعن في مقتل، عرف أن موته أمر لا مفر منه. لذا، لف رأسه برداءه، ودون كلمة لوم، أو آهة من المعاناة، أستسلم لمصيره.

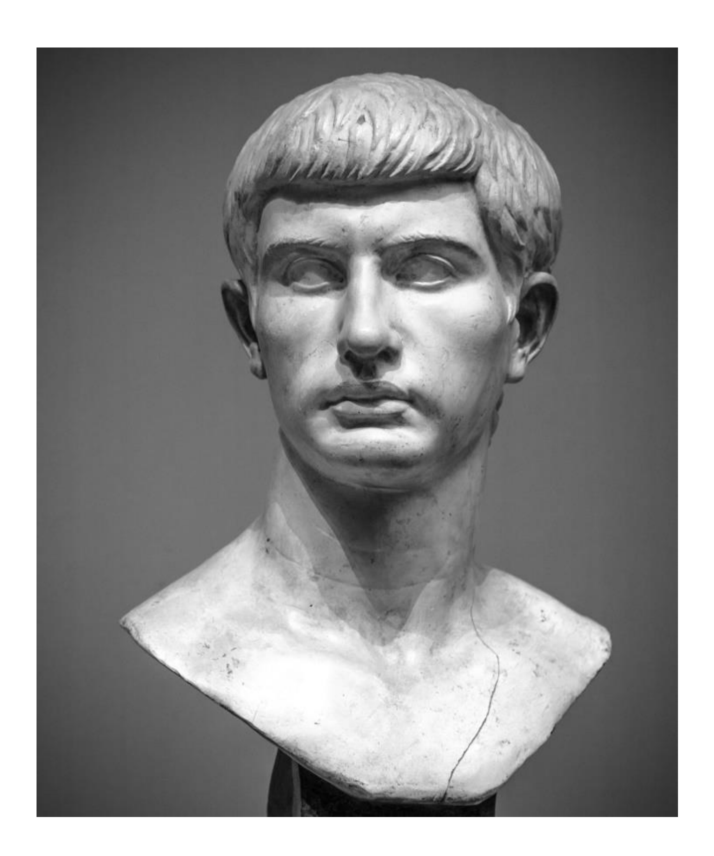
قطعت رأسه. وقام عبده المحرر بإحراق جثته. ثم وضعت علامة على المكان تقول: "هذا هو من تستحق مزاياه أن يبنى له معبدا، لا يمكن العثور على قبره".

تم إنقاذ كورنيليا، وعاشت لكي تدفن رماد جثة زوجها في مقاطعته الخاصة في إيطاليا. بومبي كان فقط 59 سنة، قتل في يوم عيد ميلاده.

معركة فارساليا، التي تركت قيصر دون منافس، كانت عام 48 ق م.

(18)

كاتو



ماركوس بروتوس

ماركوس بروتوس، هو من سلالة جونيوس بروتوس، الذي ضحى بابنه من أجل العدالة وقضية الحرية. أحب ماركوس بروتوس الحرية غاليا، كما فعل سلفه العظيم. لذلك كان يسمى "آخر روماني" كما كان يطلق على فوكيون "آخر يوناني". أي كما نقول نحن، آخر الرجال المحترمين. بعد وفاة هؤلاء الرجال البارزين، لم تعد كلا من روما أو اليونان جمهوريات حرة.

قتل الأثينيون فوكيون بالسم، في الوقت الذي كان فيه فيليب وابنه الاسكندر الأكبر يغزوان اليونان، ويضعاها تحت سيطرتهما. وبعد موت بروتوس، أصبحت روما خاضعة لحكم الفرد. يعني باي باي للديموقراطية والنظام الجهوري.



كاتو الأصغر

عندما كان بروتوس شابا، خدم كضابط تحت إمرة كاتو. عندما بدأ قيصر وبومبي يتنافسان على الحكم، انضم بروتوس إلى بومبي، بالرغم من أن بومبي كان قد تسبب في وفاة والده من قبل.

بعد معركة فارساليا في مقدونيا ووفاة بومبي، استقبل قيصر بروتوس، وتعامل معه بلطف وأعطاه ثقته. كاسيوس، روماني آخر، كان صديقا لقيصر. كاتو كان أيضا صديقا لقيصر، وعاشقا للحرية.

عندما عرض على كاتو ذات مرة أن يختار المنصب العسكري الذي يريده، رفضها جميعا، قائلا: "لم أفعل شيئا أستحق عليه هذا التكريم:"

عندما أخبره أحد أصدقاؤه بأن العالم يجده مخطئا في صمته، أجاب: "هذا أفضل من أن يجدني العالم مخطئا في فعلي". وأضاف، "سأتكلم

عندما أستطيع الكلام بما يفيد". يعني عندما أستطيع قول رأيي بصراحة.

كان كاتو يعتقد أن مواطنيه مهتمون بالشكليات والمظاهر والمناصب، لكنهم متسيبين أخلاقيا. لم يكن كاتو يهتم بالموضة وآخر صيحة في عالم الملابس والعربات التي تجرها الخيول المطهمة، لكنه كان مثال الاعتدال والبساطة. الخيول المطهمة، تعنى آخر شياكة.

كان يأكل ما يكفي لكي يقيم رمقه، ويلبس ما يكفي لستر جسده، لكنه كان صارما في مراقبته للحقيقة. وكان من شائع القول في المدينة: "إذا قاله كاتو، لا بد أن يكون صحيحا. ولن أوافق على هذا إلا إذا وافق عليه كاتو".

لا توجد فضيلة مثل الصدق وقول الحقيقة، يمكن أن يتحلى بها الإنسان. كما لا يوجد ما هو أبسط وأسهل من أن تكون صادقا. فليس هناك ما يمنع من قول الحقيقة بدقة. فلماذا لا يتم التحدث بها دائما؟ ونحن نقول بأن الصدق منجي. لذلك أتعجب من رؤساء دول يكذبون كما يتنفسون، ولا يخجلون، ولا يعتبرون هذا عيبا.

كان كاتو مع بومبي، عندما ذهب إلى اليونان لكي يواجه جيش قيصر المنتصر. وتابع بومبي المهزوم إلى مصر، ومعه فلوله. عندما علم بوفاة بومبي، سار بمن معه إلى يوتيكا، وهي بلدة في أفريقيا، ليست بعيدة عن موقع قرطاجة. تختلف عن يوتيكا المقاطعة اليونانية.

هناك ظل ينتظر اقتراب قيصر. عبثا حثه أصدقاؤه على الهرب من الخطر. لكنه لم يكن يستجيب لندائهم. فبدأوا يتخلون عنه في صمت. كان يبغي الانتحار بعد أن فقدت روما حريتها ونظامها الجمهوري.

في تلك الأيام الفاخرة، كان الرومان يتكئون على الأرائك أو يستلقون حول الطاولات لتناول ما لذ وطاب من الطعام والشراب. لكن كاتو، بعد معركة فارساليا، لم يخلد أبدا إلا للنوم. ومع ذلك، عندما سمع أن قيصر كان في طريقه إلى يوتيكا، دعا إلى حفلة كبيرة لتناول العشاء.



أيام الرومان الفاخرة

بالرغم من أنه لا يزال يصر على الجلوس وعدم الاستلقاء على الطاولة، تحدث بحرية وببهجة مع ضيوفه. وعندما تركوه، ذهب إلى غرفته، واحتضن ابنه بحنان أكثر من المعتاد. ثم تمدد، وبدأ يقرأ. ولكن، عندما لاحظ أن سيفه لم يكن معلقا في مكانه المعتاد، طلب من خادمه إحضاره له.

كان ابنه، قد أخفى سيفه، عندما لاحظ سلوكه مؤخرا، وخاف أن يقدم على الانتحار. ثم ذهب إليه يرجوه صرف النظر عن إحضار السيف. أجابه

بصرامة، أنه يمكنه أن يفعل ذلك بدون السيف، لأن هناك طرق أخرى للموت.

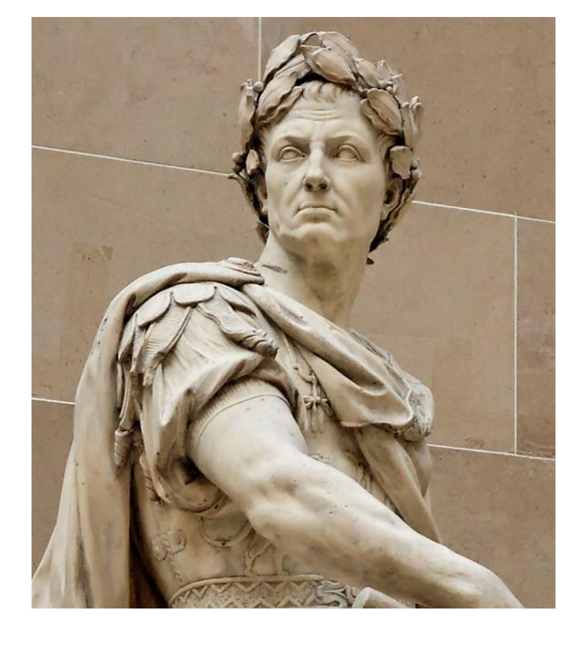
بعد ذلك بوقت قصير، أخذ طفل صغير السيف وأعطاه لكاتو. عندما سحبه من غمده ورأى حافته حادة تلمع في الضوء، قال: "الآن، أنا سيد نفسي".

لكي نفهم مثل هذا السلوك، يجب أن نعرف أن الانتحار كمظهر من مظاهر الاحتجاج، في الديانات الوثنية، كان يعتبر أفضل الفضائل. هذا بعكس الديانات الكتابية التي تعتبر الانتحار من أبشع الجرائم المحرمة.

قرب الفجر، سمع ضجيج في غرفة كاتو، هرع ابنه فوجد مخاوفه قد تحققت. لقد طعن والده نفسه بسيفه، وكان ينزف ويرقد في بركة من الدماء، إلى أن مات.

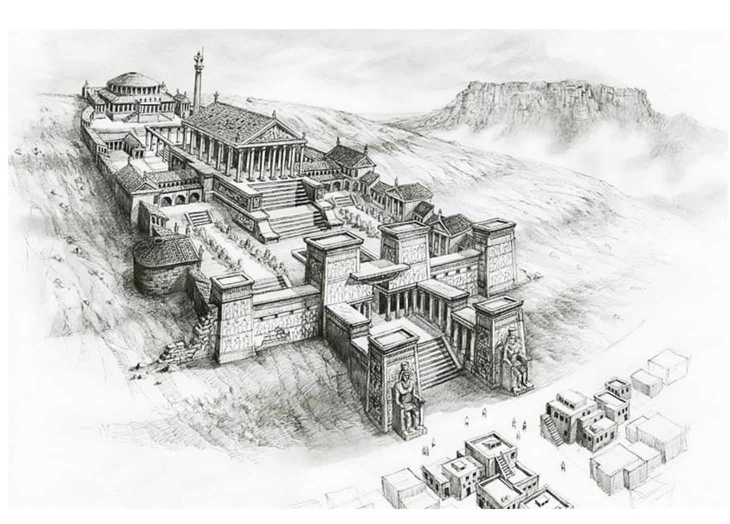
أسف قيصر عند سماعه بوفاة خصمه كاتو. بورسيا، ابنة كاتو، كانت متزوجة من بروتوس، وكانت تستحق مثل هذا الوالد ومثل هذا الزوج.

انتحر كاتو عام 46 ق م.



يجب ألا ننظر إلى يوليوس قيصر
على أنه مجرد جنرال قهر فقط. لأنه،
كان خطيبا مفوها، لدرجة أن
شيشرون وحده هو الذي كان يفوقه
في الخطابة في ذلك الوقت.

كتب قيصر تاريخ معاركه الخاصة،
تحت اسم "تعليقات قيصر".
الإصلاح الذي قام به في التقويم
يثبت اهتمامه بالعلم.



عمارة الإسكندرية

قبل وفاة كاتو، ذهب
قيصر إلى مصر لمطاردة
بومبي. وصل إلى
الإسكندرية، فوجد أن
بومباي قد اغتيل بيد أحد
المصريين أثناء نزوله من
المركب. لكن الذي أبهر
يوليوس قيصر، جمال
الإسكندرية وعظمة
المصريين في ذلك
الوقت .

كليوباترا



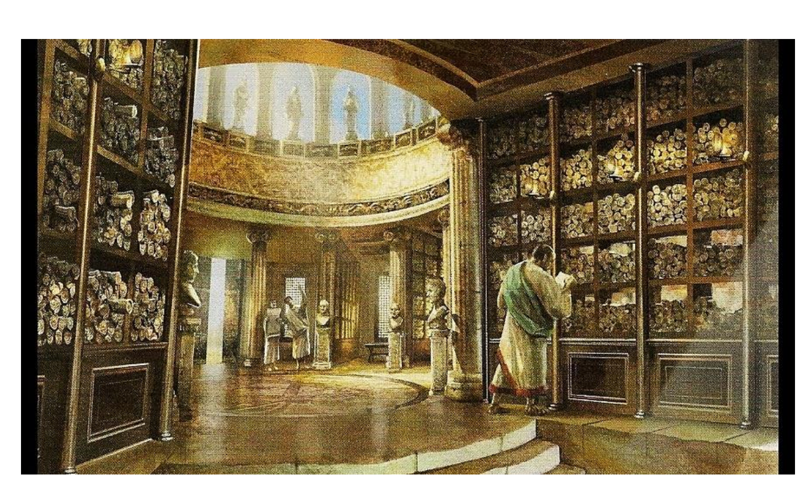
كليوباترا

دعت كليوباترا يوليوس قيصر إلى وليمة في القصر الملكي. لكن قيصر اكتشف في الوقت المناسب، عن طريق حلاقه الخاص، مؤامر لقتله، دبرها رجال الملك الصبي أخو كليوباترا .

بعد مقاومة شرسة استطاع قيصر أن يهرب إلى سفنه في ميناء الاسكندرية التي كانت محاصرة بالأسطول المصري.

أرسل قيصر رسولا يطلب النجدة من الحامية الرومانية الموجودة في بلاد الشام. في نفس الوقت قام بعدة هجمات على الميناء لتعزيز موقفه.

أحد هذه الهجمات تسببت في حرق جزء كبير من مكتبة الإسكندرية، وتدمير كتبا ومخطوطات لا تقدر قيمتها بثمن. في أحد هذه المعارك، سقط قيصر في الماء ونجا من الغرق بأعجوبة.



مكتبة الإسكندرية قديما

بعد خمسة شهور، وصلت النجدة الرومانية لقيصر. فقام بهزيمة الجيش المصري. لكي تقابل كليوباترا قيصر، لفت نفسها بسجادة، وحُملت إلى القصر مربوطة مثل بالة من السلع.

عندما رآها قيصر، بهره جمالها، وسحر حديثها. فهي ليست مثل نساء روما غير المثقفات وغير المتعلمات. كانت تعرف سبع لغات وعلى دراية بالثقافة الهلنستية والعلوم والفلسفة. فقام قيصر بتنصيب كليوباترا على عرش مصر، بدلا من أخيها الصبي، بطليموس.

وقع يوليوس قيصر في غرام كليوباترا. وقام برحلة نيلية معها لمدة شهرين، أنجب فيها ابنا اعترف ببنوته وبزواجه منها فيما بعد.

كانت العلاقة بين قيصر وكليوباترا أبعد ما تكون عن مجرد شغف عاطفي متهور. فقد كان الطرفان سياسيين مخضرمين، ولم يكن أيا منهما بأي شكل من الأشكال ساذجًا.

لقد أدى زواجهما إلى تحالف سياسي، له مدلول مثالي. بهدف أن تظل مصر مستقلة، لكن تحت حماية روما. وكانت روما ستستفيد من كرم مصر وأموالها بكونها أخصب أراضي العالم .

خلال رحلة قيصر النيلية، كان يناقش علماء مصر وحكمائها. أحد هؤلاء العلماء هو سوسيجينوس الذي كتب العديد من الكتب عن الفلك والنجوم. أخبر سوسيجينوس القائد الروماني الكثير عن السنة الشمسية والتقويم المصري، وقارنه بالتقويم الروماني، ونصحه بإصلاح التقويم الروماني البدائي.


رحلة نيلية حديثة

في شهر يونية عام 47 ق م، وبعد معركة مع ملك سوريا ومعركة مع فلول خصمه بومبي، عاد قيصر إلى روما لكي ينصبه مجلس الشيوخ دكتاتورا لمدة عشر سنوات.

أول شيء قام به يوليوس قيصر بعد تنصيبه، هو إصلاح التقويم الروماني القديم المبني على السنة القمرية، بناء على نصائح العلماء المصريين، وقام باستبداله بالتقويم الشمسي، المبني على العلم، والأكثر فائدة.

ثم قام قيصر بتعميم التقويم الجديد على كل أنحاء الإمبراطورية الرومانية. وأصبح التقويم يعرف منذ ذلك الحين بالتقويم اليولياني. نسبة إلى يوليوس قيصر. بعد ذلك بمئات السنين، تم تعديله إلى ما يعرف بالتقويم الجريجوري، وهو التقويم الذي يستخدمه العالم اليوم.

لكي يفعل ذلك، كما يقول بلوتارخ، دعا كل علماء وفلاسفة الإسكندرية ومنهم سوسيجينوس إلى روما لكي يطبقوا التقويم الشمسي الجديد الذي سمع به في مصر.

التقويم الذي أخذوا به، هو التقويم الذي أمر به بطليموس الثالث عام 238 ق م. السنة 365 وربع يوم. ثلاث سنوات بسيطة عدد كل منها 365 يوما، تتبعها سنة كبيسة 366 يوما.

ولكي يطابق التقويم الجديد الاعتدال الربيعي الذي يقع يوم 25 مارس، تم إضافة شهرين لسنة 46 ق م، أحدهما 33 يوما والآخر 34 يوما، بين شهري نوفمبر وديسمبر. بالإضافة إلى شهر آخر في فبراير، حتى يصبح طول سنة 46 ق م، 445 يوما. بذلك تصبح أطول سنة في التاريخ، لذلك سميت بسنة اللخبطة.

قام قيصر أيضا بتغيير أول السنة من مارس إلى يناير. كما أنه أضاف 11 يوما للشهر القمري حتى تكون السنة 365 يوما، بحيث يصبح الشهر إما 30 أو 31 يوما، فيما عدا شهر فبراير الذي كان 29 يوما في السنوات البسيطة و30 يوما في السنوات الكبيسة.

بعد ذلك، سرق العلماء يوما من شهر فبراير، لكي يضاف إلى شهر يوليو، بذلك يكون شهر يوليو 31 يوما، مساويا لشهر أغسطس. وما فيش حد أحسن من حد. يوليوس قيصر، لم يكن أقل عظمة من أوغسطس (أوكتافيوس).

ظل التقويم المصري مستخدما حتى سنة 30 قبل الميلاد. ثم فرض التقويم الروماني على المصريين بأمر من قيصر. بذلك، أصبح أول شهر توت بداية السنة في التقويم المصري القديم (القبطي)، يوافق يوم 29 أغسطس من كل عام حسب التقويم اليولياني.

لقد ترك قيصر كليوباترا ملكة في مصر. وقبل أن يغادر يوتيكا، أعطى أوامره بإعادة بناء مدينتي كورنث وقرطاجة. فقد دمرت هتان المدينتان في نفس الوقت تقريبا، وأعيد بناؤهما في نفس الوقت.

عند عودته إلى روما، حقق انتصارا رائعا، وانتخب قنصلا للمرة الرابعة. حاول أبناء بومبي مهاجمته مع جيش جمعوه في إسبانيا. كان قيصر على وشك الهزيمة، لكنه وقف يخطب وسط قواته قائلا: "ألا تخجلون من تسليم قائدكم إلى مجموعة أولاد؟"

بذلك، أعادهم إلى المعركة بحماس، وحقق النصر. وقال لأصدقائه، وهو يتقاعد من ميدان المعركة، "لقد حاربت في كثير من الأحيان من أجل النصر، لكن هذه المرة، كنت أحارب دفاعا عن حياتي." وكانت هذه آخر حروبه.

كان قيصر في قمة قوته، بالرغم من أن بعض الرومان ندموا على رؤيته متسلطا على مواطنيه، وعلى أبناء بومبي الشجعان. ومع هذا صنعوه ديكتاتورا مدى الحياة.

أوصى شيشرون بأن يحصل قيصر على كل شرف يستحقه. لكن، آخرين تملقوه وأثنوا عليه بدون سبب، سوى أنه كان في السلطة. وعندما أمر بترميم وإعادة تماثيل بومبي إلى مكانها، قال شيشرون، إن قيصر، بهذا الفعل، قد رفع سمعته هو.

عادة، الوصول للمجد، يصحبه حسد وعداوة. لذلك كان لقيصر العديد من الأعداء. وكان يحذره أصدقاؤه، ويطلبون منه أن يكون يقظا. كانوا يعرضون أن يكونوا حراسه. لكنه لم يكن يستمع لهم. وقال إنه "من الأفضل أن يموت مرة واحدة، على أن يعيش دائما في خوف".

كان مارك أنطونيو، معجبا كثيرا بقيصر. في يوم من الأيام، أثناء اجتماع عام، قدم له إكليلا في شكل تاج. عدد قليل من الناس استحسنوا هذا الفعل، وصفقوا. لكن عندما رفض قيصر الإكليل، كانت الصيحات بصوت عال تملأ المكان.

ربما فعل قيصر هذا لاختبار طبيعة الناس. الرافضة لكي يكون ملكا. منذ ذلك الوقت، كان يرفض تتويجه ملكا على الامبراطورية الرومانية. لكن المؤامرة التي تم تدبيرها لقتله، كانت الآن ناضجة للتنفيذ.

في عام 44 ق م، جاء يوليوس قيصر لحضور عيد 15 مارس، وهو عيد ديني بالنسبة للرومان. تقام فيه المهرجانات والألعاب الرياضية والعروض العسكرية.

أثناء ذهاب قيصر لحضور اجتماع مجلس الشيوخ، قابل في طريقه عرافا،

كان قد سبق أن حذره من مغبة ذلك اليوم. عندما أعاد العراف تحذيره، قال قيصر: هذا هو اليوم، ولم يحدث لي شيء. أجاب العراف، لكن اليوم لم ينته بعد.

أرسل قيصر حرسه الخاص بعيدا، وجلس على عرشه داخل مجلس الشيوخ. تقدمت إليه مجموعة من واضعي القوانين، وطلب أحدهم توقيعه على وثيقة. عندما رفض قيصر، هجم عليه ومزق ثيابه.

كانت هذه إشارة إلى 23 من أعضاء مجلس الشيوخ بالهجوم على قيصر بالخناجر. كان أحدهم، بروتوس، ولي نعمته وأقرب الناس إلى قلبه. نظر إليه قيصر بحسرة قائلا قولته الشهيرة: " حتى أنت يا بروتوس". ثم توقف عن المقاومة وغطى وجهه بجلبابه، وسقط مدرجا في دمائه على الأرض. أسفل تمثال بومبي.



مقتل يوليوس قيصر

هرب المتآمرون طلبا للأمان. لكن لم يمت أيا منهم موتة طبيعية. من المؤكد أن بعضهم، بروتوس على سبيل المثال، اشترك في قتل قيصر

بسب غيرته على بلده ورغبة في الحصول على حريتها. الآخرون كانت لهم دوافعهم المختلفة. لكن جميعهم تمت إدانتهم.

(19)



أوكتافيوس

بعد مقتل يوليوس قيصر، أسرع ابن أخيه ووريثه، أوكتافيوس، إلى روما. أخذ اسم قيصر، وحاول كسب حب الشعب. كان مارك أنطونيو آنذاك هو القنصل. حاول توحيد الصفوف ضد المشتركين في قتل يوليوس قيصر. لكن شيشرون كان يعارض أنطونيو من أجل السلام العام.

عارض أنطونيو في البداية أوكتافيوس الشاب. ولكن، عندما وجد أنه يلقى قبولا عاما من الشعب، عمل على أن يشركه في الحكومة. وهكذا، تشكل الثلاثي الثاني من أوكتافيوس، مارك أنطونيو، وليبيدوس، عام 43 ق م.



أنطونيو

قبل تكوين هذا الاتحاد الثلاثي، وافق كل عضو على التخلص من صديقه المفضل. أنطونيو تخلى عن عمه. ليبيدوس عن أخيه. أوكتافيوس عن صديقه شيشرون.

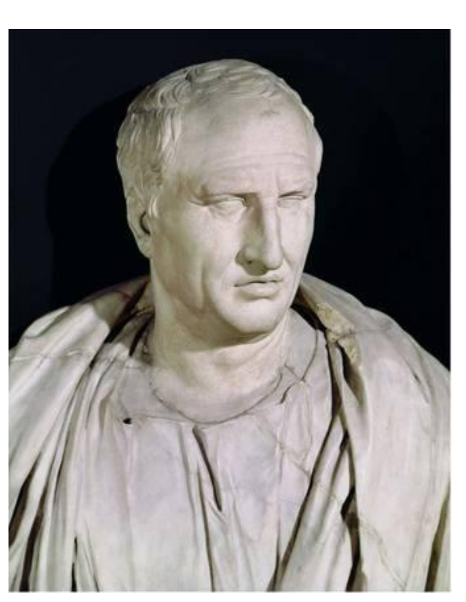
ليبيدوس

أعقب ذلك عملية قمع عام، مثل قمع ماريوس وسيلا من قبل، بل أكثر فظاعة. ثلاثمائة عضو في مجلس الشيوخ وثلاثة آلاف فارس ذبحوا بدم بارد، لإرضاء المشاعر الخاصة لثلاثي الحكم.

لم يشترك شيشرون في المؤامرة، لكنه كان مكروها من قبل أنطونيو. إلا أنه قد مات. فهل يمكن لأوكتافيوس، أن يُتهم بقتل صديق عزيز وطيب مثل شيشرون في سبيل الوصول للسلطة؟

وفاة شيشرون

شيشرون، وهو يعلم بغيرة أنطونيو، قرر أن يقضي فصل الصيف في أثينا. لكنه عاد إلى إيطاليا، عند سماعه أن مشاعر أنطونيو تجاهه قد تغيرت كثيرا. بعد ذلك، بذل جهده لخدمة أوكتافيوس، الذي أطلق عليه من جانبه لقب "الأب".



شيشرون

كان شيشرون في فيلته، عندما سمع بالقمع الدموي. فعزم على الفور بوضع نفسه تحت حماية بروتوس، الذي كان في مقدونيا. قام شيشرون وشقيقه كوينتوس بهذه الرحلة الكئيبة وحدهما.

كان معهما القليل من المال والزاد. يحملون على نقالات. كانا مكتئبان لأنهما قد طردا من وطنهما بسبب جحود شخص أحباه وخدماه من قبل. أثناء رحلتهما، عندما قرر كوينتوس الرجوع إلى منزله للحصول على بعض المؤن والأشياء اللازمة، تم القبض عليه في الطريق، واغتيل من قبل بعض الأشرار، جاءوا لهذا الغرض.

خدم شيشرون وضعوه في مركب. لكن المركب عادت إلى الشاطئ عندما رأت البحارة مجموعة من الطيور تعتبر نذير شؤم. إلا أن الخدم أقنعوه بالعودة إلى السفينة. ووضعوه فوق نقالة ليحملوه إليها، عند وصول القتلة.

عندما رآهم شيشرون، أمر خدمه بإنزال النقالة، ووضع يده على ذقنه كعادته، ثم نظر إلى قاتليه بثبات. لمس شكله البائس وطلعته الحزينة قلوب مرافقيه. لكن، مد شيشرون رقبته لكي يتلقى الضربة. فقام الضابط المكلف بقطع رأسه بضربة واحدة. وقطعت يداه أيضا.

وبأمر من أنطونيو، علقت رأسه ويداه في المنصة، التي كان يخطب منها ببلاغة، ويقنع الناس بما يراه حقا. عقب الناس على هذا السلوك بأن: "المشهد لم يعرض رأس شيشرون للناس، بقدر ما عرض قلب أنطونيو الأسود".

قتل شيشرون في السنة الأولى من ثلاثي الحكم الثاني، عام 43 ق م.

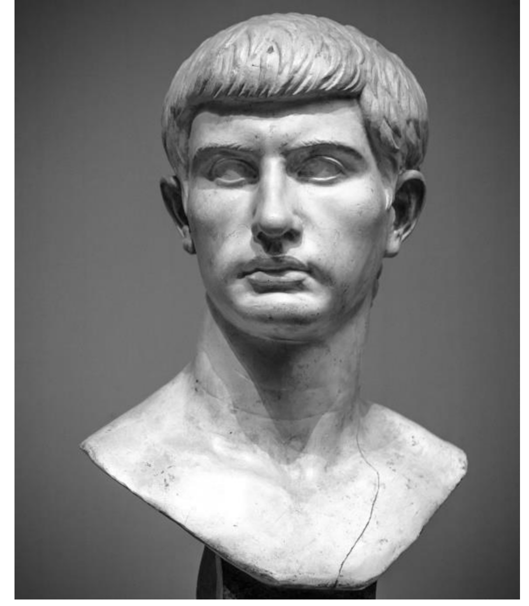
موت بروتوس

كان يرغب بروتوس في أن تكون بلاده حرة، لذلك رفع خنجره ضد قيصر. ولهذا السبب، انضم إلى كاسيوس لتكوين جيش في اليونان ضد ثلاثي الحكم في روما.

سار أنطونيو وأوكتافيوس ضد المتآمرين قتلة قيصر. وفي فيليبي، وهي بلدة في مقدونيا، أقيمت في شرف الملك فيليب، انتصر أنطونيو انتصارا كاملا. أوكتافيوس، كان شابا صغيرا في ذلك الوقت.

بذل كاسيوس كل جهد ممكن لمواجهة ثلاثي الحكم. معربا عن أسفه لأنه كان يحارب مواطنيه. قال لصديق له، "اشهد، ميسالا، أنني، مثل العظيم بومبي، مضطر للمخاطرة بحرية بلدي في نظير فرصة قد تأتي بالنصر".

في إحدى الليالي، عندما كان في آسيا الصغرى، رأى بروتوس شبحا، في شكل رجل طويل القامة، يدخل خيمته، ويقف إلى جانبه. "من أنت؟ " قال بروتوس، "وماذا تريد مني؟" أجاب الشبح: "أنا عملك السيء، يا بروتوس. ستراني في فيليبي". "إذن سوف ألتقي بك هناك"، أجاب بروتوس.



بروتوس

كان بروتوس وحيدا في خيمته، في وقت متأخر من الليل، وكان عقله مشغولا بالمعركة المتوقعة، وجسده كان يئن من واجباته العسكرية. مرهق، لا شيء يمكن أن يكون أكثر رعبا من تذكره لحكاية الشبح.

قاد بروتوس قواته كضابط ماهر، وقاتل كرجل شجاع، في معركة فيليبي. كل شيء أفسح المجال أمام مهارته وحسه. وصل إلى معسكر أوكتافيوس ودمره.

كان يعتبر نفسه هو المنتصر، إلا أن وجد أن صديقه كاسيوس قد هزم. سبب الهزيمة هو خطأ ما حدث. كان كاسيوس مشتتا جدا سيء الحظ، لدرجة أنه، دون انتظار وصول النجدة من بروتوس، ترك ضباطه وذهب إلى خيمة فارغة، وأمر أحد رجاله بقطع رأسه.

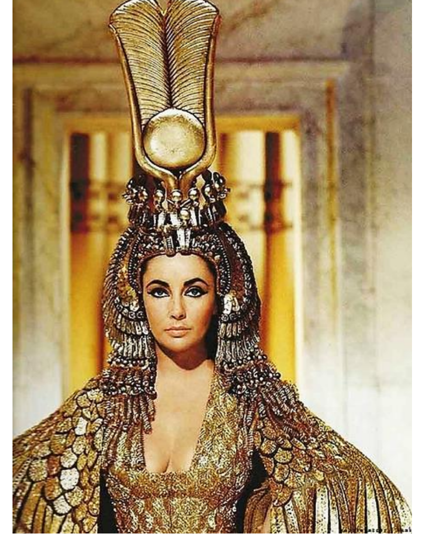
عندما وصل بروتوس إلى المخيم، لم يجد سوى جثة صديقه كاسيوس. جمع بروتوس مرة أخرى شتات جيشه، وبعد وقت قصير، واجه أنطونيو. لكنه هزم بالرغم مما بذله من حكمة وشجاعة. أراد أنطونيو إنقاذ حياة بروتوس، لكن بعد الهزيمة لم يعد بروتوس يرغب في الحياة، خصوصا بعد أن فقدت بلده حريتها.

كان مرافقوه غير راغبين في إطاعته، عندما أمرهم بطعنه. أحدهم أبلغه بأن العدو يتقدم، وبالتالي يجب عليهم الفرار. "نعم"، قال بروتوس، ثم نهض على عجل، وقال "علينا بالفرار، ليس بأقدامنا، ولكن بأيدينا". ثم تقاعد مع عدد قليل من الأصدقاء، أحدهم، ستراتو، يحمل سيفا. ألقى عليه بروتوس نفسه بعنف فعبر داخل جسده، ومات على الفور.

توفي بروتوس بعد وقت قصير من معركة فيليبي، عام 42 ق م.

معركة أكتيوم

في عام 42 ق م، تقريبا في الوقت الذي دارت فيه معركة فيليبي، تزوج هيرودس من شقيقة أريستوبولوس، ملك يهودا، وزار روما للسعي لتتويج نسيبه. لكن بدلا من ذلك، تمكن أنطونيو من تنصيب هيرودس نفسه ملكا ليهودا. ثم عاد هيرودس إلى أورشليم وتزوج من ماريامني.



إليزابيث تيلور في دور كليوباترا

أنطونيو، بعد وفاة بروتوس، سار بجيشه إلى قيليقية في جنوب تركيا. وكان يرغب في مقابلة كليوباترا هناك، لتوضيح بعض الأمور الخاصة بمساعدتها لكاسيوس.

كليوباترا، بالرغم من أنها لم تعد شابة، كانت لا تزال امرأة جميلة جدا. كان أسلوبها في التعامل مع الرؤساء والقواد المنتصرين ساحرا. فقد أبحرت بقاربها في نهر سيدنوس في تركيا، لمقابلة أنتوني في تارسوس.

القارب مطلي بالذهب، ومدعم بستائر حريرية وأشرعة أرجوانية. المجاذيف مطلية بالفضة. على سطح المركب جلست تحت مظلة فاخرة، وهي ترتدي أفخر الثياب بأجمل الألوان. فبدت كزهرة في بستان.



عرض حديث لموكب كليوباترا بمدينة القاهرة

بجانبها صبيان صغار يلبسون ملابس كيوبيد، ويحملون مراوح من ريش النعام، يقومون بالتهوية وتوجيه هبات النسيم إلى وجه الملكة. جواريها الجميلات، بملابسهن الشفافة والأنيقة، تلتف حولها فبدون كالموزيات إلهات الفنون والشعر أو حوريات الماء.

البخور يطلق على الشواطئ لتعطير الهواء. الموسيقى تعزف بأنغام عذبة وأصوات كورال وأغاني ميلودي. الجمال والفخامة والذوق الرفيع في كل مكان. الحشود من المدينة أتت لكي تشاهد هذا المشهد الرائع.

عندما زار أنطونيو كليوباترا، أصبح أسير جمالها، ووقع في حبها من أول نظرة. فهو لم ير مثل هذا في روما أو في أي مكان من قبل. ومن من

الرجال يستطيع مقاومة جمال وسحر وشخصية هذه المرأة. ونسي أن لديه زوجة، فولفيا، تنتظره في روما. ولتذهب فولفيا إلى الجحيم.

فولفيا، امرأة طموحة وقاسية. بذلت كل ما تستطيع لإفساد الصداقة بين زوجها وأوكتافيوس. لكنها ماتت قبل أن تنضج خططها. ثم تزوج أنطونيو بعد ذلك من أوكتافيا، أخت أوكتافيوس، وصار بينهما ود وسلام.

بعد زواجه الثاني، عاد أنطونيو إلى كليوباترا. مما أثار أوكتافيوس أخو زوجته، لدرجة أنه ذهب إلى مصر مع جيش كبير لمعاقبة الزوج الفلاتي الغير مخلص لزوجته.

بسبب سلوك ليبيدوس الطائش، نفي بعض الوقت. رأى أوكتافيوس الماكر أنه لو أمكنه تنحية أنطونيو جانبا، لأصبحت روما كلها له. أنطونيو كان جنرالا عظيما. لكن نقطة ضعفه كانت حبه لكليوباترا، وشغفه بالحياة الفاخرة. وهما أمران أضرا بعقله وأوهنا جسده.

التقى الخصمان في أكتيوم، عام 31 ق م. في خضم معركة بحرية يائسة، فرت كليوباترا يتبعها أنطونيو بعد أن تخلت عنه كل فرص النصر.

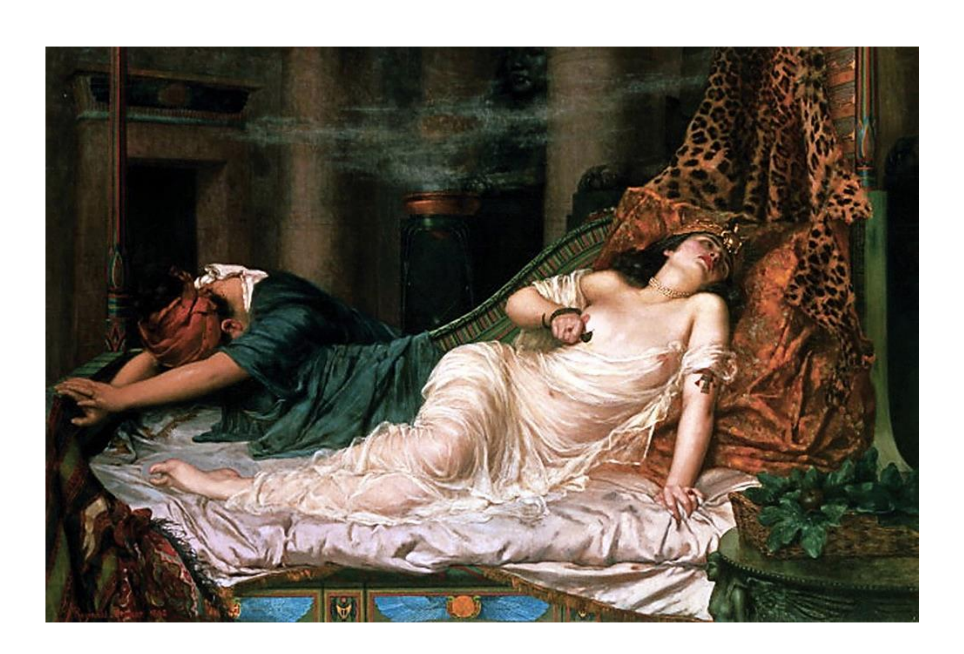


معركة أكتيوم

تعتبر معركة أكتيوم معركة حاسمة. أنهت النظام الجمهوري في روما. وأصبح أوكتافيوس قيصرها وسيدها الوحيد.

أنتوني، بعد سماعه أن كليوباترا قد ماتت، طعن نفسه لكي يلحق بها. فهو لم يرد أن يفارقها، حيا أو ميتا. وعندما علم أنها لم تمت، وأنها قد حبست نفسها فقط، طلب أن يحمل إليها.

كانت جميع المداخل مغلقة. كليوباترا وجواريها أدخلن أنطونيو المحتضر من النافذة. ثم مات بين ذراعيها. وخوفا من أن يتم أسرها، وأن يجعلها أوكتافيوس تسير في طابور الأسرى في روما، وضعت حدا لحياتها هي الأخرى، وانتحرت بعضة ثعبان سام.



انتحار كليوباترا بعضة حية

حاولت كليوباترا في السابق دراسة تأثير السموم على المجرمين المحكوم عليهم بالموت، فوجدت أن لدغة حية مصرية صغيرة سامة، تسبب الموت السريع.

لذلك اشترت حية من هذا النوع من فلاح، وخبأتها في سلة تين. أوكتافيوس، الذي كان في هذا الوقت في الإسكندرية، كان يريد مراقبتها ومنعها من قتل نفسها.

لكن كليوباترا، خيبت أمله. فبعد أن ارتدت ملابسها الملكية، وضعت الحية على ذراعها، وسرعان ما أنهت حياتها بلدغة قاتلة. جاريتان كانتا تقومان بخدمتها، لاقتا نفس المصير.

أعلن مجلس الشيوخ أوكتافيوس إمبراطورا لروما، وأخذ لقب أوغسطس.
وأصبحت الفترة التي عاشها أوغسطس، تعرف بالعصر الأوغسطي.
كانت تتميز بوجود العديد من الرجال المتعلمين والحكماء.

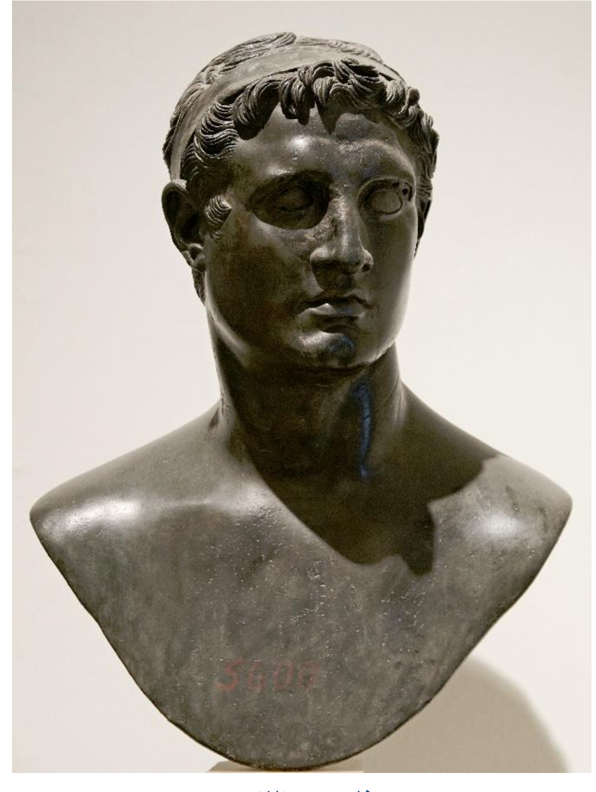
شعراء مثل: فيرجيل، هوراس، أوفيد، تيبولوس. ومؤرخون مثل: نيبوس، ليفي، سترابو، ديونيسيوس. وقد امتدت الامبراطورية الرومانية لتشمل تقريبا دول العالم القديم المعروفة آنذاك. وازدهرت الفنون والعلوم والحياة الرغدة في روما الامبراطورية.

فيرجيل

من بين كل الأحداث التي تميز تلك الفترة، كان ميلاد المسيح.

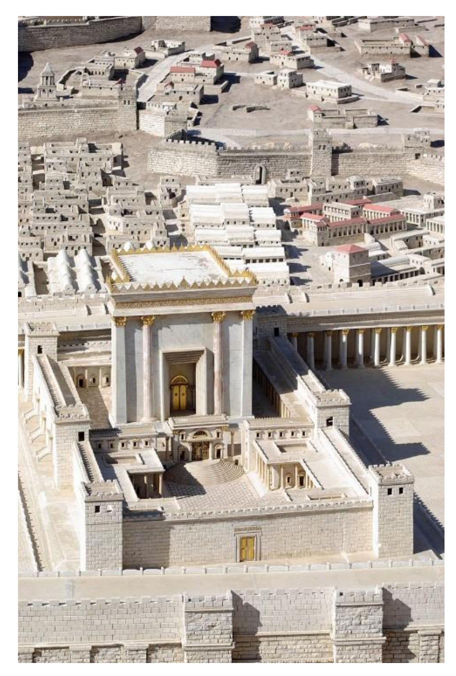
(20)

بطليموس الثاني



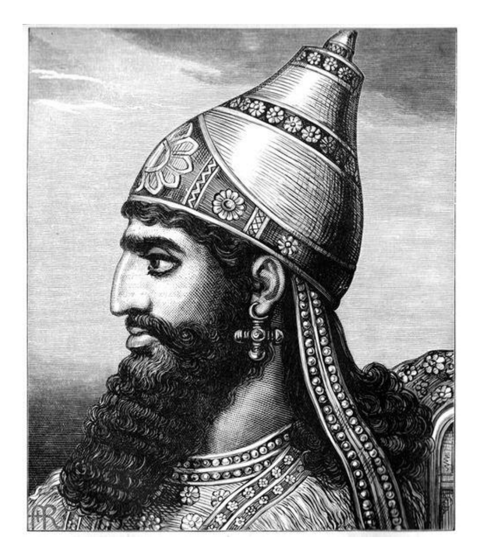
بطليموس الثاني

ترجم العهد القديم من العبرية إلى اليونانية عام 284 ق م، بأمر من بطليموس الثاني، ملك مصر. تم جمع كتب العهد الجديد في مجلد واحد في القرن الثاني بعد وفاة المسيح.



نموذج هيكل سليمان

كانت القدس هي عاصمة المملكة القديمة لليهود. كانت تسمى في الأصل سالم. أسست قبل ألفي سنة قبل ميلاد المسيح. هناك، بنى سليمان معبده الشهير.

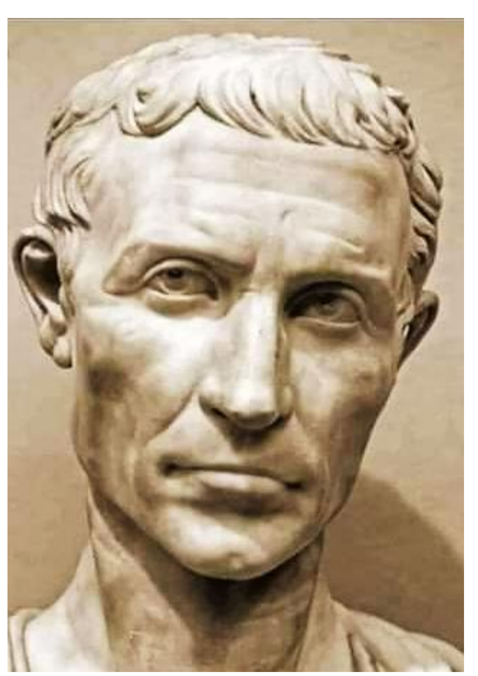


نبوخذ نصر الثاني

تم تدميره من قبل نبوخذ نصر الثاني، ملك بابل، لكن أعيد بناؤه بعد فترة وجيزة، تحت قيادة قورش وداريوس وأرتاكسريكسيس، ملوك الفرس. في وقت وجود المسيح، كان صرحا رائعا.

اليهود، أو العبرانيون، هم أحفاد الإسرائيليين، الشعب الذي قاده موسى من مصر كما تقول كتبنا المقدسة. اليهود والعرب يعتبرون أنفسهم من سلالة إبراهيم. يعقوب، ابن إسحاق، ابن إبراهيم، اتخذ اسم إسرائيل، وهو والد القبائل الاثني عشر.

اضطهد اليهود المسيح وأجبروا بيلاطس البنطي، الحاكم الروماني، على صلبه. المسلمون لا يعترفون بهذا الصلب. اليهود كانوا يتوقعون منذ زمن طويل أن المسيح، سيكون ملكا عظيما قويا، يأتي لكي يخلصهم من نير الرومان، ويؤسس قوانين موسى، وينشر القانون الخاص بهم، في جميع أنحاء العالم.



بيلاطس البنطي

عندما وجدوا المسيح رجلا بسيطا، يعلن أن مملكته ليست في هذا العالم، أصيبوا بخيبة أمل، جعلتهم يرفضونه ويضطهدون التعاليم التي يبشر بها كدين جديد. طائفتا الفريسيين والسادوس اليهوديتان، كانتا الأكثر عنفا ضد المسيح وأتباعه.

بعد وفاة هيرودس الحاكم الروماني ليهودا، قسمت مملكته بين أبنائه الثلاثة. ولكن المشاجرات التي نشبت بينهم، والفتنة بين رعاياهم، دعت الرومان للتدخل لتسوية النزاع. فقام أوغسطس بتقسيم جديد، وأعلن يهودا مقاطعة رومانية.

كان اليهود، غير الراضين عن الحكومة الرومانية، يتمردون عليها بشكل دائم. لم يكن اليهود فقط، ولكن تقريبا كل الناس، كانوا يضطهدون أتباع

الدين الجديد. كان الرومان، الذين يعبدون العديد من الآلهة، ألد أعداء المسيحية في بدايتها.

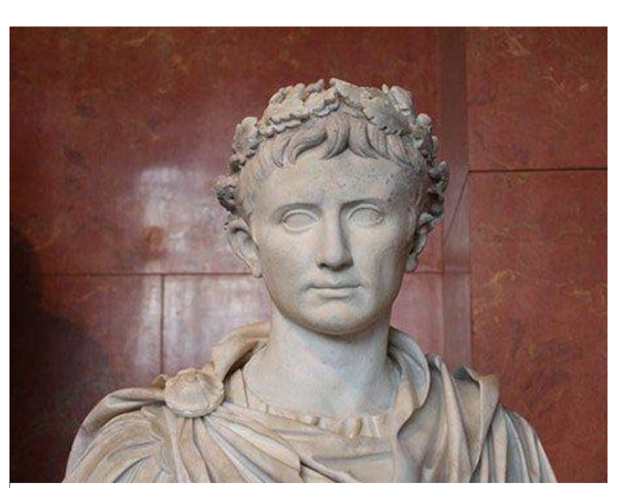
الأباطرة الرومان

لا نستطيع سرد الأباطرة الرومان كلهم بالتفصيل في هذه المساحة الضيقة، لكن سنذكر بألم، كم كان القليل منهم جيدين وحكماء. الباقون كانوا جهلة، شرسين، ضعفاء. لقد عانت الشعوب وكثير من الأبرياء، من جور هؤلاء الحكام.

قُتل العلماء والأدباء وأصحاب المواهب، وخصوصا في الأيام الأخيرة من حياة الامبراطورية الرومانية، مما عجل بموت سابق لأوانه وعنيف لها في تلك الفترة. كل الحكام الأشرار، بدون استثناء، كابدوا ولاقوا نهايات قاسية ومخزية.

تيبيريوس

تيبيريوس، الزوج الثالث لجوليا، ابنة أوغسطس، وابن ليفيا، الزوجة الثانية له، أصبح الإمبراطور بعد وفاة أوغسطس. في عهد تيبيريوس، صلب يسوع المسيح، وتوقف حساب الزمن من تاريخ بداية الأولمبياد، وأصبح يحسب من بداية ميلاد المسيح.



تيبيريوس

كان تيبيريوس طاغية قاسيا، ارتكب جرائم لا حصر لها. كان لديه رئيس حرس، اسمه سيجانوس، كان يتملق له. أقنعه بالانسحاب من روما والتقاعد في كابري، وهي جزيرة صغيرة على ساحل إيطاليا. ثم اكتشف تيبيريوس، خيانة سيجانوس فأمر بقتله هو وعائلته.



سيجانوس

لا يمكن للمرء أن يقرأ دون رعب، ودون أن يشعر بالشفقة، على النهاية البائسة لسيجانوس وعائلته. فهو الرجل المعتاد منذ فترة طويلة على السلطة والحياة الرغدة، وجد نفسه فجأة، في السجن، بعد أن صودرت أمواله وممتلكاته، ومحكوما عليه بالإعدام.

لم يجد من بين العديد من المتملقين الذين كانوا ينحنون له في أيام ازدهاره ومجده، من يدافع عنه أو يخفف من آلامه. فهو لم يكن له أصدقاء أو فضائل تشفع له. وعندما كان يساق إلى الإعدام، حاول تغطية وجهه بيديه، لكنه منع من ذلك، حتى يظل وجهه مكشوفا لإهانات الغوغاء. خنق سيجانوس، وأعدم معه جميع أفراد أسرته بدم بارد.

سيكون من المستحيل وصف قسوة تيبيريوس. فلا توجد جريمة لم يرتكبها، ولا معاناة، لم يسببها للآخرين. أنفق ثروة كبيرة على الترفيه والملذات. لذلك سقطت روما من عليائها، وابتعدت عن الاعتدال والبساطة. أيام أن ترك سينسيناتيوس محراثه لكي يحكم مجالسها، وعندما هجر ريجولوس مزرعته لكي يخوض معاركها!

لقد عاش تيبيريوس، حياة وقحة، ملذات وإباحية وفجور، حتى سن الثامنة والسبعين. بعد ذلك، أصيب بالمرض، جعله يلازم الفراش مدة طويلة. فأمر كاليجولا، خليفته، بخنقه.

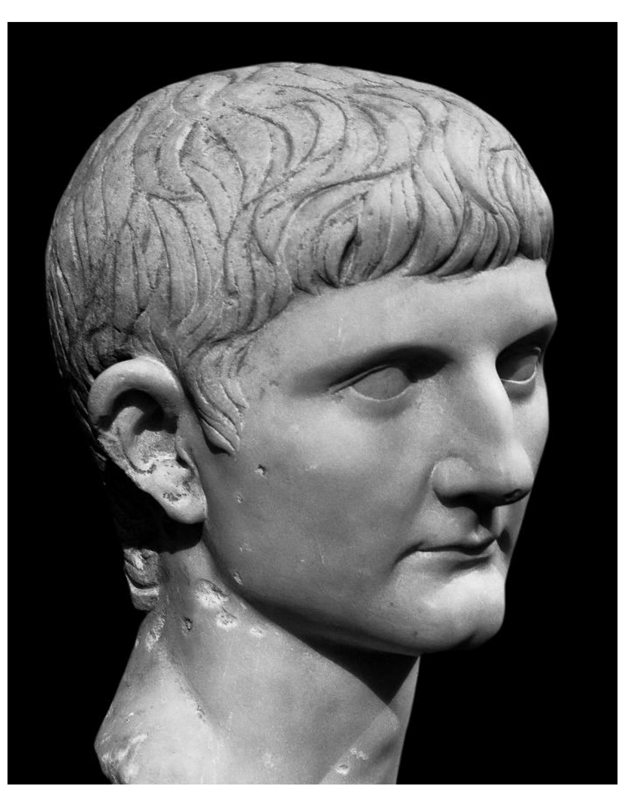


كاليجولا

هكذا مات هذا الإمبراطور الشرير، الذي كان يقول، بأن الدولة قد فسدت، ولم يعد ينفع معها الإصلاح أو الحكم الرشيد. وكان يتمنى، أن تنطبق السماء على الأرض ويهلك كل شيء حينما يموت.

إذا اعتبرنا يوليوس قيصر، هو أول إمبراطور، وهو ما يفعله معظم المؤرخين، يكون تيبيريوس، الذي مات عام 37 ق م، هو الإمبراطور الثالث لروما.

كاليجولا


جيرمانيكوس والد كاليجولا

كان كاليجولا، الإمبراطور الرابع لروما، ابن جرمانيكوس وأجريبينا. كان جيرمانيكوس ابن شقيق تيبيريوس، وأحبه الجنود كثيرا، وكانوا يودون أن ينصبوه إمبراطورا، بدلا من تيبيريوس. لكن هذا الرجل العادل الأمين، لم يوافق على الخيانة. لذلك، ابتهج الناس لرؤية ابنه كاليجولا على العرش.

بداية عهد كاليجولا كانت واعدة جدا. بدا كاليجولا أنه على استعداد للقيام بكل ما هو صحيح وجيد. نفي بيلاطس بونتيوس القاسي، ورفض أن يحقق في أية مؤامرة تكتشف ضده. قائلا: "لم أفعل شيئا يجعل الناس تكرهني، وبالتالي لا أخاف عداوتهم".

من المؤسف أن كاليجولا تصرف لمدة ثمانية أشهر فقط بشكل إيجابي وحكيم! حياته، بعد ذلك، كانت عبارة عن مشهد واحد من الحماقة والشر. يقال إنه قد أصيب بحمى دماغية، أثرت في قواه العقلية. لأن سلوكه بعد ذلك، ينم على أنه لابد أن يكون مجنونا.

تظاهر بأنه في بعض الأحيان إله وثني، وفي أحيان أخرى، إله آخر. في يوم يدعي بأنه الإله جوبيتر (زيوس) كبير الآلهة، وفي يوم آخر، الإله آيرس (مارس) إله الحرب. بنى المعابد لنفسه ليعبد فيها، وعين كهنة لأداء الطقوس وتقديم القرابين له. ثم عين حصانه أحد هؤلاء الكهنة.



مقتل كاليجولا على أيدي الحرس

لكن كاليجولا لم يستطع أن يستمر هكذا. فقد تآمر عليه الحرس، قتلوه شر قتلة بالخناجر والسيوف.



حصان كاليجولا

كان عمره تسعة وعشرين عاما فقط! كم هي حياة قصيرة، ارتكبت فيها حماقات وجرائم كثيرة. قتل كاليجولا عام 41 م.

كلوديوس

لقد غزا يوليوس قيصر جزيرة بريطانيا من قبل. بالرغم من أن الرومان، منذ عصره، كانوا يعتبرون أنفسهم أباطرة لبريطانيا، إلا أنهم لم يزعجوا أبدا سكان الجزر. لذلك، شعر سكان الجزر بأنهم أحرار مستقلون.

في عهد تيبيريوس، كان بعض الجنود الرومان، الذين تم هزيمتهم على ساحل بريطانيا، يعاملون بلطف شديد من قبل السكان الأصليين. وكان البريطانيون الرئيسيون يزورون روما من حين لآخر، ويرسلون أطفالهم أحيانا إلى هناك لكي يتعلموا، حتى تعيش الدولتان على علاقة ودية مع بعضهما البعض.

تحسن وضع البريطانيين قليلا بسبب اختلاطهم بالرومان. كانوا قد بدأوا التجارة معهم، وفهموا شيئا عن فنون الحرب. لكنهم كانوا لا يزالون عرقا غير متحضر. ثم تم تقسيمهم إلى عدة دويلات صغيرة، أو إمارات، كل منها لها رئيسها الخاص.

في وقت الشدة، كانوا يختارون قائدا لقواتهم المتحدة. وعندما أرسل كلوديوس جنودا وحكاما لغزو وحكم السكان الأصليين للجزر البريطانية، ظهر كاركاتاكوس.

كاركتاكوس، ملك إحدى الإمارات الصغيرة البريطانية، والجنرال المنتخب لكل الإمارات. عارض بجرأة استبداد القوات الرومانية، وإنجازات الجنود الرومان. كان يهزم في كثير من الأحيان، لكنه كان يعود بشجاعة للمقاومة، وكان يكسب بعض المعارك.

هاجم الرومان قبيلة سيلوريس، وهي قبيلة حربية تعيش على ضفاف نهر سيفيرن. كان كاركتاكوس هو قائدهم. رأى أن جيشه لا يستطيع مقاومة جيش الرومان. لكنه لم ييأس.

استخدم قواته الصغيرة أفضل استخدام. كان يتنقل من فرقة إلى فرقة، يحثهم على القتال ببسالة، وإنقاذ حريتهم من الغزاة. وكان جنوده يردون بهتافات حماسية. لقد قاتلوا، كما وعدوا، بحزم وبسالة. لكن المهارة الفائقة للرومان سادت، وهزم البريطانيون.

كاركتاكوس، على أمل إنقاذ نفسه لأوقات أفضل، تتجمع فيه القوات مرة أخرى لمواجهة الغزاة، لجأ إلى كارتيسماندوا، ملكة بريجانتيس، وهي ولاية بريطانية صغيرة. لكن هذه المرأة الغادرة، أسلمته للرومان.

كان كلوديوس مسرورا جدا لسماع هذا الاعتقال، وأعطى أوامره بإحضار السجين إلى روما.

كاركتاكوس، هو وعائلته، تم إحضارهم أمام الإمبراطور كلوديوس، الذي كان جالسا على عرش رائع، حوله أبهة وروعة. نظر الملك البريطاني بعين هادئة على المشهد المبهر، ثم قال ببساطة، "غريب، أن أمة تمتلك الكثير من الثروة والسلطة، تحسدني على كوخي المتواضع!"



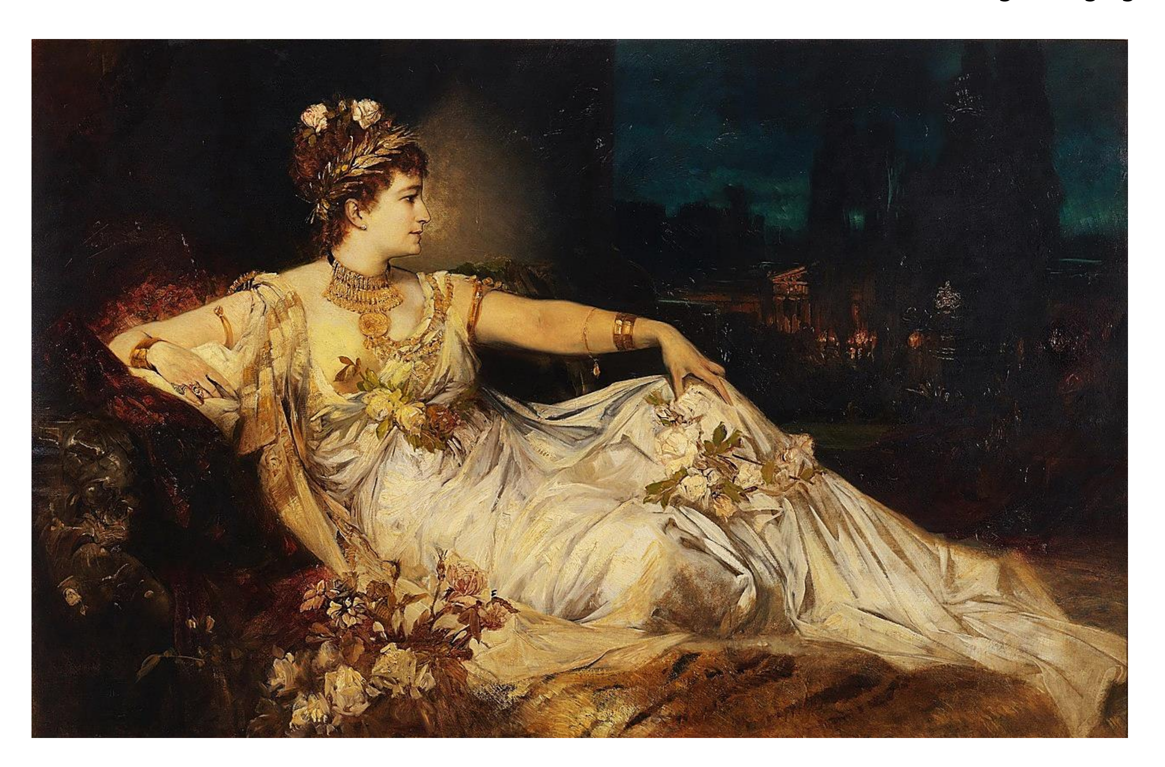
كلوديوس

خطابه إلى كلوديوس كان حكيما ومعتدلا. ثم أضاف قائلا: "لو كنت وصلت للسلطة، لوجب أن أكون هنا كضيف، لا أسير. لقد أبرزت مقاومتي روعة انتصارك. أنا الآن تحت رحمتك، إذا عوملت بتسامح، فإن مصيري سيكون دليلا على رأفتك واعتدالك".

لقد تركت لغة الشجاعة، التي خففت من حدتها الحصافة، انطباعها العادل: فقد أمر كلوديوس بخلع السلاسل على الفور عن كاركتاكوس وعائلته، وأعادهم جميعا إلى الحرية.

ميسالينا

ربما هذا هو العمل الوحيد الجدير بالذكر لكلوديوس. زوجته ميسالينا، كانت رائعة فقط في الفساد والعبث. لدرجة أن اسمها، ميسالينا، أصبح رمزا للمرأة السيئة.



ميسالينا

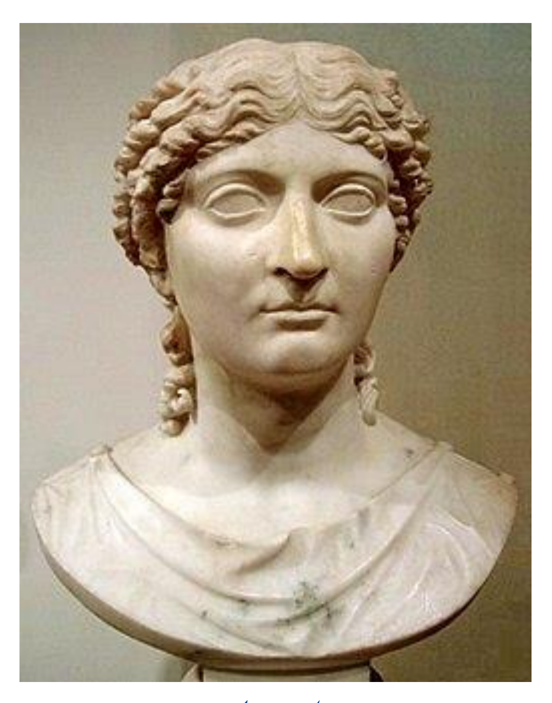
بالرغم من أن عهد كلوديوس لم يتسم بالنبل، إلا أن إحدى رعاياه كانت تتسم بالنبل. فقد تميزت آريا، الزوجة المخلصة لبيوتوس، بثبات وشجاعة فريدتين. حاول زوجها، بعد أن اشترك في مؤامرة فاشلة ضد الامبراطور، الهرب، لكن تم القبض عليه وإعادته إلى روما.

ناشدت زوجته أن يسمح لها بمرافقته، قائلة: "إن جميع الرجال في رتبته، يسمح لهم بمصاحبة العبيد معهم. فاسمحوا لي أن أذهب كزوجة مرافقة معه". لكن رفض طلبها.

بينما كان بيوتوس في السجن، مرض ابنه الوحيد ومات. شاهدت آريا طفلها المحبوب أثناء مرضه الشديد إلى أن مات. عندما سأل بيوتوس عن طفله، وهي تعلم أن أيامه معدودة، لم ترد أن تضيف إلى زوجها حزنا على حزن، فتحاملت على نفسها لتقول: "إنه بخير".

لقد صدر الحكم بإعدام بيوتوس. وأعطي الحق في أن يقتل نفسه. لاحظت آريا أن زوجها خائف ولا يقدر على قتل نفسه بنفسه. فمسكت بخنجر في يدها، وطعنت نفسها وأعطت زوجها الخنجر وهو ملطخ بالدماء قائلة: "يا بيوتوس، هذا ليس مؤلما".

اجريبينا

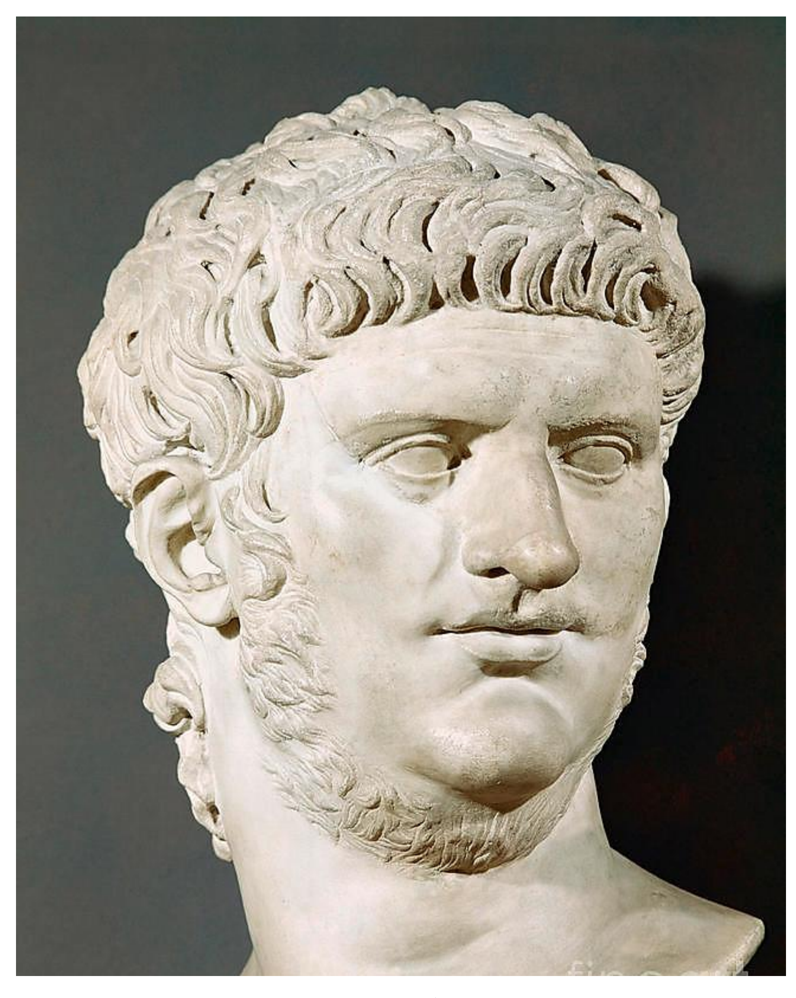


اجريبينا

بعد أن تلطخ اسم كلوديوس بدماء الكثير من الضحايا، مات بالسم. زوجته الثانية، اجريبينا، وهي وحش ظالم، وأم وحش ظالم، نيرون، قتلت كلوديوس بوضع السم له في الطعام.

(21)

نيرون

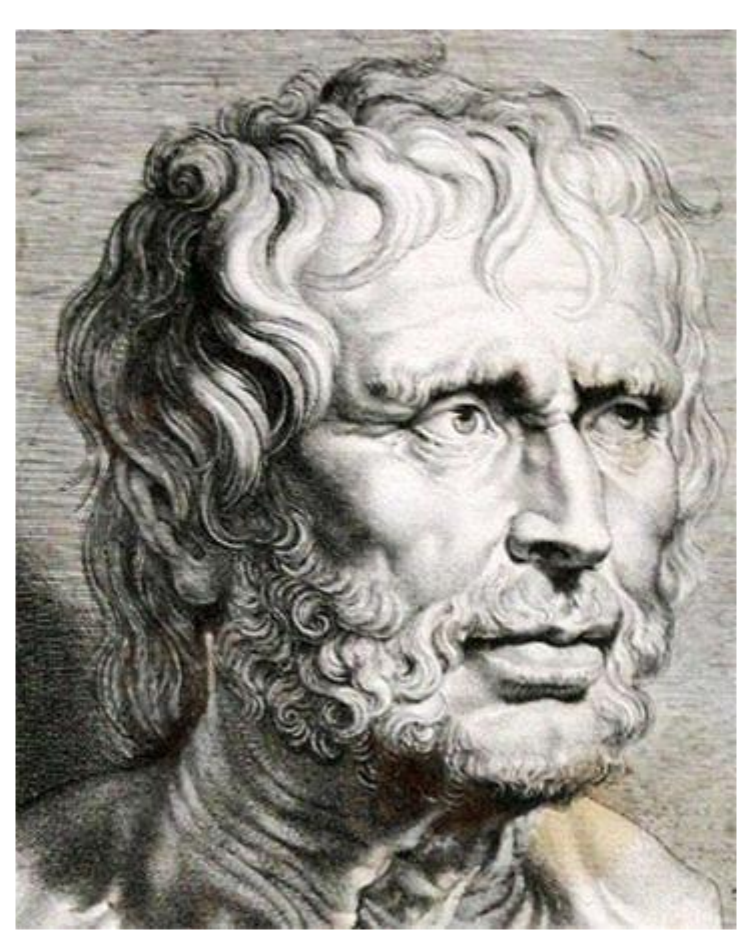


نيرون

بدلا من ابن كلوديوس الشرعي، بريتانيكوس، أصبح نيرون، ابن زوجته، امبراطورا لروما عام 54 م. البداية، كانت متواضعة جدا وحكيمة. لكن سرعان ما بدأت تظهر أعمال نيرون الشريرة.

تسبب في تسمم بريتانيكوس، وقتل أمه. ربما لم يكن هناك من هو أكثر فظاعة وإجراما من نيرون. لقد كان يقتل الناس لمجرد التسلية. أسعد حالاته، عندما يقوم بتعذيب زملائه ومعارفه من البشر.

سينيكا



سينيكا

من بين جرائم نيرون، قتل سينيكا، معلمه، وهو فيلسوف متعلم جدا. كرهه نيرون لمجرد كونه حكيما وفاضلا، وأرسل له أمرا بقتل نفسه.

تلقى سينيكا هذا الأمر برباطة جأش كبيرة. قبل تنفيذ الأمر، طلب كتابة وصيته. وعندما رفض طلبه، قال لأصدقائه: "مادام لم يُسمح له بتوزيع تركته في صورة أموال، سيترك لورثته ما هو أثمن من الأموال. سنته وأسلوبه في الحياة".

زوجة سينيكا طلبت أن تموت معه. عندما وجدها جادة في طلبها، وافق على رغباتها. فقطعت عروق أذرعهما، وتركت تنزف حتى الموت. لكن سينيكا، لم يكن دمه يتدفق بسهولة. لذلك وضع في حمام دافئ حتى يجري الدم أسرع. وظل يعاني بصبر. وهو في هذه الحالة، أملى خطابا، ثم مات بعد فترة.

زوجته بولينا، أغمى عليها، واستغل خدمها تلك الفرصة لربط جروح ذراعيها. وهكذا تم إنقاذ حياتها، لكي تعيش بضع سنوات أخرى.

بذل البريطانيون جهدا آخر لاستعادة حريتهم، وتم إرسال جيش روماني لإخضاعهم. فنشر سكان الجزر الشجعان أنفسهم على الشاطئ لمعارضة العدو القادم، وانضم رجال الدين (درويد) إلى الجنود، على أمل أن يساعد مظهرهم الموقر في ترويع العدو.



رجال الدين، درويد

كما شوهدت النساء يركضن، بالمشاعل في أيديهن، وشعورهن منكوشة، وملابسهن بدائية وغريبة. صدم الرومان بهذا المنظر، وفي البداية أفسحوا لهم المجال. لكن بعد ذلك، هاجمهم الجنرال بولينوس. فقاتل البريطانيون بقدر استطاعتهم، إلا أنهم هزموا، وتم حرق رجال الدين الموقرين (الدرويد).



بولينوس

هؤلاء الدرويد، أو الكهنة، كانوا معتادين على أداء احتفالاتهم الدينية في البساتين والغابات. وكانوا يستخدمون نبات الهدال، وهو نبات ينمو على أشجار السنديان والتفاح، في هذه الاحتفالات. قطع الرومان بساتينهم، ودمروا معابدهم.



نبات الهدال

بوديكا



بوديكا

لكن الاضطهاد وتحكم العسكر فيهم، ومبالغ الجزية الهائلة المطلوبة منهم، دفعت البريطانيين مرة أخرى إلى الحرب. بوديكا، ملكة قبيلة آيسين، امرأة حماسية، تولت قيادة القوات البريطانية المجتمعة.

كان والد بوديكا، على استعداد لإرضاء الرومان والحفاظ على ابنته من اضطهادهم، عندما مات، ترك نصف أراضيه للرومان، بشرط أن يسمح لابنته بالاستمتاع بالنصف الآخر.

لكن الرومان الجشعين لم يكونوا راضين عن النصف. اختاروا أن يحصلوا على كل شيء. لذلك، صممت بوديكا على بذل كل جهدها للدفاع عن حقوقها.

ظهرت هذه الملكة في عربة حربية، وحثت الجنود على القتال برجولة. نجحت في البداية، لكنها في النهاية هزمت شر هزيمة. ولكيلا تقع تحت رحمة الرومان، تجرعت السم وقتلت نفسها.



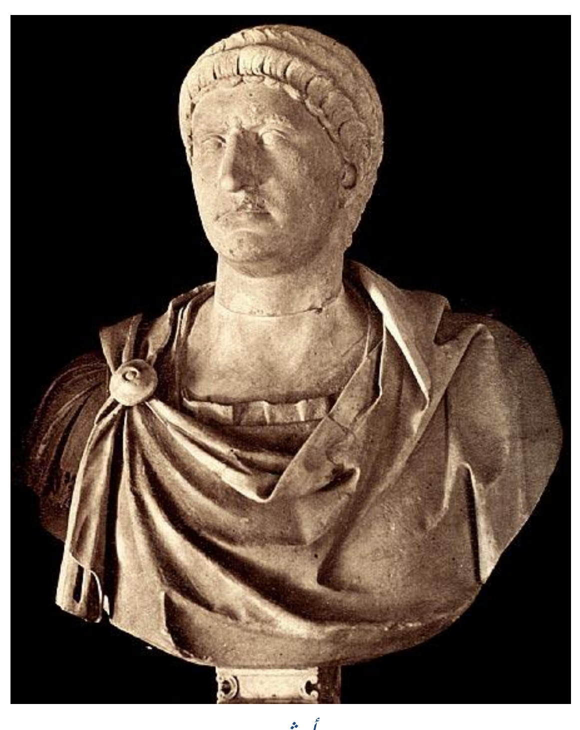
جالبا

موت نيرون كان بشعا، بقدر ما كانت حياته شريرة. جوليوس فينديكس، الذي كان يحكم بلاد الغال (فرنسا)، أراد أن يخلص العالم من مثل هذا الوحش. ثم أعلن علنا، "من سيأتي لي برأس نيرون سيكون صديقي". ولكي يظهر تحديه لنيرون، قام بتنصيب جالبا، حاكم إسبانيا، إمبراطورا.

هذه الروح بينت لنيرون أن نهايته قد قربت. لذلك، فر من روما. وعندما علم أنه ملاحق، حاول قتل نفسه. لكن يديه كانت ترتجف وتتعثر كلما حاول ذلك. ثم أصبح مدينا لإحدى خادماته، التي ساعدته على الانتحار. لقد عاش لعدة أيام في حالة بؤس. كان ينام في حفرة، يعيش على العيش الحاف والماء البارد.

فيسباسيان

جالبا، بالرغم من أنه كان يتمتع بخصال جيدة، إلا أنه كان يستحق مصير أفضل من ذلك الذي لاقاه. لأنه قطعت رأسه من قبل بعض القوات الثائرة، التي كانت تطالب بأوثو إمبراطورا لهم.


أوثو

بدأ أوثو عهده بشكل جيد، من خلال العفو عن، وتكريم شخص كان من أنصار منافسه جالبا. وقال، "الإخلاص يستحق المكافأة". لكن حكمه لم يكن مستقرا. فاندلعت الثورة ضده.

انطلق أوثو مع جيشه لوضع الأمور في نصابها. لكنه فشل، فأعلن عن نيته في الانتحار. ثم شكر جنوده على إخلاصهم، وأضاف: "إنني أموت الآن من أجل سلامتكم، بدلا من أن ألوث هذا المنصب بأعمال حمقاء".

ثم نام بهدوء وسلام، مع اثنين من الخناجر تحت وسادته. وفي الصباح التالي طعن نفسه في قلبه بأحدهما.

أصبح فيتيليوس الآن إمبراطورا. لقد كان وقحا عديم القيمة. تم قتله، لأن الناس الغاضبة، والتي كانت تشعر بالاشمئزاز من شراهته وظلمه، قامت بالثورة ضده.

فيسباسيان، جنرال القوات الثائرة، تم تنصيبه إمبراطورا عام 69 م. كان لا يزال هناك مجلس الشيوخ في روما، لكنه تغير كثيرا عن مجلس الشيوخ في العصور السابقة. أصبح ينفذ أوامر الجيش والإمبراطور، ولا يمثل الشعب. بالتالي، لم تستفد روما كثيرا من قناصلها.

فيسباسيان

ذهب فيسباسيان إلى مصر، وقضى هناك مدة عام واحد، لكنه عاد في العام التالي إلى روما، بعد أن ترك ابنه تيتوس في قيادة الجيش، وأمره بمحاصرة القدس.

تيتوس

نفذ تيتوس بالكامل وصايا والده، وهاجم بشدة اليهود. هؤلاء الناس قاوموا الرومان لفترة طويلة. والآن، تتجمع جميع الفصائل في القدس، لمقاومة العدو المشترك. نجحوا في البداية، لكن قمعهم تيتوس بشده، وكان هو نفسه يقاتل وسطه جنوده.



تيتوس

كانت القدس محمية بثلاثة جدران، كان يضربها تيتوس من الخارج بآلات ضخمة. عرض مرارا العفو والرحمة على المحاصرين نظير الاستسلام. لكن رفض اليهود كل عروضه. وكانت المجاعة شديدة لدرجة أن أكل الناس لحوم الموتى.

عندما سمع تيتوس بهذا، غضب وتعهد بتدمير المدينة، وحقق تهديده. بعد ستة أشهر من الحرب، تم الاستيلاء على المدينة، وحرق معبدها الجميل، ودمر جميع منازلها وجدرانها بالكامل، عام 70 م.

كل السكان قتلوا تقريبا. الباقي من اليهود، فروا إلى أجزاء مختلفة من العالم. من تلك الفترة أصبح اليهود شعب طريد. وصلوا إلى كل بلدة وقرية تقريبا في أوروبا، وبلاد كثيرة في الشرق الأوسط.

رغب الجنود في تتويج تيتوس كفاتح، لكنه رفض قائلا: "لم أكن سوى أداة في يد السماء".

كان فيسباسيان مسرورا جدا بنجاح ابنه، ودخلا روما معا منتصرين. كان يفضل هذا الامبراطور البساطة والخشونة، لدرجة أنه عاقب ضابطا شابا، لأنه كان معطرا.

بليني



بليني

بليني، عالم الطبيعة العظيم، كان يعيش في هذا الوقت. لقد درس بعمق الأحياء، وحقق اكتشافات كثيرة في علم النبات، وكتب كتبا، تحظى إلى اليوم بتقدير كبير.

كان يسلي نفسه بمراقبة ظواهر طبيعية كثيرة. أثناء زيارته لبركان فيزوفيوس، فقد حياته سنة 79 م. الغازات السامة التي كانت تملأ المكان كانت على الأرجح هي سبب وفاته.

تدمير مدينة بومبي

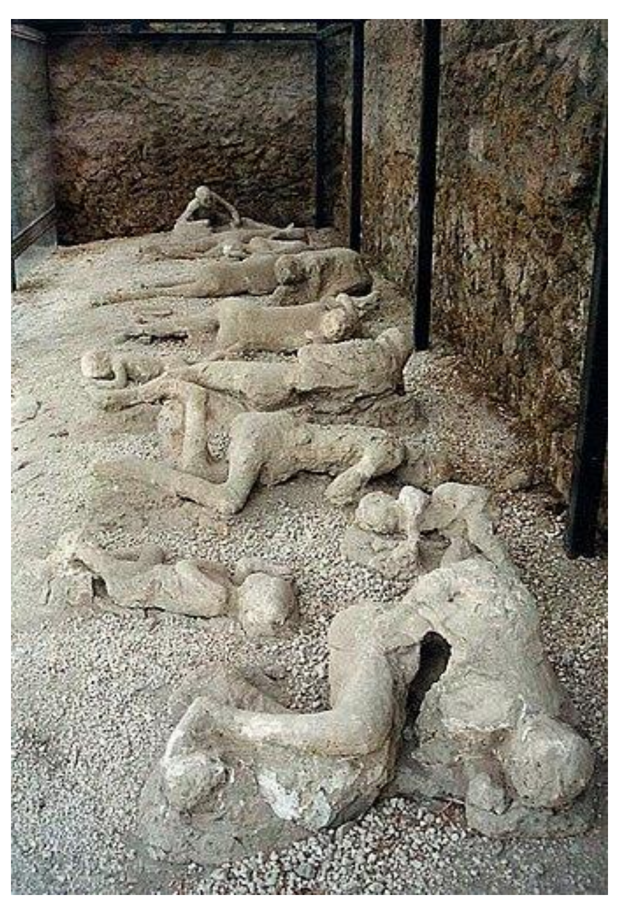


الجبل البركاني، فيزوفيوس

فيزوفيوس، هو جبل بركاني عال جدا، بالقرب من نابولي، في إيطاليا. وبين الحين والآخر، يتصاعد من قمته الدخان والنار. ويلقي بحممه البركانية في شكل مواد منصهرة مشتعلة. تسيل إلى جانب الجبل فتحرق الأشجار وتدمر الحقول والمنازل وكل شيء في طريقها إلى أن تصل إلى البحر. هذه الحمم، عندما تبرد، وتصبح في شكل أحجار سوداء، يتم قطعها، وبناء الأسوار والمنازل بها.

في الوقت الذي أصبح فيه تيتوس إمبراطورا، ثار بركان فيزوفيوس، وقتل بليني. الحمم والرماد من النار ردمت تماما بلدتين، هما بومبي وهركولانيوم. كان الحدث سريعا وغير متوقع، لدرجة أن السكان ماتوا خنقا وهم في المنازل والشوارع.

كانت ترتفع الحمم البركانية أقداما عديدة فوق قمم المنازل. في الآونة الأخيرة، بعد إزاحة بعض الحمم البركانية من فوق مدينة بومبي. الآن يمكن للناس النزول إلى المدينة، ورؤية الهياكل العظمية المجففة للسكان، وأثاث المنازل، وكل شيء. في نفس الحالة التي كانت فيها قبل أن غطتها الحمم. عندما طغت لأول مرة.



مدينة بومبي بعد أن ردمتها الحمم البركانية

آثار عجلات العربات على الأرض واضحة تماما. عمل من أعمال الطبية، يبين بوضوح لوحة فنية عن "آثار العصور القديمة"، يثير الاهتمام. ويبين لنا، كيف كانت الحياة في المدن في الزمن القديم.

كان فيسباسيان متواضعا. ومات بهدوء، واقفا على قدميه. قال إن الإمبراطور يجب أن يموت كبقية الناس. عندما كان ملك بارثيا يصف نفسه في رسائله ب: "ملك الملوك"، كان الامبراطور فيسباسيان يوقع رسائله بمجرد "فلافيوس فيسباسيان".

تيتوس

خلف تيتوس والده، وأصبح إمبراطورا عام 79 م. وهو نفسه العام الذي مات فيه بليني، ودمرت مدينتي بومبي وهركولانيوم بسبب ثورة بركان فيزوفيوس.

أجريكولا

في هذا الوقت، كان الجنرال الروماني أجريكولا، يغزو بريطانيا على نطاق واسع. تزوجت ابنة هذا الضابط الشجاع من تاسيتوس، المؤرخ الشهير، الذي كتب تاريخ أجريكولا.



أجريكولا

احتل أجريكولا جزءا من ويلز، وجعل نفسه سيد منى، وتسمى الآن جزيرة أنجليزيا. كما سار إلى كاليدونيا (اسكتلندا)، وهزم السكان الأصليين هناك، المتجمعين تحت رئاسة جالجاكوس. بعد ذلك، تفرغ لإدارة شؤون البلاد التي فتحها وقهر أهلها. كعادة الرومان مع فتوحاتهم، كانوا ينشرون العلوم والآداب والحضارة، إلى البلاد التي هي أقل تحضرا.

بنى أجريكولا العديد من الحصون في الأراضي الأسكتلندية، ولم يكتف بإقامة المنازل والمعابد، بل حث البريطانيين على القيام بذلك بأنفسهم.

دوميتيان



دوميتيان

ثم قام دوميتيان باستدعاء أجريكولا من بريطانيا. ويقال إن هذا الشرير، قد دس له السم. دوميتيان هذا، تسبب أيضا في وفاة أخيه تيتوس. لذلك، لن نتساءل عن أية جرائم أخرى يكون قد ارتكبها.

بعد أكثر قليلا من عامين في الحكم، مرض تيتوس ومات. ترك وراءه دوميتيان، وهو شخصية، لا تثير الحسد، ولا تسبب بهجة وفرح للجنس البشري.

خلف دوميتيان أخاه، وكان في كل شيء على عكسه. اضطهد المسيحيين. كان قاسيا. دعا ذات مرة مجموعة كبيرة إلى حفلة كبيرة

للترفيه. ثم أدخلهم في غرفة مطلية باللون الأسود. بها توابيت سوداء تحمل أسماء الضيوف. حول التوابيت، جنود تحمل المشاعل والسيوف.

الضيوف، كانوا يعلمون أن الإمبراطور شرس عصبي المزاج. فتوقعوا الموت الفوري. وأصيبوا بحالة من الرعب والفزع لا مثيل لها. وبعدما استمتع دوميتيان بفزعهم، وتعب من مشاهدة بؤسهم وهم في هذه الحالة، أرسل أوامره لضيوفه المذعورين بالعودة إلى منازلهم.

لقد عادوا إلى ديارهم دون أن يصابوا بأذى جسدي. لكن كيف نقدر الألم النفسي، ومعاناتهم العقلية؟ كيف يمكن أن نفسر هذه العقلية، التي تجد متعة كبيرة في أن ترى الناس في حالة بؤس؟

تم اغتيال دوميتيان، عام 96 م. سجل التاريخ اسمه على أنه كان إمبراطور روما. لكن، لأي شيء آخر يمكن أن يذكر به؟ لا شيء سوى خطاياه. لكن أجريكولا، الحاكم الخير لبريطانيا، يحتفل به، ليس لوظيفته، ولكن لأفعاله. ويذكر بكل احترام.

سلطة دوميتيان كانت سبب نكبته. فهذه السلطة المطلقة بغير حدود، سمحت لنفسه الشريرة بفعل كل الموبقات. أما أجريكولا، فقد أعطى الفضل لمنصبه، وزان اسمه المتواضع بأفعاله.

لقد قيل عن فيسباسيان، أنه كان رجلا لم يتغير بالسلطة. إلا أنها منحته الفرصة لفعل الخير. وكان تيتوس يستحق أن يكون ابنا جيدا لأب ممتاز. ويقال عن تيتوس، أنه، في إحدى الأمسيات، قال: "لقد فقدت يوما! لأنه مر دون أن أؤدي أية خدمة لأحد."

مقولة أخرى لتيتوس هي: "لأنني لم أفعل شيئا يستحق اللوم، لست بحاجة إلى الخوف من أن يلومني أحد". لكن أعظم أفعاله، وأكثرها جدارة، هي قدرته على التحكم في النفس، وإنكار الذات.

كان تيتوس يحب منذ فترة طويلة امرأة جميلة وبارعة، اسمها بيرنيس، شقيقة أجريبيا، ملك يهودا. بادلته بيرنيس الحب أيضا. لكن وجد تيتوس أن الرومان غير راغبين في اتمام الزواج.

بالرغم من دموعها وتوسلاتها، وبالرغم من ولعه وتعلقه بها، إلا أنه فضل الصالح العام، وحرم نفسه منها كزوجة. عندما أخذ تيتوس هذا القرار، كان صاحب السيادة العليا، ولم يكن لديه سوى ضميره يحكمه.

(22)

نيرفا

عندما كانت روما تغرق في الترف والزهو والغرور، كانت البلاد التي تتبعها، تحاول النهوض من تخلفها وجهلها. كانت بريطانيا وألمانيا والغال تتقدم بشكل ملحوظ في التعليم والثقافة وعناصر الحضارة الأخرى من علوم وفنون وآداب. إلا أنها في طورها الابتدائي، وجلها منقول عن الرومان.

لقد استفادت البلدان المتخلفة التي غزاها الرومان، بقدر استفادة الرومان من هذه البلاد بما فرضته من جزية وسلطة. وقد بذلت بعض هذه البلدان جهودا كبيرة لاستعادة حريتها. بالرغم من فشل هذه الجهود، إلا أنها أيقظت روح هذه الأمم الوطنية، وأزكت وحدتها. ومن خلال تعلمهم فن الحرب بالاحتكاك والممارسة، تم تحريرهم في نهاية المطاف.

أخذ دوميتيان لقب الجرمانيكوس، لأن أحد جنرالاته أخضع ثورة الألمان. على الرغم من أنه لم يكن هو نفسه قد رأى العدو. لقد سار فقط بجيشه من روما، ثم رجع إليها. وهذا كل ما فعله.



نيرفا

بعد مقتل دوميتيان، اختار مجلس الشيوخ نيرفا إمبراطورا لهم. كان نيرفا رجلا عجوزا، لكنه كان فاضلا. تصرفه كان لطيفا جدا، بالمقارنة بأي روماني في ذلك الوقت.

لقد رأينا الرومان قد أصبحوا يعيشون في رغد، ويحيون حياة كلها رفاهية. لذلك، هم بحاجة إلى ضبط النفس وجدية أكثر. بدون حزم، لا يمكن أن يكون هناك فضيلة. فمثلا، العدل بدون قوة تفرضه، ليس عدلا. والحاكم الصالح الضعيف، لا ينفع أحدا.

هذا ما حدث مع نيرفا. فقد كانت لديه أفضل النوايا، إلا أنه لم يقدم شيئا يذكر لبلده. ثم توفي من الحمى، بعد فترة حكم قصيرة، أكثر قليلا من اثني عشر شهرا.

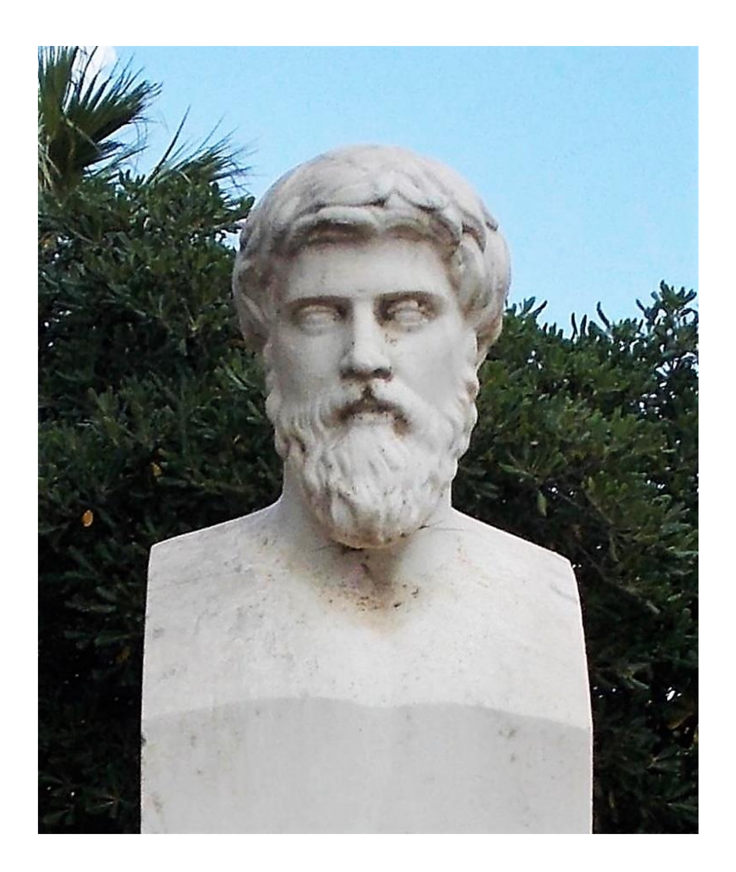
تراجان



تراجان

اختار نيرفا تراجان لخلافته. ربما كان هذا الاختيار هو الحسنة الوحيدة التي عملها لخدمة بلده. تراجان كان جنرالا عظيما. حكيم مهاب، جيد كرجل. غزا العديد من الدول الأجنبية. ومع ذلك، عند عودته إلى روما، دخلها دون أبهة أو ضوضاء. مما جعله يحظى بإعجاب وحب الجميع. في البلدان التي غزاها، لم يفرض جزية أو يقم بتدميرها. فهو لم يكن يبحث عن السعادة من خلال إظهار سلطته وجبروته.

بلوتارخ



بلوتارخ

بلوتارخ، كاتب السير الذاتية الساحر، الذي كتب الكثير عن تاريخ الرجال العظماء، كان معلم تراجان. كان بلوتارخ فيلسوفا يونانيا، ولا يكبر تلميذه بكثير. يذكر بلوتارخ، أن تراجان، لم يعاقب أي شخص، عندما يكون غاضبا أو تحت تأثير عاطفة ما. لأن هذا يعني أن حكمه لن يكون حكيما أو عادلا.

قال ذات مرة لعبد له، استفزه كثيرا، "لن أعاقبك الآن، لأنني غاضب". عندما أصبح تراجان إمبراطورا، كتب له بلوتارخ رسالة مبهجة، يمكن أن نجدها في سيرة بلوتارخ، عن الرجال المشهورين.

العديد من الحكايات المثيرة للاهتمام والمسجلة عن تراجان، هناك واحدة تدل بشكل خاص على طريقة تفكيره الليبرالية. قال وهو يعطي سيفا لضابط: "إن كنت تراني على حق، استخدم هذا السيف في مؤازرتي، وإذا كنت تراني سيئا، استخدم هذا السيف في تقويمي"

بنى تراجان جسرا عبر نهر الدانوب. كان لديه سفراء من الهند لتهنئته. أظهر ثقته في صديقه سورا، تماما كما أظهر الإسكندر ثقته في طبيبه فيليب. القصة كاملة نجدها في تاريخ روما ل جولد سميث.

هذا القائد العظيم، قد أظهر رجاحة العقل عندما تقترن بجلال السلطة. فقد أسر الدوسكان الجنرال الروماني لونجينوس، وقال ملكهم ديسيبالوس، إنه سيقتل أسيره إن لم يوافق تراجان على شروط السلام.

رد تراجان قائلا، إن حياة الفرد يجب ألا تقف حائلا في طريق رفاهية شعب بأكمله، ورفض المعاهدة المطلوبة. فقام لونجينوس بقتل نفسه، حتى لا يكون سببا للنزاع.

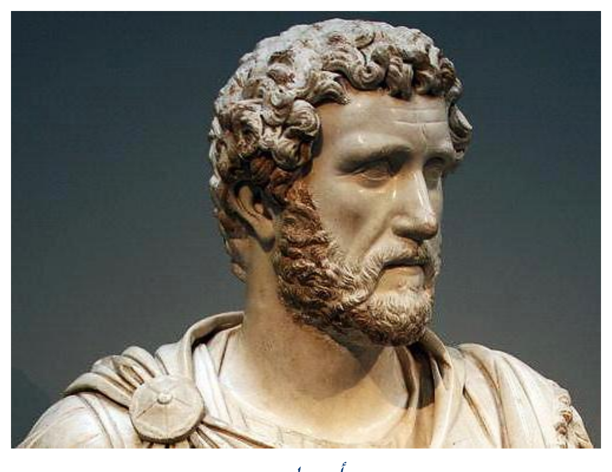
في البداية كان تراجان يضطهد المسيحيين. لكنه بعد أن علم بالسلوك الهادئ والفاضل للمسيحيين، أوقف هذه الاضطهادات. ثم قام اليهود مرة أخرى بالتمرد، ومات الآلاف منهم في جزيرة قبرص، وغيرها من الأماكن التي كانوا يقيمون فيها. وسرعان ما تم إخماد الثورة.

قام تراجان بالعديد من الفتوحات، ولكن ليس بسببها نال شهرته. الرومان يكرمون ذكراه، لأنه، خلال ما يقرب من عشرين عاما، كان يعمل على

ازدهار بلده، ويمارس كل ما فيه الخير لشعبه. توفي في مدينة سلوقية على نهر دجلة، عام 117 م. المدائن أسست على أنقاض سلوقية.

ادريان

أدريان الإمبراطور القادم، كان ابن شقيق تراجان، من عائلة إسبانية. عندما اعتلى العرش، كانت الإمبراطورية الرومانية، في قمة مجدها وقوتها.



أدريان

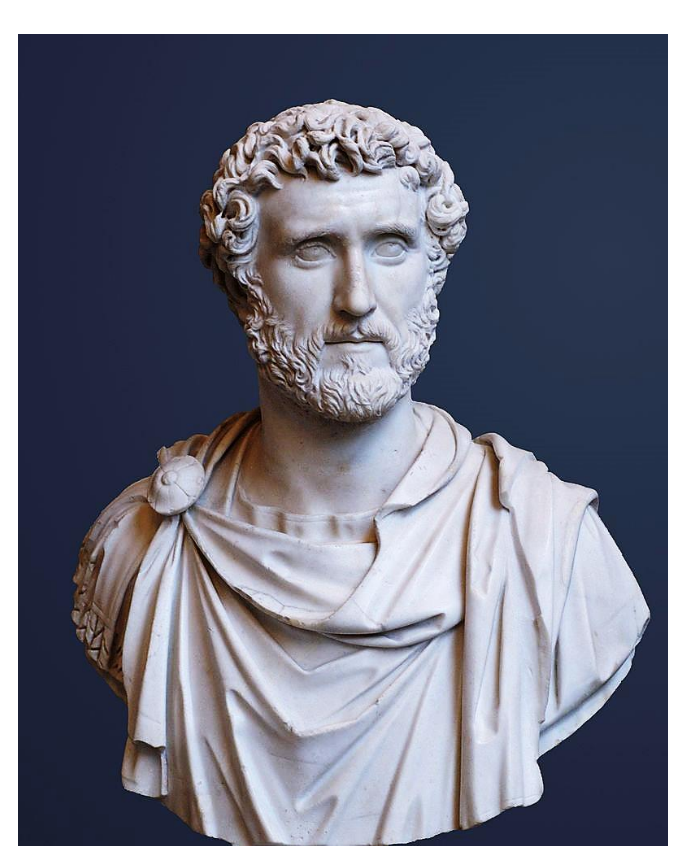
كان أدريان شجاعا، متعلما، ودودا، وله إنجازات. كان يعتقد أن الإمبراطورية الرومانية كبيرة جدا أكثر من اللازم. لذلك، تخلى عن جزء من فتوحات تراجان. زار ألمانيا والغال وهولندا وبريطانيا وإسبانيا. أقام جدارا قويا من الطين والألواح الخشبية، بين إنجلترا واسكتلندا، عبر الجزيرة، لمنع البرابرة الشماليين الآخرين من إزعاج البريطانيين.

ذهب إلى أثينا، حيث أقام لفترة طويلة، وتم اختياره رئيسا لتلك المدينة الشهيرة. ثم عبر إلى أفريقيا، وأعاد بناء قرطاجة، تحت اسم أدريانوبل، نسبة إلى اسمه.

خفف من اضطهاد المسيحيين. لكن اليهود ثاروا على المسيحيين والرومان في يهودا، وقتلوا أعدادا منهم كبيرة. فقام الرومان بالانتقام بذبح ما يقرب من 600 ألف يهودي. وهو عمل بربري شنيع. توفي أدريان، بعد مرض عضال، في السنة الثانية والعشرين من حكمه، عام 138 م.

عصر الأنطونيين

عصر الأنطونيين، هي الفترة التي حكم فيها إمبراطوران فاضلان، اتسمت بالسلام والسعادة في كل أنحاء العالم. الرومان كانوا يسيطرون على كل بلاد العالم تقريبا في ذلك الوقت، فيما عدا بلاد فارس والهند والصين. سلوك حكامهم، له تأثير مباشر على كل الدول الأخرى.



أنطونيوس

أنطونيوس، ولقبه التقي، من صلاحه وأخلاقه غير العادية، اختاره أدريان لخلافته. حمى المسيحيين، وأعلن حرية التدين، وعدم السماح بمضايقة أي طائفة بسبب دينها.

كان كريما لدرجة أنه، لتخفيف العبء عن الفقراء، تخلى حتى عن ممتلكاته الخاصة. كان يعتقد أن الشخصية العامة، لا ينبغي أن يكون لها مصالح أو ممتلكات خاصة. كان معتدلا، لكنه كان حازما. كان أنيقا، ولكن بدون ترف أو ابتذال.

لقد توسعت الامبراطورية الرومانية وشملت الآن جزءا كبيرا من أوروبا وجزءا كبيرا من آسيا وأفريقيا. الواقع أن الصينيين عاشوا دون إزعاج، إلا بسبب المشاكل المحلية، كانوا في هذا الوقت في حالة حضارية عالية.



سور الصين العظيم

الأمراء الصغار كانوا يتشاجرون أحيانا فيما بينهم، لكنهم لم يغزوا الدول الأجنبية أبدا. ولا الدول الأجنبية كانت تغزوهم. التتار، أو الترتار، جيرانهم، كانوا خصومهم الوحيدين. ولكي يبقوهم خارج الصين، تم استخدام

طريقة دفاع قديمة. بناء سور مرتفع. بالرغم من أن السور قد بني جزئيا في فترة سابقة، إلا أنه لم يكتمل حتى عام 214 ق م.

تاريخ الصين قديم جدا. الأمراء أو الملوك كانوا يحكمون، في وقت مبكر، إمارات صغيرة، نيابة عن إمبراطور واحد عظيم.

ذكر البعض أن لعبة الشطرنج من اختراع الصين، وذلك في القرن العاشر قبل الميلاد. اخترعها جنرال صيني لتسلية قواته أثناء فترة راحة طويلة. لكن الروايات قد اختلفت في أصل اللعبة.



الشطرنج

بعضهم نسبها إلى القائد الإغريقي بالميداس، ومنهم من نسبها إلى الكلدانيين، بينما الأرجح، أنها اختراع هندي من شخص يدعى شانو نانا في القرن السادس ق. م. ثم انتشرت بعد ذلك إلى بلاد فارس وباقي دول العالم.

عندما كانت روما مزدهرة، تمتلك كل الدول الأوروبية، كان الصينيون متحضرين يمتلكون ثروات كبيرة، وأراضيهم تمتد إلى أجزاء كبيرة من آسيا.

كان شعب الهند أيضا، في هذا الوقت، شعب رائع، من أصول عريقة. في الماضي، غزا سيزوستريس جزءا من الهند، والإسكندر الأكبر زار أيضا شواطئ نهر الجانج، وغزا بوروس، الملك الهندي.

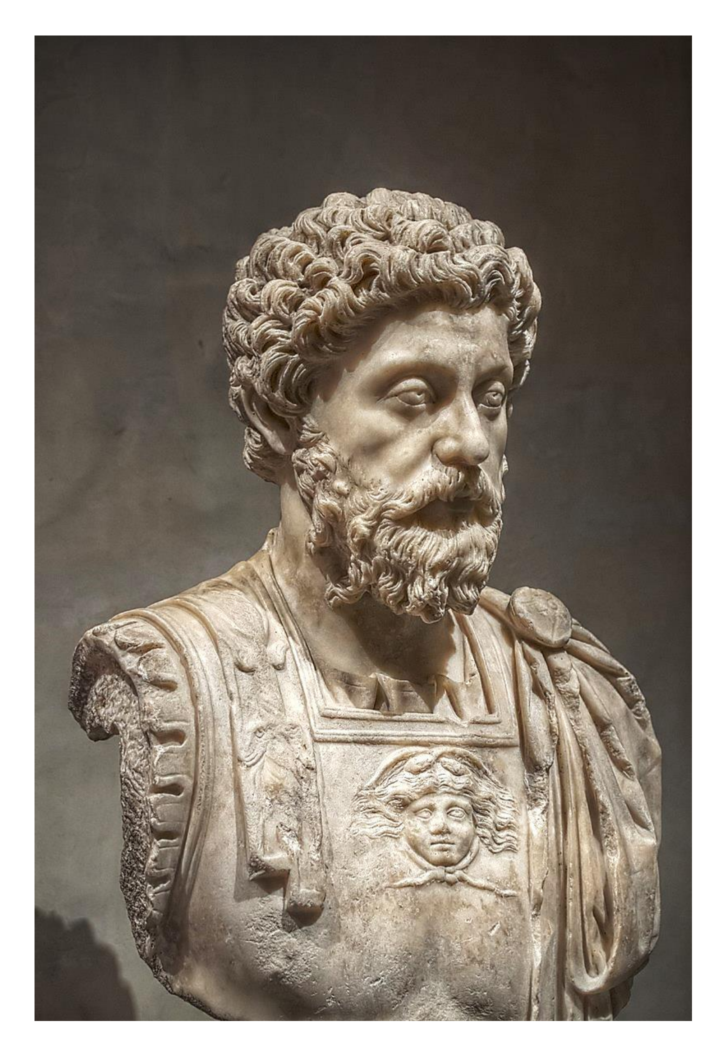
لكن هؤلاء الناس استمروا يحكمون بأمرائهم، ويتمتعون بقوانينهم وعاداتهم وأديانهم. وقد أرسل بعض أمرائهم، سفراء إلى روما، لتقديم التهاني إلى تراجان. وبالتالي، كانت الصين والهند متحضرتين في ذلك الوقت، بعكس معظم دول أوروبا.

والآن، نعود إلى أنطونيوس بيوس. كانت مقولته المفضلة: "أجد متعة أكثر في إنقاذ حياة مواطن واحد، من تدمير حياة ألف عدو". إن سلوك هؤلاء الأباطرة الرومان، الأكثر تميزا، يثبت بوضوح أن الملوك الطيبين يحبون السلام أفضل من الحرب، وأن الأمم تمتلك أكبر قدر من الراحة والفضيلة في فترة السلام.

الحرب قد تجلب الفتوحات والشهرة، ولكن نادرا ما تزيد من الازدهار الوطني. إن الحرب الدفاعية ضرورية ومشرفة. وهذا واجبنا لحماية حريتنا وحقوقنا. لأن القتال لمجرد الغزو والمجد، ليس ضروريا، ولا هو خيار الشرفاء، ولا من أصول الأخلاق الحميدة.

ماركوس أوريليوس

أنطونيوس، وفقا لتوصية أدريان، جعل ماركوس أوريليوس خليفته، وزوجه من ابنته الصغرى، فوستينا. توفي هذا الإمبراطور الطيب من الحمى عام 161 م، بعد 23 عاما من الحكم السلمي، عن عمر 75 عاما.



ماركوس أوريليوس

خلف ماركوس أوريليوس حماه في الحكم، وأخذ اسم أنطونيوس. شارك شقيقه لوسيوس فيروس في الحكم. لكن لوسيوس كان شخصية تجلب العار أينما يذهب. لحسن الحظ، توفي بعد فترة وجيزة، لكي ينفرد أوريليوس بالحكم، ويكون هو الامبراطور وحده.

كان متعلما ومثقفا إلى درجة عالية جدا، لذلك، كان يدعى في التاريخ أنطونيوس فيلوسوفوس، أي أنطونيوس الفيلسوف. كتب عملا بعنوان

"تأملات"، يحتوي على الكثير من النصائح الممتازة التي تصلح لكل إنسان وكل عصر.

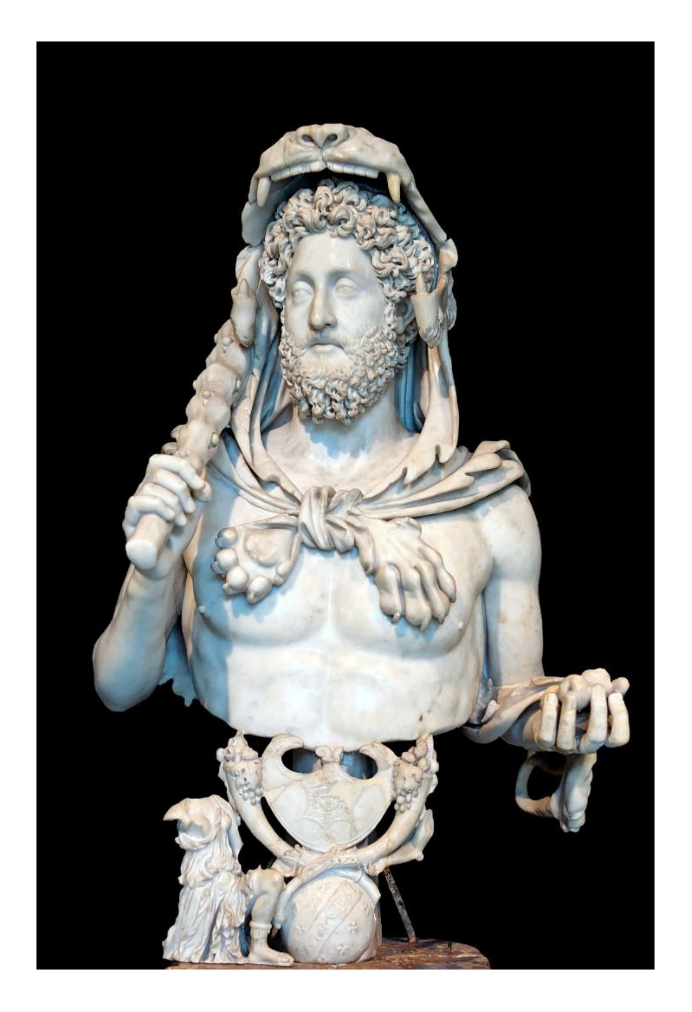
باع كل ما يملك من لوحات ومجوهرات لدفع نفقات بعثة حربية، بدلا من إجهاد رعاياه بضرائب جديدة. من أخطائه، إن كانت له أخطاء، هي تساهله بالنسبة لأخيه الشرير وزوجته الحمقاء، وتفاخره بعلمه.

من أخطائه أيضا، تسامحه الشديد. لقد كان يغفر أخطاء، في أوقات لا يجب أن تغفر فيها. لأنه من واجب الجميع، وخاصة الملوك والحكام، محاربة الرذيلة، بمعاقبة مقترفيها. وتعزيز الفضيلة، بمكافأة صاحبها.

سعى أفيدوس، وهو جنرال عند الإمبراطور، إلى إزاحته، لكي يصبح هو نفسه إمبراطورا. فأعلن أوريليوس أنه سيتخلى عن الإمبراطورية دون إراقة دماء، إذا كانت مصلحة شعبه تقتضي ذلك.

لكن تم قتل أفيدوس بأيدي ضباطه. عندما أُحضر رأسه إلى أوريليوس، أمر بدفنه بشكل لائق، وتصرف بتساهل كبير مع بقية المتمردين. عندما قال أحدهم، أفيدوس لم يكن ليتصرف برحمة، لو كان هو المنتصر. أجاب أوريليوس ببساطة، " لم أكن حاكما سيئا، أو مقصرا في حق الآلهة، لكي أخاف من أفيدوس عندما يعتلي الحكم".

أصيب أوريليوس بالطاعون في فيينا، وتوفي عام 180 م، في السنة التاسعة والخمسين من عمره، بعد عهد مجيد، وحكم دام 19 عاما.



كومودوس

خلفه ابنه كومودوس. الذي كان يجب أن يفهم أنه: "لا ثروة ترضي طاغية، ولا قوة تحميه". حكم هذا الظالم لم يدم طويلا. وكما يبدو، أن الحكام، لا يعرفون كيف يحكمون أنفسهم، قبل حكم رعاياهم.

لم يستفد كومودوس من علم وسلوك والده شيء. كان جاهلا ومحتقرا، بقدر ما كان شريرا وقاسيا. كان خائفا جدا، لدرجة أنه كان يحلق لنفسه، خشية أن يقوم الحلاق بقطع رقبته بالشفرة.

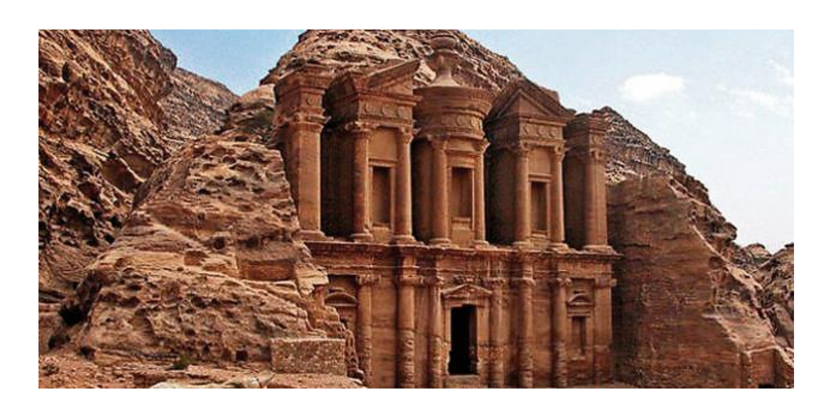
ومع ذلك قتل في سن الواحدة والثلاثين من عمره، عام 192 م. ربما، مشكلة كومودوس نشأت من اعتدال والده وتساهله مع ابنه. فالتربية السليمة، تتطلب الشدة والحزم في بعض الأحيان. ولا شيء يدمر مستقبل الأطفال مثل تدليلهم والتساهل معهم عندما يخطئون.

(23)

ساراسينس

بعد انتهاء عصر الأنطونيين، والذي بلغت فيه روما أوجها، اقتصاديا وثقافيا واجتماعيا، أخذت الأمور تسير في اتجاه الاضمحلال والسقوط تدريجيا.

كان كومودوس إمبراطورا عديم القيمة، تلاه العديد من الآخرين الذين لا قيمة لهم على حد سواء. حول هذا الوقت يتم ذكر الساراسينس لأول مرة.



البتراء جنوب الأردن

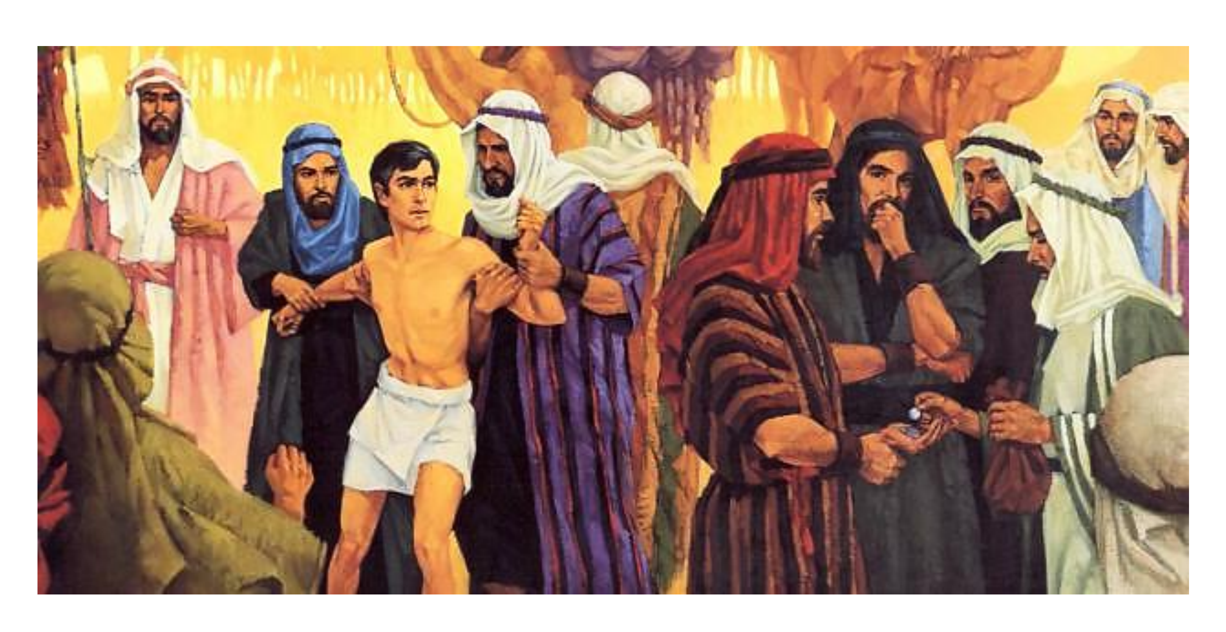
ساراسينس مصطلح استخدمه الرومان للإشارة إلى سكان الصحراء في إقليم البتراء الروماني جنوب الأردن، ثم أصبح يطلق على العرب في العموم. وفي العصور الوسطى وخلال الحروب الصليبية، كان يشمل كل من يدين بالإسلام.



هاجر وابنها اسماعيل

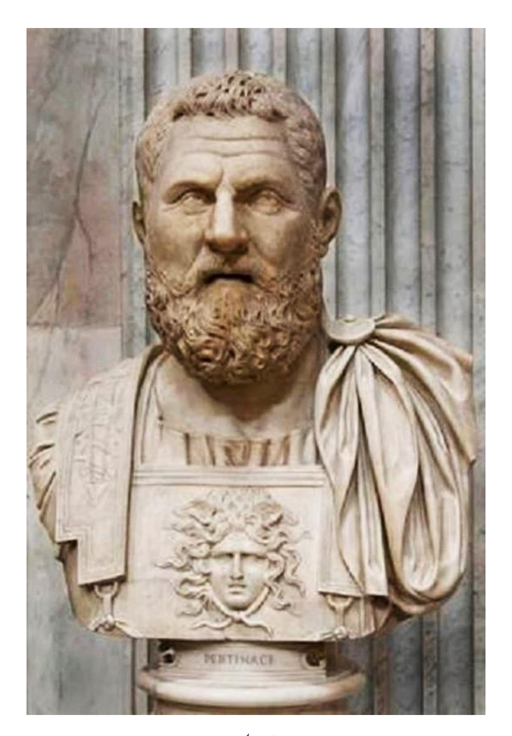
كما جاء في الكتاب المقدس، كان لدى إبراهيم، ابن يدعى إسماعيل. هو ووالدته هاجر، تم التخلص منهما بعيدا. ويوسف، تم بيعه من قبل إخوته

لبعض الإسماعيليين.



اخوة يوسف تبيعه لبعض الإسماعيليين

هؤلاء الإسماعيليون كانوا أحفاد إبراهيم، وكانوا هائمين في الصحراء. الإسماعيليون كان يطلق عليهم أيضا العرب. والعرب بصفة عامة، يطلق عليهم الغرب ساراسينس.



بيرتيناس

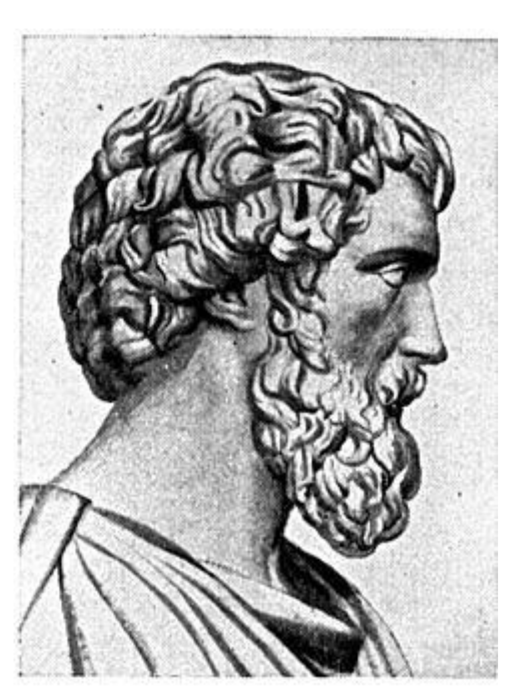
وضع الجنود بيرتيناكس، وهو رجل ذو أصل متواضع، على العرش، خلفا لكومودوس. تاريخ بيرتيناكس غريب. كان ابن عبد، وكان يمتلك حانوتا صغيرا ثم مدرسة. بعد ذلك درس القانون، بعد ذلك أصبح جنديا.

ثم صار قنصلا، كمكافأة على خدماته. ولكن تم نفيه من قبل كومودوس. وبعد استدعائه، تم إرساله إلى بريطانيا، وترك لكي يموت في ميدان المعركة.

مرة أخرى، في أفريقيا، كانت حياته في خطر وشيك. وتقاعد لدى عودته إلى روما، إلى أن أطلق الجنود النار عليه ليجبروه على أن يكون الامبراطور الجديد بالعافية.

إذا كان قد حدث كل هذا حقا، فإن حياة بيرتيناكس تصلح مادة لرواية طويلة مشوقة. يبدو أنه كان يتقلد مراتب تفوق قدراته، وسقط منها بسبب تدهور الامبراطورية الرومانية في ذلك الوقت. ففي غضون ثلاثة أشهر، نفس الأشخاص الذين رفعوه إلى السلطة، هم الذين تسببوا في وفاته.

لقد قتل عام 192 م. بعد موته، طرح الجنود الإمبراطورية الرومانية للبيع. هذا غريب جدا ولكن صحيح أيضا. وكان ديديوس جوليانوس أعلى مزايد في المزاد، وبالتالي أعلن أنه الإمبراطور. كان لا يستحق هذا الشرف الرفيع، وسرعان ما تم الإطاحة برأسه، بأمر من أعضاء مجلس الشيوخ.



ديديوس جوليانوس



سيفيروس

ثم انتخب سيفيروس، الإمبراطور الجديد، من قبل الجيش ومجلس الشيوخ، عام 193 م.

بيزنطة



بيزنطة

حاصر سيفيروس بيزنطة وأخذها، وقتل سكانها بقسوة. بنيت بيزنطة عدة قرون قبل المسيح. وهي مدينة يونانية قديمة كانت تقع على مضيق البسفور بتركيا. أسست عام 658ق م .وكانت في الماضي قرية للصيادين.


جدار سيفيروس

زار سيفيروس بريطانيا أيضا، وبنى جدارا حجريا للدفاع عن البريطانيين من اختراقات الكاليدونيين (قبائل فرنسية). يعبر هذا الجدار الجزيرة من المحيط الألماني إلى سولواي فريث، ولا يزال معروفا باسم "جدار سيفيروس". توفي سيفيروس في يورك، حزنا على سلوك ابنه الشرير كاراكلا، عام 211 م.

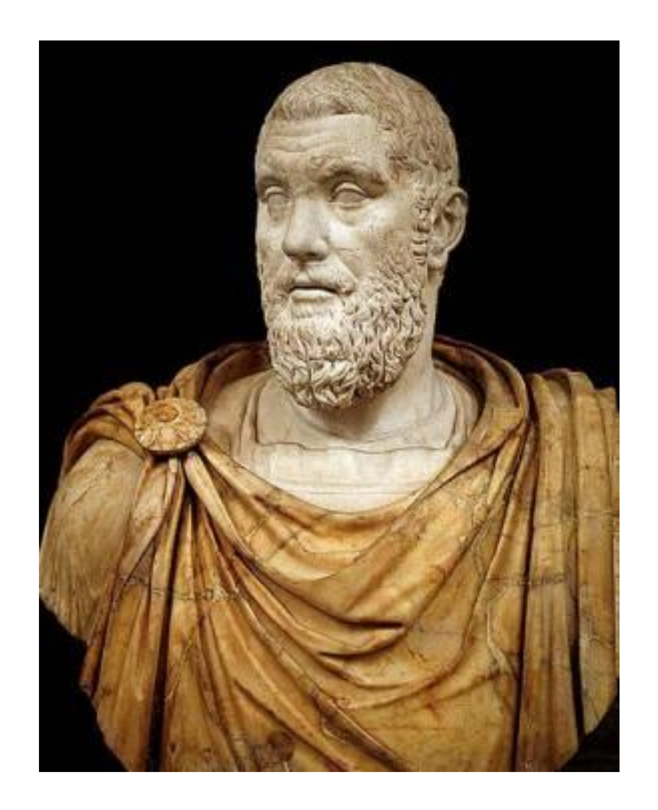
تم دخول الكاليدونيين في المسيحية في هذا الوقت تقريبا. وبالقرب من يورك، يُرى تلان يسميان "تلال سيفيروس". من المفترض أنهما أقيما على جثث الجنود الذين قتلوا في المعركة، أو كنصب تذكارية لشرف سيفيروس. ولأن البلاد المجاورة كونها مسطحة، فهذا يعني أن التلال عمل بشري، وليست من عمل الطبيعة.

كاراكلا



كاراكلا

خلف كاراكلا والده سيفيروس. قتل شقيقه الأصغر جيتا، وهو في حضن والدته. بعد ست سنوات سوداء من حكمه، طعنه جندي في ظهره، وتوفي بطريقة منحطة، تناسب حياته المنحطة التي عاشها، عام 217 م.



ماكرينوس

جاء بعد كاراكلا ماكرينوس. كان تافها عديم القيمة مثل كاراكلا. وقد قتل بعد فترة حكم أكثر من عام بقليل. ثم جاء الجنود ب هليجابالوس، فتى في الرابعة عشرة من عمره، كإمبراطور لهم. وهو مثل سابقيه، ضعيف وبائس ولا يصلح لشيء. فتم قتله أيضا على أيدي الجنود، في السنة الرابعة من حكمه، عام 222 م.

القوط



نهر أراكس في القوقاز

ننتقل الآن من التاريخ المقزز للرومان، إلى شعب يدعى القوط، وآخر يدعى الفاندال. القوط، هم قوم أتوا من الشمال وعبروا نهر أراكس في القوقاز، الذي يصب في بحر قزوين، واجتاحوا العديد من البلدان الأوروبية.



الفاندال من أصل جرماني يحتلون شمال أفريقيا

الفاندال

الفاندال، هم شعب جرماني (بربري)، كان يهاجم روما، وحارب الهون والقوط، وأسس مملكة في شمال أفريقيا ازدهرت لمدة قرن تقريبا حتى استسلمت لقوة غزو من الإمبراطورية البيزنطية في عام 534 م.

الهون

الهون، هم شعوب أخرى جاءت أصلا من مناطق التتار وسط آسيا وشرق أوروبا. لا يجب الخلط بين هؤلاء الناس مع "الكلت".

الكلت

الكلت يقال إنهم جاءوا من جوار البرانس، التي تفصل إسبانيا عن بلاد الغال. حوالي عام 500 ق م، قاد القوط الكلت إلى بلاد الغال، حيث وجدهم قيصر. قبائل الكلت هم جزء من الأراضي الاسكتلندية، أيرلندا، وويلز.

كان من الكلت فئة الدرويد، الذين كان معظمهم كهنة وحكام، وكانوا رجالا متعلمين جدا. كما أن اللغات بين القوط والكلت كانت مختلفة جدا.

بعد هذا العدد الكبير من الأباطرة السيئين، من المفرح أن نجد واحدا جيدا. كان الإسكندر، خليفة هليجابالوس، رجلا معتدلا ومعقولا. لكن الأمة الرومانية لم تعد قادرة على تقدير الكفاءات، أو الاستفادة بها. وهذا هو طبيعة الدول التي تعاني من الاضمحلال.

بالرغم من أن رئيسهم الامبراطور، قد حقق العديد من الانتصارات، وأصلح الكثير من الانتهاكات التي قام بها من سبقوه. وبالرغم من أنه كان معتدلا ولطيفا ومحترما، إلا أن الجنود قتلوه في السنة الثالثة عشرة من حكمه، عام 235 م.

لقد كان الإسكندر محظوظا، لأن أمه، مامو، كانت امرأة حكيمة وفاضلة. ربما كان مدينا لها بما اكتسبه منها من عادات كريمة، ساعدته في الحكم. لأنه كان في السادسة عشرة فقط من عمره عندما اعتلى العرش.

أما كومودوس، فأمه، فاوستينا، كانت شريرة، وأبوه كان متسامحا للغاية. وهذا يبين أهمية التربية والعناية التي يتلقاها الأولاد من آبائهم وأمهاتهم، وخصوصا إذا كانوا قريبين من السلطة.

كانت إحدى مقولات الإسكندر: "من يشترى السلطة، هو فقط الذي يحق له بيعها"، وبالتالي فإنه لن يسمح ببيع الأماكن والمكاتب.

ماكسيمينوس، الجنرال الذي حرض الجنود على قتل الإسكندر، تم تنصيبه لخلافته، عام 235 م. لقد كان مشهورا، لكن بماذا؟ بزيادة جرائمه وحجمه الهائل.

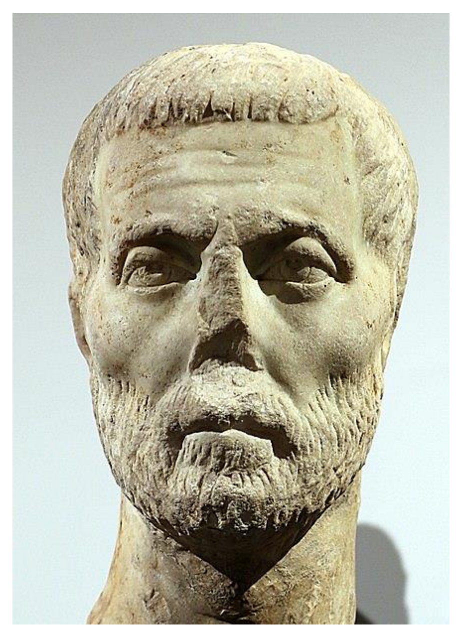


ماكسيمينوس

كان طوله ثمانية ونصف قدم. قوي لدرجة أنه كان يستطيع جر عربة، لا يستطيع جرها ثوران. يستطيع أن يأكل 40 رطل لحوم في اليوم. وأن يشرب 6 جالون نبيذ قبل أن يسكر. لكن لم يذكر له عمل جيد، أو قول مأثور. لقد قتله الجنود عام 238 م. من خلفه من الأباطرة، لا يستحقون الذكر، ويعتبرون مضيعة للوقت والجهد.

عندما أصبحت روما ضعيفة شريرة يدب فيها الفساد، بدأ البرابرة (غير الرومان)، في طلب حقوقهم، والتخلص من نير الغزاة. كانت القبائل الألمانية في كثير من الأحيان تثير القلاقل.

الغال والبريطانيون بين الحين والآخر يخرجون على حكامهم الرومان. وكان القوط، يغيرون في أسراب على بعض المقاطعات وأراضي هذه الإمبراطورية الشاسعة والمريضة.

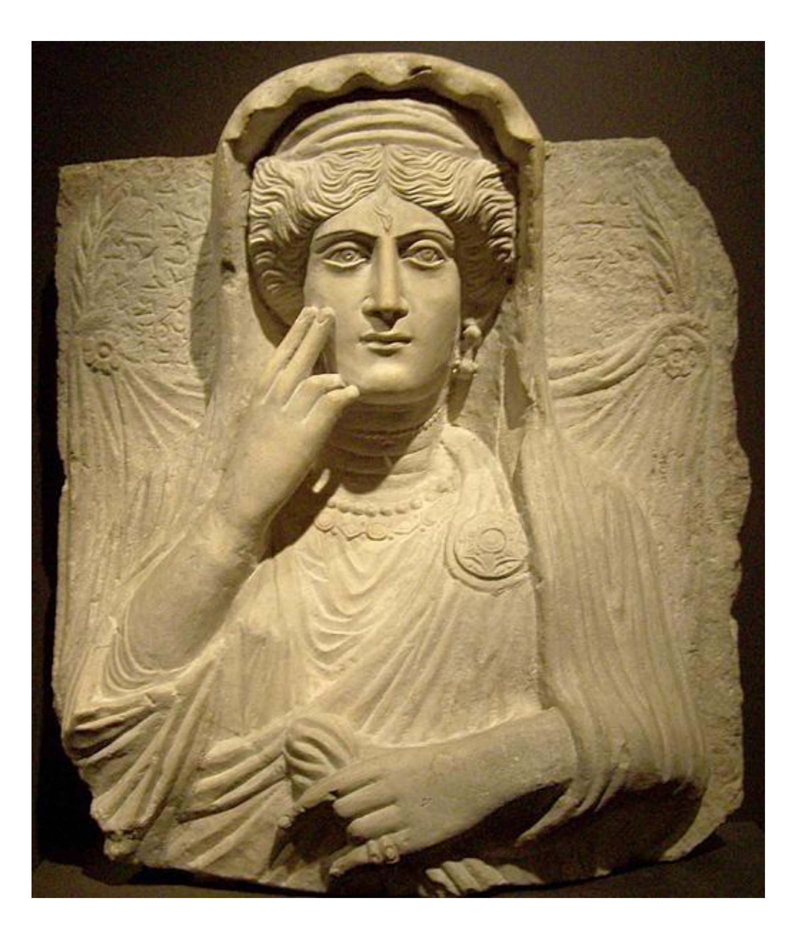


كلوديوس الثاني

كلوديوس الثاني. إمبراطور شجاع وفاضل، قاوم بنجاح هؤلاء البرابرة. كانوا قد دمروا مقدونيا واليونان، ودمروا جزءا كبيرا من أثينا. وبما أن الرومان كانوا مشغولين أكثر بالحروب وتحضير الجيوش، لم يكن لديهم الوقت للأعمال الفنية. لذلك لجأوا إلى أثينا للحصول على ما ينقصهم.

لكن القوط، لم يكن لديهم أي احترام للتعلم والتذوق الفني. لذلك أهملوا كثيرا الثقافة، ولم يعتنوا بالكتب والتماثيل واللوحات الفنية. لهذا السبب، وإلى يومنا هذا، يوصف الأشخاص الوقحون غير المثقفين والجهلة، بأنهم قوط، ويوصف المخربون بأنهم فاندال.

زنوبيا



زنوبيا

كانت زنوبيا، ملكة تدمر، التي تسمى أحيانا ملكة الشرق، امرأة ذات روح وعزم فريدين. كانت تدمر مدينة رائعة في سوريا، وأطلالها التي لاتزال موجودة، دليلا على عظمة حالتها الأصلية.

زنوبيا، بعد العديد من الأعمال العظيمة، قام الإمبراطور أورليان بغزو مدينتها، تدمر، وضمها إلى سلطته. وبعد أسر الملكة العظيمة، سمح لها بالعيش في راحة وخصوصية.

أورليان

في هذا الوقت، اتحدت العديد من القبائل الصغيرة في ألمانيا، تحت اسم فرانكس. بدأوا يقاومون الرومان ويحققون نجاحات. ثم قاموا بغزو الغال وأعطوها اسم فرنسا.

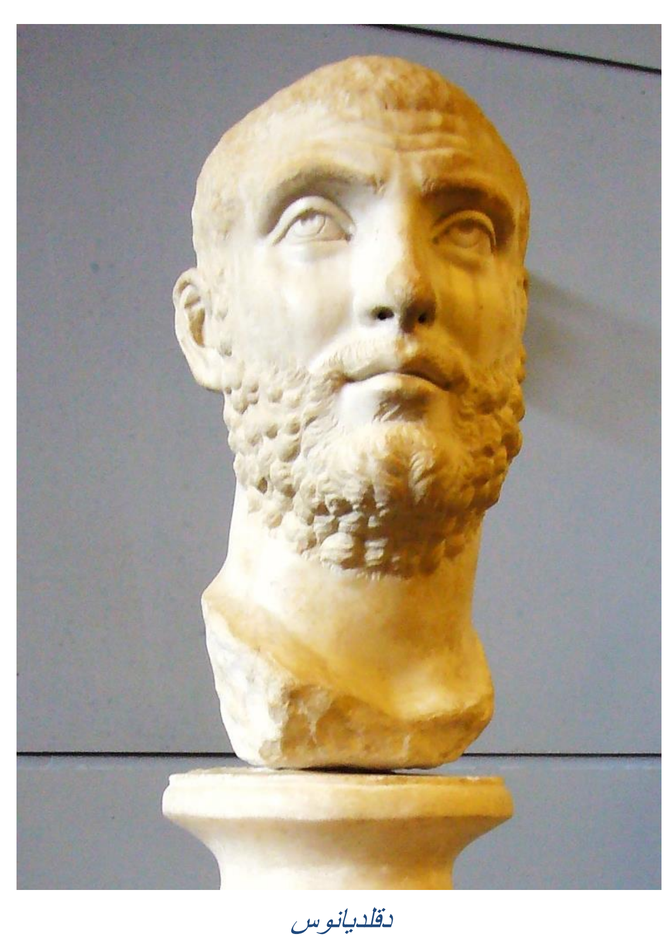
قبل أن يصبح دقلديانوس إمبراطورا لروما مباشرة، كان الرومان قد أرسلوا سفارة إلى الصين، التي كانت آنذاك إمبراطورية واسعة ومزدهرة. ولكن بالرغم من أن الرومان لم يفتر عزمهم ويقل طموحهم، بات من الواضح أن قوتهم في تراجع مستمر. اهتزت الآن كثيرا بسبب نجاح هجمات الأمم البربرية، وثورات الشعوب والمقاطعات الفرعية.

في هذا الوقت، مات فينجال ملك مورفين. هناك بعض القصائد الرائعة التي تصف أعماله. تسمى قصائد أوسيان. لكن مؤلفها الحقيقي هو ماكفيرسون.

الساحل الشمالي الشرقي من اسكتلندا، كان يسمى قديما مورفين. مورفين يطلق على سلسلة من التلال العالية. وكاراكول المذكور في هذه القصائد، هو نفسه كاراكالا، ابن سيفيروس، السابق ذكره.

(24)

دقلديانوس


دقلديانوس

الآن نأتي إلى عام 284 ميلادية، عندما تم اختيار دقلديانوس إمبراطورا لروما.

نلاحظ ثلاثة أشياء: أولا، بالرغم من الاضطهاد، كان الدين المسيحي ينتشر بسرعة. ثانيا، أن الإمبراطورية الرومانية، بعد أن أصبحت شاسعة جدا، ولا يمكن السيطرة عليها بحكومة واحدة، أصبحت تضعف وتتناقص يوما بعد يوم. ثالثا، أن ممالك أوروبا العديدة، كانت تتقدم حضاريا وسياسيا كل يوم.

لقد رأينا أن الصين والهند حققتا درجة عالية من الحضارة في وقت مبكر جدا. وكانت مصر متقدمة جدا أيضا. ثم جاءت بعد ذلك اليونان، وأخيرا روما.

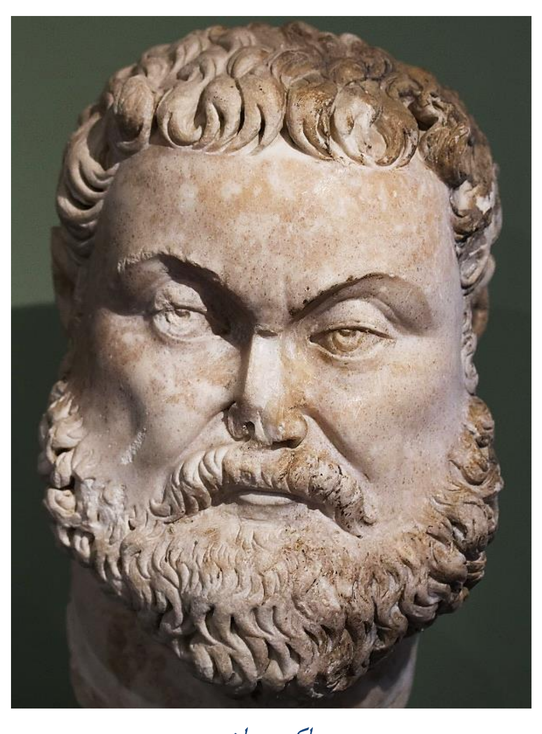
من إيطاليا، بدأت المعرفة والتهذيب ينتشران في أوروبا. وفي العصر الحديث، انتقلا إلى أمريكا. ضوء العقل، مثل ضوء الشمس، يشرق من الشرق، ثم ينتقل إلى الغرب.



الشمس تشرق من الشرق

عندما وجد دقلديانوس، أن الإمبراطورية كبيرة جدا كي يحكمها بنفسه، اختار ماكسيميان كشريك له في السلطة. عاش هذان الصديقان معا وديا جدا، وحكما باقتدار الإمبراطورية الرومانية، ودافعا عنها بشجاعة ضد أعدائها العديدين.

بعد بضع سنوات من الحكم الرشيد، تنازل كل منهما عن الحكم عام 304 م. تقاعد دقلديانوس، وتفرغ لزراعة حديقته. ويعترف أنه كان أكثر سعادة، عندما كان يعتني بزهوره وأشجاره، منه وهو في قمة السلطة.



ماكسيميان

ماكسيميان، الذي كان أقل حكمة وروية من صديقه، سعى لكي يعود للسلطة. لكن بعد اضطرابات ومشاحنات وحروب، اضطر لقتل نفسه، بأمر من الذين أسروه. بعد تنازل دقلديانوس ومكسيميان، أصبح قسطنطيوس وجاليريوس، النائبان، أباطرة مشتركين في الحكم.

جاء قسطنطيوس الأول إلى بريطانيا، وأقام في يورك. في تلك المدينة الجميلة أصيب بالمرض. مات هناك عام 306 م، وكان ابنه قسطنطين هو خليفته.

حاول جاليريوس وآخرون منع قسطنطين من السلطة. لكن، يموت جاليريوس قريبا من مرض عضال. في غضون أشهر قليلة، بسبب صفاته الحميدة وأعماله المجيدة، نجح في جعل نفسه إمبراطور روما الوحيد، وأصبح يعرف ب "قسطنطين العظيم".

قسطنطين العظيم



قسطنطين العظيم

عندما كان دقلديانوس على العرش، نصب كاراوسيوس، ضابط البحرية النشط، نفسه حاكما لبريطانيا، وحكم هناك بكفاءة كبيرة لمدة سبع سنوات تقريبا، إلى أن قتله صديقه الخسيس أليكتوس، لكي يحل محله، عام 293 م.

لكن قسطنطين، غزا وقتل المغتصب أليكتوس عام 296، ورحب به البريطانيون كصديق. لأنه أنقذ لندن من نهب الغال



أليكتوس

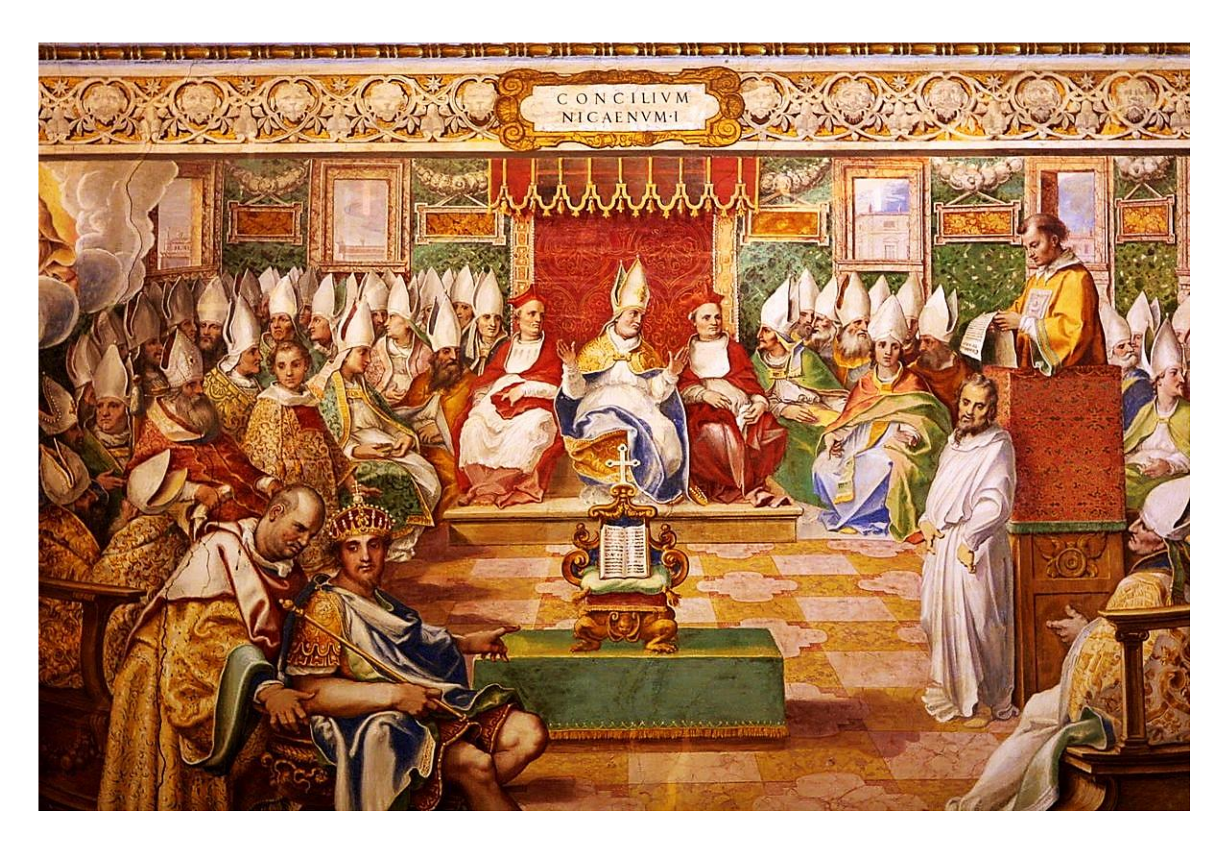
والساكسونيين، الذين كانوا في خدمة أليكتوس.

بريطانيا لديها الآن أسطولا ومدنا. فقد بنيت مدينتي يورك ولندن، وربما العديد من المدن الأخرى. ثم بدأ السكان الأصليون في تعلم فنون الحياة من الرومان الفاتحين. لقد تعلموا صنع النبيذ عام 273 م.

قسطنطين العظيم يستحق بابا خاصا به وحده. لقد أبدى في وقت مبكر اهتماما بالدين المسيحي. وعندما أصبح إمبراطورا، منع اضطهاد المسيحيين.

لقد جاهر باعتناق المسيحية، وأوصى رعاياه باعتناقها، دون اضطهاد الدين القديم أو منعه. ثم دعم المصالح المسيحية، ودعا إلى جمعية من الأساقفة وغيرهم من رجال الكنيسة، للمساعدة في تأسيس الدين المسيحي في شكل متميز.

هذا ما يعرف بمجمع نيقية عام 325 م، نسبة إلى مدينة نيقية في آسيا الصغرى. حضر الافتتاح الامبراطور قسطنطين بنفسه، وكان عدد الحضور يتراوح بين 250 و318 عضوا، معظمهم أساقفة من الشرق. وذلك لدراسة الخلافات في كنيسة الاسكندرية حول طبيعة المسيح. هل هي طبيعة الرب أم طبيعة البشر. وكان العلامة أوريجانوس من مصر حاضرا. هنا انقسمت الكنيسة إلى أرثوذكس وكاثوليك.



مجمع نيقية الأول، بحضور قسطنطين

القديس بطرس هو أول بابا لروما، بالرغم من أنه، لم يقم بزيارة المدينة. ومع ذلك فإن جميع الباباوات يسمون أنفسهم خلفاء القديس بطرس. أسقف روما، عندما تولى منصب البابا، اعتبر نفسه هو رئيس الكنيسة، ثم مارس نفوذه وسلطته كاملتين.

قسطنطين، بعد أن أنهى حروبه الخارجية، كرس جهده لحكم الإمبراطورية الرومانية بحكمة وعقلانية لمدة أربعة عشر عاما من السلام دون عائق. حياته العامة كانت مزدهرة، لكن حياته الخاصة كانت مظلمة مليئة بالأحزان.

أثبت قدرة كبيرة على الإدارة، وكانت البلاد مزدهرة تحت حكمه. لكن حياته الخاصة، كانت كئيبة، إن لم تكن ملطخة بالجريمة.

ابنه كريسيوس، من زوجته الأولى مينيرفينا، وهو شاب واعد غير عادي. شجاع، ومؤدب ومطيع، تم إعدامه، وهو في زهرة شبابه، بأمر من والده. التفسير الأكثر احتمالا، هو ما يلي:

زوجة قسطنطين الثانية، فاوستا، كان لديها العديد من الأطفال. ربما رغبة منها في تأمين الخلافة لأبنائها، أغضبت زوجها بأكاذيب اختلقتها ضد ابن زوجها، كريسيوس. ويبدو أن قسطنطين قد اكتشف، لكن بعد فوات الأوان، الظلم الذي اقترفه ضد ابنه، وكان يعرب دائما عن أسفه بمرارة، لتسرعه وقسوته.

كان الشعب الروماني غاضبا من قتل كريسيوس، المحبوب لديهم. وكانوا يرددون بصوت عال تأوهات وزفرات تنم عن عدم ارتياحهم وغضبهم لهذا الفعل الشنيع.

لم يعد قسطنطين مرتاحا في أي مكان يذكره بابنه الغائب، وهربا من الشكاوى المكبوتة وزفرات الغضب التي تصدر من صدور رعيته، أعاد نقل مقر الإمبراطورية الرومانية إلى بيزنطة، وأقام هناك مدينة رائعة، أطلق عليها اسم القسطنطينية. ثم نقل إليها البلاط والحاشية. وبالتالي زادت المدينة الجديدة اتساعا وجمالا.



القسطنطينية

ويعتقد أن نقل العاصمة إلى القسطنطينية، قد سبب سكتة دماغية عجلت بسقوط الامبراطورية الرومانية. تسببت في فقد روما، ملكة المدائن، للقبها. وبدأت الامبراطورية الرومانية تهتز وتترنح من الأساس. لقد هجر قسطنطين روما الشهيرة، وذهب إلى القسطنطينية عام 329 م.

استغل القوط على الفور هذه الأحداث، وهرعوا يهاجمون المقاطعات الرومانية. ولم يتم دفعهم إلى الوراء، إلا بعد أن دمروا وضيعوا مساحة كبيرة من البلاد. القوط، هم قبائل جرمانية شرقية، قدموا من إسكندنافيا إلى وسط وجنوب شرق أوروبا.

قسم الإمبراطور قسطنطين إمبراطوريته الهائلة بين أبنائه الثلاثة. وقد ساهم هذا التقسيم أيضا في الإسراع باضمحلال الإمبراطورية الرومانية أكثر وأكثر.



نيقية

بدأ قسطنطين يعاني من مرض عضال، سرعان ما أنهى حياته. لذلك أدلى بآخر شهادة له، وتم تعميده في نيقية، في آسيا الصغرى. بعد فترة وجيزة، تلقى القربان المقدس، ومات في سن متقدمة، بعد عهد مجيد، استمر 31 عاما، عام 337 م.

في هذه الحقبة، كان الناس يتميزون بما يشغلون من رتب، ويملكون من ثروات، ولا وزن للفضيلة والموهبة. لكن، تم بناء طرق ممتازة، وتحسنت وسائل المواصلات.

كانت تستخدم وسائل التعذيب لإجبار المجرمين على الاعتراف. كما تم فرض العديد من الضرائب على البضائع والمصنوعات، من قبل السلطة الوحيدة في البلاد، وهي سلطة الإمبراطور.

كانت هذه روما في زمن قسطنطين العظيم.

عوملت جثة قسطنطين العظيم بعد وفاته، لوقت طويل، بنفس القدر من الاحترام والاهتمام، كما لو أن الإمبراطور لا يزال على قيد الحياة. كانت الحاشية تنحني أمام جثته احتراما. من ثم قيل إن قسطنطين استمر في الحكم حتى بعد وفاته.



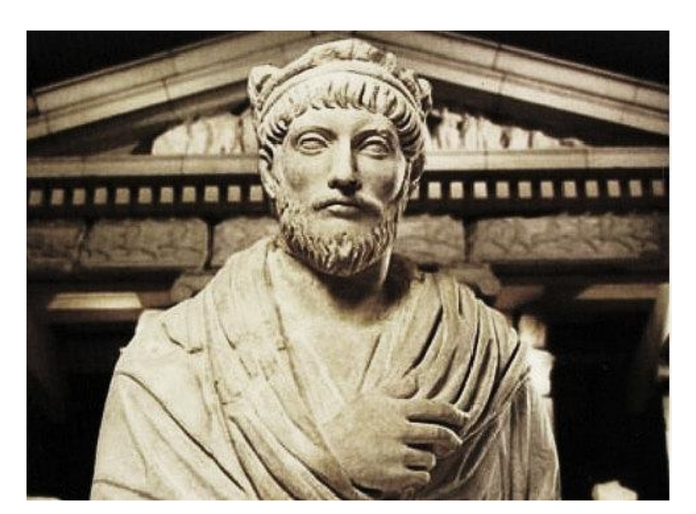
قسطنطيوس

لقد أوصى بأن يكون أبناؤه الثلاثة وابنا أخيه خلفاء له. لكن قسطنطيوس الثاني، أصغر الإخوة الثلاثة، قام بالتخلص من منافسيه، وبالتالي أصبح هو الإمبراطور الوحيد.

سابور، ملك الجزء الشرقي من بلاد فارس، اشتبك مع الرومان في العديد من المعارك في ذلك الوقت. وطاردهم حتى سنجارا، في شمال العراق. إلا أن ابن سابور وقع أسيرا في يد قسطنطيوس، وتم قتله بدم بارد. ثم توفى قسطنطيوس من الحمى في بلدة صغيرة بالقرب من طرسوس، عام 361 م.

جوليان

جوليان، ابن شقيق قسطنطين الأصغر، كان قد نصبه الجيش إمبراطورا. وبعد وفاة ابن عمه قسطنطيوس، أسرع إلى القسطنطينية، وتم الاعتراف به إمبراطورا على البلاد.



جوليان

كان جوليان قد تلقى تعليما جيدا في أثينا. لقد أرسله إلى هناك قسطنطيوس بدافع الغيرة لإبعاده. وكان قد سبق أن اعتقله من قبل، وعمل على التخلص من جميع أفراد أسرته. إلا أنه وثق فيه بعد ذلك، وعهد إليه بقيادة الجيش، وكان كفؤا لهذ المنصب.

حافظ على بلاد الغال وحماها من الوقوع في أيدي البرابرة (القبائل الجرمانية)، وقضى بعض الوقت في باريس. هذه المدينة الجميلة الآن كانت في ذلك الوقت مكانا صغيرا، بها جسران خشبيان على نهر السين. وغابة كبيرة على جانب واحد من النهر. أقيم بها قصر ومباني عامة لاستخدام الرومان. كان الغال شعبا شجاعا وبسيطا، وكان الاسم القديم لمدينتهم هو لوتيتيا أو لوتيشيا.

وكان جوليان قد تلقى تعليمه في الدين المسيحي. ولكن، بمجرد أن أصبح إمبراطورا، أعلن أنه ضد هذا الدين، وعمل على استعادة الديانات الوثنية السابقة. من ثم يطلق عليه "جوليان المرتد".

لقد حاول بعدة طرق، في السر والعلانية، تقويض المسيحية. لكنه كان يرغب في نفس الوقت، في الحفاظ على الأخلاق النقية والروح السمحة التي تنادي بها المسيحية.

كان جوليان هو أكثر الرجال نشاطا في إمبراطوريته. كان ينهض مبكرا ويتأخر في النوم. يسارع بوجباته البسيطة. يقول إنه يستخدم يده في الكتابة، وأذنه في الاستماع، وصوته للإملاء، في نفس الوقت.

كان لديه العديد من المساعدين، يتعاقبون واحد تلو الآخر، في حين يبقى هو دون راحة. كان نباتيا يعيش عموما على الخضروات، ويعتبر متعة الأكل والشرب ليست من أولوياته.

يعتقد أن كل لحظة لا تستخدم لصالح شعبه، أو لتحسين عقله، هي لحظة ضائعة. كان معجبا بالثقافة اليونانية، وصديقا لليونان. أعاد مدنها إلى الحرية والازدهار نسبيا.

الميزة الرئيسية لجوليان كانت تطبيقه لما يعتقد أنه صواب وحق. لأن أفضل الصفات لا قيمة لها، إن لم يصاحبها التطبيق. حتى المواهب المتواضعة، في حالة التطبيق، تؤدي إلى الشهرة والنجاح.

العديد من المسيحيين من أماكن بعيدة، كانوا يودون السفر إلى القدس. حتى يروا قبر المسيح. إنهم حجاج بيت المقدس. وكانت هذه الرحلات، أو رحلات الحج، تعتبر ضرورية ومناسبة للمسيحيين.

الروح العسكرية لجوليان حثته باستمرار على الحرب. في اشتباك مع الفرس، أصيب بجروح قاتلة. حاول سحب الرمح الذي اخترق جانبه، لكنه أغمي عليه في المحاولة. وعندما عاد إلى رشده، كانت أولى كلماته هي السؤال عن سلاحه وحصانه، حتى يعود إلى القتال.

لكن، عندما شعر بضعفه، كرس ساعاته الأخيرة للمحادثة مع أصدقائه. حوالي منتصف الليل، طلب شربة ماء بارد، وبعد ذلك، توفي عام 363 م. عن عمر الثانية والثلاثين، وبعد فترة حكم قصيرة قدرها ثلاث سنوات.

(25)

جوفيان



جوفيان

بعد وفاة جوليان، نصب الجنود جوفيان، رئيس الحرس، إمبراطورهم الجديد. سحب الجيش من بلاد فارس، وخلق ملاذا آمنا بالتخلي عن بعض المقاطعات التي تم احتلالها.

كان جوفيان صديقا للمسيحيين، لكنه مات بعد فترة صغيرة جدا، لم يستطع خلالها فعل الكثير. كانت وفاته مفاجئة. بعد تناول عشاء دسم للغاية، ذهب إلى الفراش، وفي صباح اليوم التالي وجد ميتا.

اعتقد البعض أنه قتل بسبب عسر الهضم، والبعض الآخر أنه اختنق بأبخرة الفحم. وربما مات مسموما.

في هذا الوقت، كان الرومان يواجهون الكثير من الأعداء، ولديهم الكثير من البلدان الواقعة تحت سيطرتهم، الواجب الحفاظ عليها. كثيرا ما كانوا يضطرون إلى نقل جنودهم من مكان واحد لحراسة مكان آخر.

حدث، في بعض الأحيان، أن القوات الرومانية استدعيت من بريطانيا، وأرسلت للقتال في بلاد الغال أو ألمانيا. في مثل هذه الأوقات، استغل الأسكتلنديون غيابهم، وفي قوارب مصنوعة من الخوص صغيرة، مغطاة بالجلود، كانوا يعبرون المضيق، ويقومون بالسطو وتدمير أجزاء كبيرة من بريطانيا، ثم يعودون أدراجهم إلى بلادهم. بعد أن يكونوا نهبوا وفعلوا الكثير من الأذى، وجاءوا بالكثير من الغنائم.

فالنتينيان


فالنتينيان

تم اختيار فالنتينيان لخلافة جوفيان. ثم قام الإمبراطور الجديد بإشراك شقيقه فالنز وتقاسم الحكم معه. هكذا، تم تقسيم إمبراطورية روما الشاسعة إلى سيادتين، معروفتين باسم الإمبراطورية الشرقية، والإمبراطورية الغربية.

احتفظ فالنتينيان لنفسه بالإمبراطورية الغربية، وأعطى الشرقية لأخيه. تم إجراء هذا التقسيم مع أبهة عظيمة وهيبة كبيرة، عام 364 م.

تسبب فالنتينيان في موته هو نفسه، لأنه لم يستطع التحكم في أعصابه ويسيطر على غضبه. كانت قبيلة "كوادي" الألمانية، قد أرسلت وفدا للتفاهم وتخفيف غضب الإمبراطور، الذي عقد العزم والنية على إبادتهم عن آخرهم، بسبب جرؤتهم على غزو بعض الأراضي التابعة له.

بالرغم من أن أعضاء الوفد تحدثوا وتعاملوا معه بتواضع شديد، إلا أنه انفجر غاضبا، شوح بيديه، وصرخ بصوت عال، وبحركات عنيفة، لدرجة ارتفع معها ضغط دمه، تسبب في انفجار أحد شرايينه، فمات بعد لحظات قليلة من العذاب الشديد.

ثيودوسيوس العظيم



ثيودوسيوس الأول

جراتيان، الابن، وفالنتينيان الثاني حفيد فالنتينيان الأول، كل بدوره، صار إمبراطورا للغرب. لكن لم يبق أيا منهم في السلطة طويلا. ثم أصبح ثيودوسيوس إمبراطور الغرب. بعد موت إمبراطور الشرق، أصبح ثيودوسيوس أيضا إمبراطور الشرق. بذلك عادت الإمبراطورية الرومانية موحدة، تحكمها سيادة واحدة.

اعتنق ثيودوسيوس المسيحية، ولم يصادق المسيحيين فحسب، بل وافق أيضا على قرار مجلس الشيوخ، بأن الوثنية لا ينبغي أن تكون دين الدولة بعد الآن.

تناظر رجلان ذكيان بمهارة في مجلس الشيوخ حول المزايا المختلفة للمسيحية والوثنية، وأيهما أفضل. بعد مناقشة طويلة ورصينة، وقف مجلس الشيوخ في صف المسيحية، ولم يعد يدعم الوثنية. منذ تلك الفترة، أصبحت المسيحية، هي الدين الرسمي لجميع البلدان التابعة للإمبراطورية الرومانية.

لقد كان ثيودوسيوس حكيما وشجاعا وكريما. كان يحب ويمارس الفضائل، حنونا في علاقاته العائلية، وفيا لأصدقائه، رقيقا كزوج، وطيبا كأب. لذلك، كان يدعى ب ثيودوسيوس العظيم.

أثناء ثورة غضب، أمر ثيودوسيوس بقتل العديد من الأشخاص في ثيسالونيا في اليونان، كانوا قد اشتركوا في اغتيال أحد ضباطه. عندما هدأ وخف غضبه، حاول منع المذبحة، لكن قرار عفوه جاء متأخرا.

كان ثيودوسيوس على علم بنقطة ضعفه. إذا استثنينا هذا الحادث، نجد أنه كان لا ينفعل كثيرا. وقد غفر لسكان أنطاكية أيضا، بعد أن أغضبوه.

مات ثيودوسيوس العظيم في ميلانو عام 395 م، في السنة الستين من عمره، بعد أن حكم 18 سنة.

أونوريوس

قسم ثيودوسيوس إمبراطوريته بين ابنيه. جعل أونوريوس الأصغر سنا، إمبراطور الغرب، وعاصمته روما. وأركاديوس، إمبراطور الشرق، وعاصمته القسطنطينية.

أخيرا تم تقسيم الإمبراطورية الرومانية الهائلة إلى قسمين. وسنرى قريبا انتهاء سيطرة روما الامبراطورية. لقد كان أونوريوس صغيرا جدا، عندما تولى منصب الإمبراطور. وبضعفه وتردده عجل بسقوط الدولة، وكان من واجبه أن يصونها ويحميها.

بعد أن شعر بالجزع من اقتراب القوط تحت القيادة العسكرية لألاريك، فر إلى رافينا. ونقل معه الحكومة. هكذا، فقدت روما مرة أخرى سيادتها. كما أن أونوريوس، أضعف سلطاته أكثر، بعد تخليه عن جزء من إسبانيا، كمهر زواج لأخته. كما أنه سمح للبورجنديين في ألمانيا، بالانتقال والعيش في بلاد الغال (فرنسا).

ينقسم القوط إلى العديد من الدويلات المتميزة. أهمها، القوط الشرقيون، والقوط الغربيون. كان ألاريك، ملك القوط الغربيين. وكان الرومان يمارسون سياسة خطرة، وهي تأليب دويلات القوط على بعضها، حتى يظلوا في شجار ومناكفة طول الوقت.

ألاريك



ألاريك الأول ملك القوط الغربيين

كان ألاريك يخدم الرومان في هذا الشأن. لكنه غدر بالرومان، وجمع جيشا، غزا به اليونان، ومنها توجه إلى إيطاليا. تم إنقاذ أثينا من غضبه، لأن السكان فتحوا له أبواب المدينة بسهولة. لكن، ستيليتشو، الجنرال الروماني، أظهر الروح الرومانية، وقام بدفع ألاريك وإرجاعه إلى أركاديا.

لكن بعد وفاة ستيليتشو، غزا ألاريك إيطاليا مرة أخرى، ونصب معسكره قبل روما. فدفع له الرومان مبلغا كبيرا من المال كرشوة، لكي يرجع عن هدفه. لكن للأسف كان فقط لفترة صغيرة.

لأنه عاد ثانية عام 410 م، ودخل روما بالقوة، وترك المدينة لجنوده، لكي يعيثوا فيها الفساد، ويقوموا بنهبها. وقد لوحظ أن بعض القوط كانوا مسيحيين، يتجنبون السكان المسيحيين والمعابد المخصصة لعبادتهم.



ألاريك يهاجم روما

لمدة ستة أيام، لم يتوقف النهب والقتل في هذه المدينة، التي كانت عاصمة الإمبراطورية الرومانية. ولمدة أربع سنوات، ظل القوط يسيطرون على إيطاليا. لم يكتف ألاريك بهذا النصر الرائع، لذلك عقد العزم على جعل نفسه سيد صقلية وأفريقيا أيضا. كيف يشبع وهو الرجل الطموح؟

سار ألاريك برجاله جنوبا إلى كامبانيا، حيث كان ينوي الإبحار إلى صقلية، ربما للحصول على الحبوب وغيرها من الإمدادات. عندما دمرت عاصفة أسطوله، خلال الأشهر الأولى من عام 411 م، بينما كان في رحلة عودته شمالا عبر إيطاليا، أصيب ألاريك بالمرض وتوفي في مدينة بواتيا في بروتيوم.

كان سبب وفاته الحمى المحتملة، ودفنت جثته وبعض أثمن غنائمه، كما تقول الرواية، تحت مجرى نهر بوسنتو، وفقا للممارسات الوثنية للشعب القوطي.

في قاع النهر، جففوا المياه، ثم دفنوا ألاريك مع أبهة كبيرة وروعة. بعد هذا، ردموا وأعادوا المياه إلى مجراها. بذلك، يصبح النهر نفسه، هو المدفن والقبر والنصب التذكاري لملكهم المتوفي. تذكار متغير وماء متدفق، ولكن النهر باق.



دفن ألاريك في قاع النهر

عندما انتهى العمل، أعيد النهر إلى مجراه المعتاد، وتم إعدام الأسرى الذين حفروا وأنجزوا العمل بأيديهم. حتى لا يخبر أحدا منهم عن مكان الدفن.

لم يكن ألاريك شجاعا فحسب، بل كان سخيا أيضا، وأكثر صقلا بكثير من الناس الذين حكمهم. أتالوس، أو أدولفوس، خليفته، تزوج بلاسيدا، شقيقة أونوريوس، وتلقى معها، جزءا من إسبانيا كمهر.

نفى أركاديوس، إمبراطور الشرق، القديس كريسوستوم، بطريرك القسطنطينية. ومات أونوريوس، إمبراطور الغرب الضعيف، بعد عهد غير مجيد مدته أربعة عشر عاما، عن عمر واحد وثلاثين عاما، سنة 408 م.



أركاديوس إمبراطور الشرق

بولشيريا

ثيودوسيوس الثاني. كان إمبراطورا بالاسم فقط. هو حقا خليفة أبيه أركاديوس، غير أن السلطة كانت في يد أخته بولشيريا، التي حكمت لمدة أربعين سنة، بتعقل وحصافة ومقدرة كبيرة.



بولشيريا

حكمت أولا باسم أخيها، وأخيرا باسمها. في السادسة عشرة حصلت على لقب أوجستا. كانت خيرية، كادحة، وتقية. تقرأ وتكتب باللغتين اليونانية واللاتينية، مع الأناقة والطلاقة.

تتحدث بشكل جيد في المناسبات الهامة. وكانت مهتمة بالنظر في الشؤون العامة، كما كانت سريعة في تنفيذ قراراتها. وعلى الرغم من أنها كانت تحكم الإمبراطورية بالكامل، إلا أنها كانت تنسب سلامها وازدهارها إلى شقيقها.

بولشيريا ليست المرأة الوحيدة التي أشرقت وأثبتت جدارتها كحاكمة ورئيسة. هذا يوضح أن المرأة قادرة على أداء واجباتها في أي مركز عام. حتشبسوت، وكليوباترا وشجر الدر، هن أمثلة أخرى على قدرة المرأة على الحكم.

توفي أونوريوس، إمبراطور الغرب فجأة، عام 423 م. وسعى مغتصب يدعى جون، لخلافته. لكن سرعان ما هزم وقطعت رأسه. خلفه فالنتينيان الثالث على عرش روما، عام 425 م.

عندما كان ألاريك على وشك الدخول إلى روما، كانت اسكتلندا يحكمها ملك، يدعى فيرجوس، الذي نعرف عنه القليل.

في عهد فالنتينيان الثالث، ترك الرومان أخيرا بريطانيا، لحاجتهم للجنود للدفاع عن روما، وبالتالي سحبوا قواتهم من هذه الجزيرة، والعديد من البريطانيين معهم. ويبدو أنهم تصرفوا بلطف قدر الإمكان عند مغادرتهم.

فالنتينيان الثالث

فقد قاموا بإصلاح الجدار الحجري، الذي بناه سيفيروس لإبعاد الغزاة الشماليين. وعلموا البريطانيين أفضل طريقة للدفاع عن أنفسهم. ورحلوا مع أكثر الشروط ودا، مع الناس الذين حكموهم ما يقرب من أربعمائة عام، حدث هذا سنة 426 م.

ترك البريطانيون الآن لكي يضعوا قوانينهم الخاصة، ولكي يحكموا أنفسهم. كان الرومان قد علموهم كيفية بناء المنازل ورصف الطرق. وكان لديهم مدارس لتعليم الشباب، وبدأوا يعرفون استخدام المعادن.

لكن قيل إنه، بالرغم من شجاعتهم، لم يكونوا رجال حرب. كانوا يقاتلون بجرأة، ولكن ليس بكفاءة. ومع ذلك، لأنهم لم يعد يعتمدون على الرومان في المساعدة والمشورة، اضطروا إلى التفكير والتصرف والاعتماد على أنفسهم.

دخل الأسكتلنديون والبيكتس بريطانيا، عن طريق تحطيم أجزاء من الجدار. ونهبوا كل مكان مروا به. فر البريطانيون المذعورون على عجل، واحتموا في غاباتهم وجبالهم.

في هذه المحنة، طلبوا النجدة من آيتيوس، جنرال الامبراطور فالنتينيان. وجاء في نداء الاستغاثة: "البرابرة أمامنا، والبحر من خلفنا. البرابرة تهاجمنا من الأمام، والبحر يهاجمنا من الخلف. ونحن إما أن نقطع بالسيوف، أو نغرق إلى الأعماق". مقولة طارق بن زياد، "البحر أمامكم والعدو خلفكم" يبدو أنها منقولة.

لكن هذه الاستغاثة قد ذهبت أدراج الرياح. فلم يستطع آيتيوس مساعدتهم. لكن لحسن الحظ، بعد أن اتخذ الغزاة كل ما في وسعهم من استعدادات للغزو، تقاعسوا من تلقاء أنفسهم.

عاد البريطانيون الخائفون الآن إلى المنازل التي هجروها، ومرة أخرى شغلوا أنفسهم بزراعة الأرض. وقد كوفئوا بمحاصيل وفيرة. وتغيرت حياتهم من الخوف والرعب، إلى رغد العيش والاطمئنان.

كان الفاندال في هذا الوقت يخربون أفريقيا، حيث فاجأ ملكهم، جينسيريك، قرطاجة واستولى عليها عام 439 م. بعد ما يقرب من

ستمائة عام من تدمير المدينة القديمة من قبل سيبيو. وقد أعاد أوغسطس بناء قرطاجة. وكانت مدينة رائعة.

كانت هناك مدينة أخرى، في إسبانيا، تسمى قرطاجة الجديدة، التي بناها أسدروبال، عام 227 م.

(26)

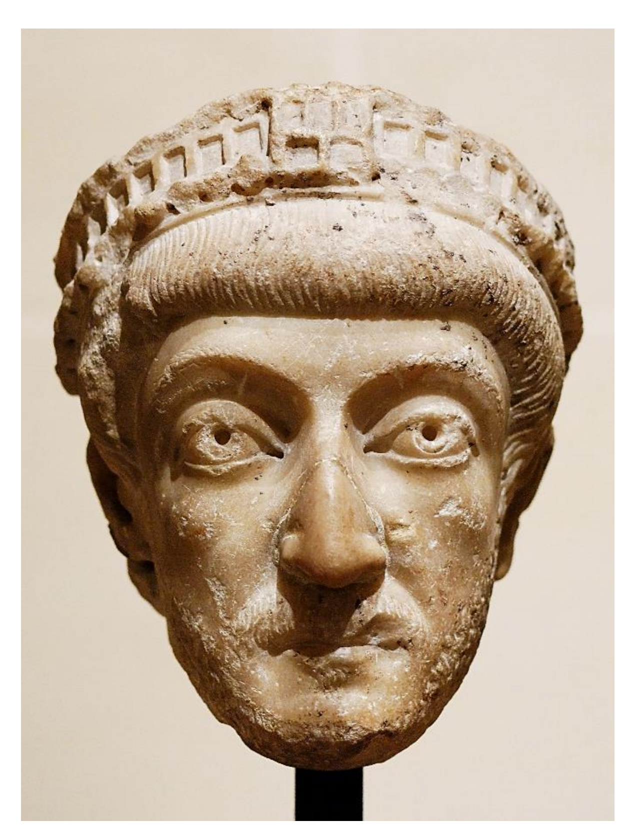
أتيلا



أتيلا

أصبح أتيلا الملك الأوحد للهون، بعد قتله لأخيه بليدا عام 444 م. كان شرسا جدا في مظهره، لدرجة أن رعاياه كانوا يرتعشون عندما ينظرون إليه. وكان مولعا جدا بالحرب، لدرجة أنه كان يسمى "بلاء الله".

كانت البلدان الشاسعة التي تسمى آنذاك سثيا والمانيا، تقع تحت سيطرة أتيلا. وبينما كان يقوم بالفتوحات على الدوام، كانت أرضه تتزايد باستمرار. لقد وصل بجيشه المنتصر إلى بوابات القسطنطينية، وألزم ثيودوسيوس الثاني. بشراء سلامته بالعطايا والهبات الكبيرة.



ثيودوسيوس

كانت السفارات ترسل إلى ملك الهون الصارم، أتيلا. وكان البرابرة يزودون الهون بجميع مستلزمات الحياة. وكانت منازلهم وقصورهم مصنوعة من الخشب. لكن أثاثهم، وملابسهم وتجهيزاتهم العسكرية كانت غنية بالكنوز المأخوذة من البلاد الذين احتلوها. كؤوس من الذهب والفضة من اليونان، والمجوهرات والتطريز من الرومان.

بعد أن أذاق الرومان الرعب لسنوات عديدة، توفي أتيلا من الإفراط في الشرب، عام 454 م. ربما ذبحة صدرية قتلته وهو مستلقي على سريره. لأنه وجد في الصباح ميتا، بالرغم من أنه كان في الليلة السابقة في صحة جيدة.

لقد كان هذا الملك يعامل الرومان معاملة سيئة. ذات مرة، عندما لم يتلق الجزية في ميعادها، أرسل هذا التوبيخ لحكومة القسطنطينية ورفينا: "الرب وربك، يأمرك بتوفير قصر له على الفور".

الفرنجة

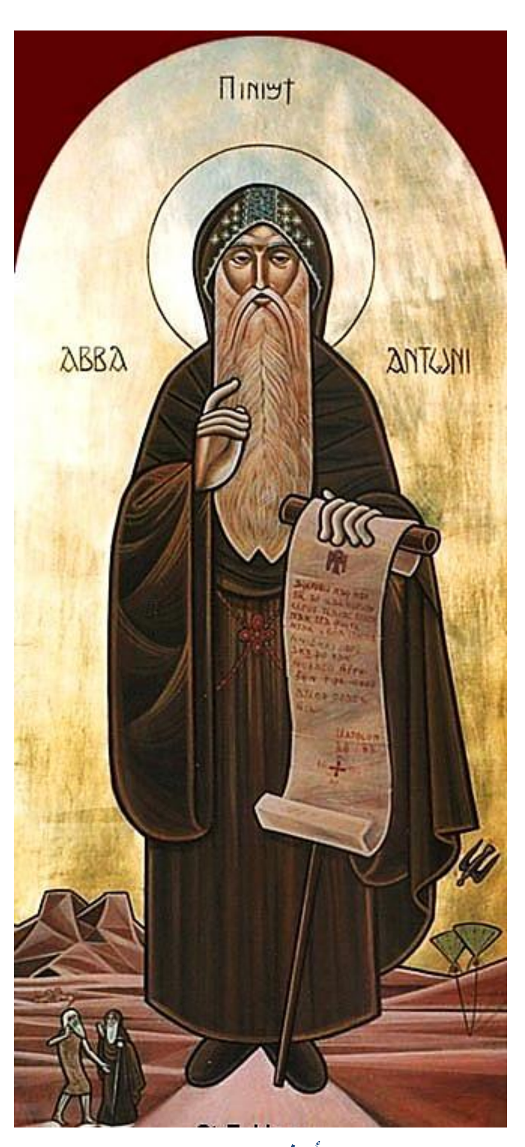
لقد دمر هذا المحارب الغال وإيطاليا. هزمنه ثيودوريك، ملك القوط الغربيين، ذات مرة. لكن، بعد وفاة ثيودوريك، واصل أتيلا ويلاته. يقال إن أتيلا أخيرا ترك الرومان يعيشون في سلام، بسبب جهود ليو بابا روما السلمية.



ميروفتش

استوطن الفرنجة الآن في بلاد الغال، تحت قيادة ميروفتش، الذي كان أول ملك لعائلة ميروفينجيان. كانت الفرنجة تتسم بالطول والجمال، مع عيون زرقاء وشعر أشقر.

ملابسهم مفصلة بإحكام بحيث تظهر شكلها الدقيق. كانوا يرتدون سيفا طويلا معلقا في حزام على الجانب، ويحملون درعا كبيرا. الأديرة أصبحت شائعة الآن في بلاد الغال، واستمرت إلى وقتنا الحالي، في كل من فرنسا وإيطاليا. فرنسا هي بلاد الغال قديما.



أنطونيوس

كان أنطونيوس، وهو مصري، أول شخص كرس نفسه لحياة العزلة. ترك عائلته وأصدقائه، وتقاعد في مكان بعيد، لكي يعيش فيه بالقرب من البحر الأحمر، عام 271 م.

هناك، عاش لبعض الوقت وحده. كان يقضي وقته في الصلاة والتأمل، وكان يعيش على الجذور والعشب. رغب المصريون الآخرون في أن يحذوا حذوه. تجمعوا عنده، وبنوا الصروح الكبيرة وسكنوها. ثم كرسوا أنفسهم للدين، وعاشوا على الكفاف.

هذه البنايات، تسمى أديرة. سرعان ما انتشرت في مصر، ومن ثم إلى أجزاء أخرى من العالم. كل المتقاعدين في هذه الأديرة، يسمون الرهبان أو النساك. أيضا، دخلت نساء كثيرات هذه الأماكن المقدسة، وهبن أنفسهن للتقوى والعبادة.



مارتن

مارتن، من مدينة تور بفرنسا، هو جندي وناسك وقديس. أدخل نظام الأديرة إلى بلاد الغال، عام 360 م. ثم بدأ ينتشر عبر أيرلندا واسكتلندا وجنوب بريطانيا.

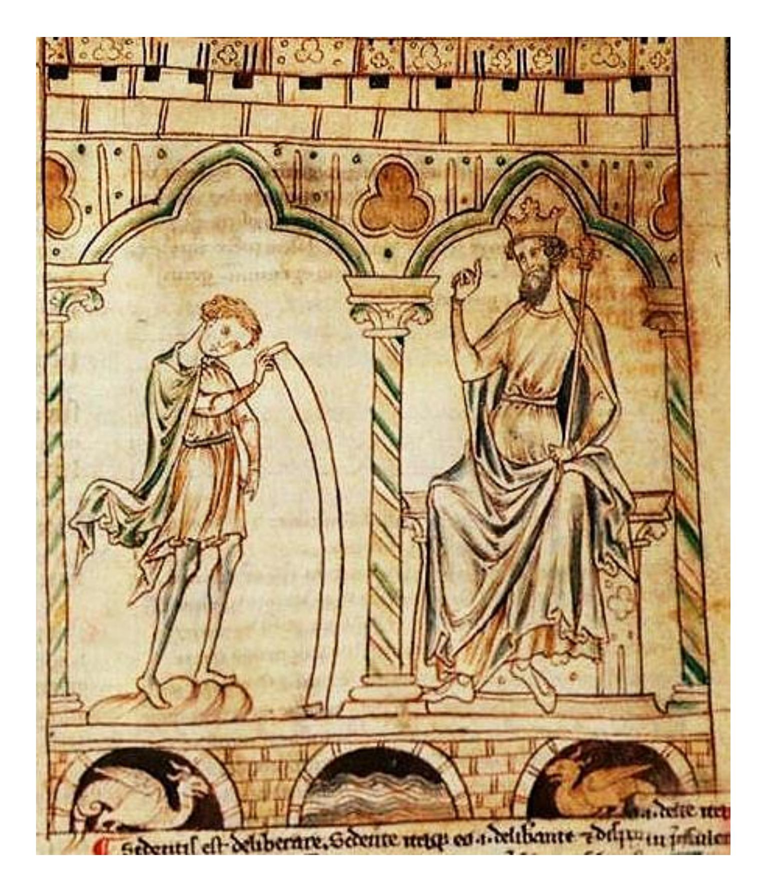
لقد تحولت الأمم البربرية الآن كلها تقريبا إلى المسيحية. القوط والفاندال والبورجونديين والسوفي (قبيلة استقرت في إسبانيا)، كلهم اعتنقوا المسيحية. السكسون والفرنجة، في الواقع، لا يزالون وثنيين. لكنهم تحولوا في وقت قصير إلى المسيحية.

في هذا الوقت، كل دول أوروبا كانت قد دمرتها الحروب والغزوات. الرومان كانوا يسعون جاهدين لصد الغزاة. وهم يضعفون عسكريا وحضاريا يوما بعد يوم. باقي الأمم، باتت تزدهر فيها الفنون والآداب

ببطء، وتخرج تدريجيا من الهمجية إلى التحضر. كانت هذه هي حالة العالم، عام 450 م.

هنجيست وهورسا

حوالي عام 445 م، شعر البريطانيون مرة أخرى بالجزع، من المعلومات التي تفيد بأن جيرانهم الشماليين كانوا على وشك غزو بلادهم مرة أخرى.



فورتيجرن

وفقا لعاداتهم المعتادة في حالات الخطر، انتخبوا جنرالا لقيادة قواتهم الموحدة. تم اختيار فورتيجرن لهذا المنصب. لكن، بدلا من رسم الخطط

ولاعتماد على شعبه، اعتمد على الخارج وقرر أن يطلب مساعدة السكسون.

السكسون، هم إحدى الدول القوطية، التي استقرت في ألمانيا قبل عهد قيصر، تحت اسم سويفي. كانوا أكثر كفاءة من البريطانيين، وفهموا بشكل أفضل فن الحرب.

عادة استخدام اثني عشر رجلا، كمحلفين، في المحاكم، والتي تتباها معظم دساتير الغرب اليوم، أتت من السكسون.



نظام المحلفين أتى من السكسون

رسالة استغاثة فورتيجرن كانت متواضعة جدا، وهو أمر يخجل منه البريطانيون الآن. لأنه من عادة البريطانيين، أن يخوضوا معاركهم، وأن يحموا بلدهم بأنفسهم، وألا يتوسلوا إلى الآخرين للقيام بذلك نيابة عنهم. بالرغم من أن البريطانيين في العصر الحديث، هم إلى حد كبير، من سلالة السكسون.

كان السكسون سعداء جدا بقبول الدعوة. جاء هينجيست وأخوه هورسا، ومعهم 1500 مقاتل للمساعدة. هبطوا في شبه جزيرة ثانيت، في كينت للانضمام إلى البريطانيين.

هينجيست وهورسا

تقدموا، وهاجموا الأسكتلنديين والبكتس في طريقهم. ثم وصلوا إلى لينكولنشاير. بعد ذلك، صوبوا أسلحتهم إلى أصدقائهم، وهاجموا البريطانيين أنفسهم.

أثناء المعارك، قتل هورسا. لكن هينجيست، قام بتدمير الجزيرة بالكامل. حتى أن أعدادا كبيرة من سكان الجزيرة، فروا منها إلى أرموريكا، جزء من بريتاني في فرنسا.

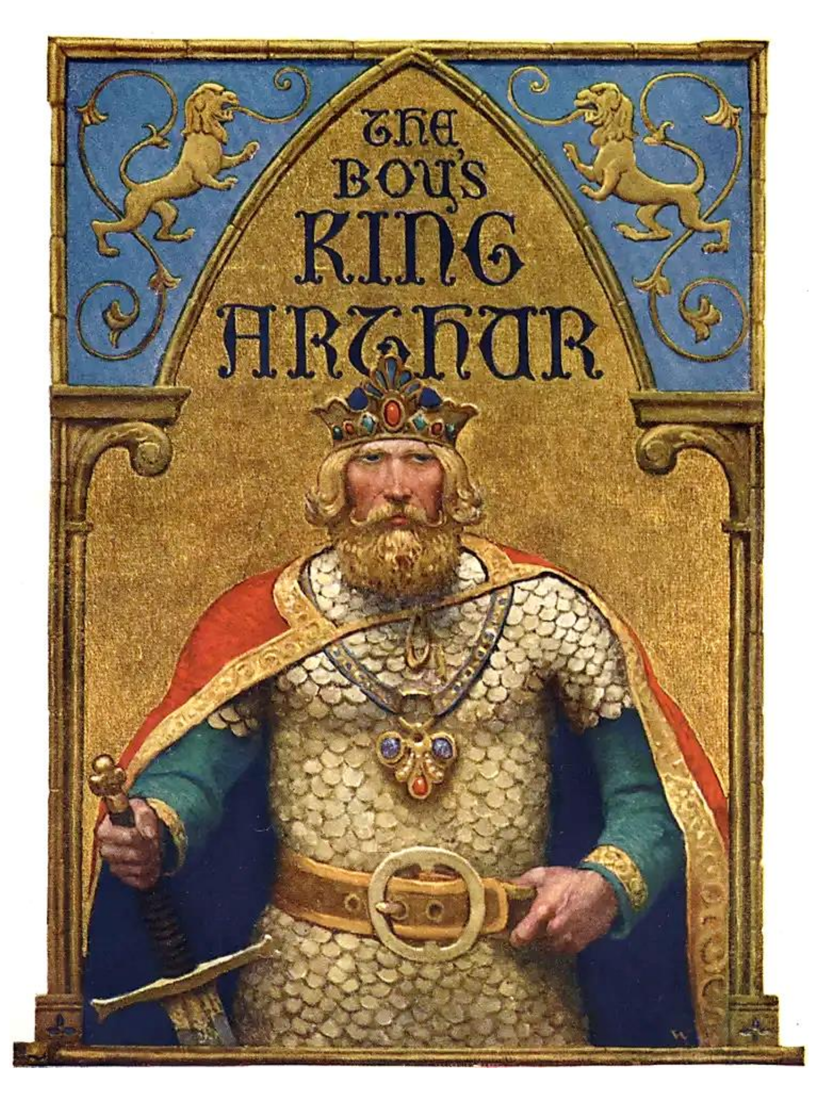
نصب هنجيست نفسه سيد كينت وإسيكس وميدلسيكس، وأصلح مسكنه في كانتربري.



انجلترا

إيلا، جنرال ساكسوني آخر، استولى على ساري، ساسكس، وجزء من هامبشاير. بينما قامت قبيلة أخرى، تحت قيادة سيدريك، بتسوية ثالثة، في بيركس وويلتس وسومرسيت ودورست وديفون.

آرثر



آرثر

في هذا الوقت، نسمع عن آرثر، ملك سيلورس، الذي اكتسب شهرة كبيرة عندما هزم السكسون في اثني عشر معركة ضارية. لقد كان أميرا شجاعا جدا، ويقال إنه قتل في معركة واحدة أكثر من أربعمائة من العدو بيده.

لكن ماذا تفعل شجاعته ضد مجموعة من اللصوص، بدأت تتدفق الآن إلى الجزيرة. بعد صراع طويل، قُتل آرثر في المعركة، عام 542 م. وترك السكسون لكي يمتلكوا جزيرة غير محمية.

سنترك هؤلاء الغزاة يقاتلون، ونرجع إلى أصدقائنا القدامى، الرومان.



جينزيريك يتحدث إلى البابا ليو الأكبر

بينما كان هينجيست يهجر بريطانيا، كان جينزيريك، ملك الفاندال، يعمل بنشاط في إيطاليا. كانت روما مرة أخرى فريسة لمنتصر بربري. بالرغم

من أن جينزيريك وعد بتجنب المدينة، بناء على طلب ليو الأكبر، البابا الموقر، إلا أنه لم يفي بوعده.

لقد نهب المخربون وجنود من قرطاجة المدينة لمدة أربعة عشر يوما، ونقلت كنوز ضخمة إلى قرطاجة، عام 455 م. ورُحّلِت أعداد من الرومان كأسرى. وكان من بينهم ابنتي ثيودوسيوس وزوجته الإمبراطورة يودوكسيا.

كان هؤلاء السجناء التعيسون في حالة من البؤس الشديد عند وصولهم إلى أفريقيا. لقد خفف ديوجراتياس، الأسقف الصالح لقرطاجة، من معاناتهم بكل الطرق التي استطاع أن يبتكرها. فقد دفع فدية للبعض، ووزع الطعام والأدوية على المرضى والجياع.

البندقية



مدينة البندقية حديثا

في هذا الوقت، عام 452 م، تأسست مدينة البندقية الجميلة. عندما غزا أتيلا إيطاليا، لجأ بعضهم إلى الجزر الصغيرة التي تقع في البحر

الأدرياتيكي، بالقرب من شاطئ إيطاليا. هناك وضع أساس مدينة، أصبحت فيما بعد، من أشهر المدن وأجملها، ومركزا للحضارة والتجارة والفنون، ليس له مثيل في التاريخ.

تبدو البندقية، عندما تنظر إليها من مسافة بعيدة، كأنها بلد تطفو على سطح البحر. بدلا من الشوارع المعبدة، تجد القنوات المائية أمام المنازل، بحيث يتم استخدام القوارب، الجندول، من قبل الركاب، بدلا من العربات. بها العديد من الجسور عبر هذه القنوات. بعض المباني العامة هي الأكثر روعة.

على محمود طه، له قصيدة بعنوان "الجندول"، غناها محمد عبد الوهاب، جاء فيها:

أين من عيني هاتيك المجالي ... يا عروس البحر يا حلم الخيال

أين عشاقك سمار الليالي ... اين من واديك يا مهد الجمال

موكب الغيد وعيد الكرنفال ... وسرى الجندول في عرض القنال

نهاية الإمبراطورية الغربية عام 476 م:

لقد تتبعنا بكثير من الدهشة والأسف والتعجب، تاريخ الإمبراطورية الرومانية، منذ تأسيسها من قبل رومولوس، عام 753 ق م، على مدى أكثر من 1200 عام. لقد وصلنا الآن إلى المحطة الأخيرة، إلى نهايتها، وهي فترة مثيرة للاهتمام.

منذ رحيل قسطنطين، بدأت هذه الإمبراطورية تفقد عظمتها. تقسيم الإمبراطورية الشاسعة بين أبناء قسطنطين، هز استقرارها بعنف. كما أن نقل أونوريوس بلاطه إلى رافينا، كان سببا آخر في اضمحلالها.

لم يعد الرومان حكماء وشجعان كما كانوا. والملوك لم يعودوا حصيفين، وأصبح لديهم أعداء شرسين، أكثر عددا وأكثر مهارة. كما أن سكان العالم قد زادوا زيادة كبيرة. كل هذه الظروف مجتمعة، انتزعت من روما نفوذها وطاقتها.

كان ثيودوسيوس الأكبر، لفترة قصيرة، الحاكم الوحيد للإمبراطورية، لكنه قسمها عند وفاته بين ابنيه. فجاءت روما من نصيب ابنه أونوريوس، وهؤلاء هم خلفاءه:

أونوريوس، عام 395، فالنتينيان 425، ماكسيموس 455، أفيتوس 455، ماجوريانوس 457، سيفيروس 461، أنثيميوس 467، أوليبريوس 472، جليسيريوس 473، جوليوس نيبوس 474، أوجستولوس رومولوس 475.

في غضون فترة قصيرة قدرها ثمانين عاما، كانت روما يحكمها أحد عشر إمبراطور متعاقبين.

أخذ أوجستولوس اسم رومولوس من أمه، ابنة الكونت رومولوس. أبوه، أوريستيس، جنرال محارب، كان تحت قيادة أتيلا. ثم بعد ذلك، تحت نيبوس. بعد ذلك، أثار الجند لكي يخلعوا نيبوس وينصبوا أوجستولوس إمبراطور الغرب.

كان أوجستولوس، الشاب المخنث، غير قادر على ممارسة صولجان هذه الإمبراطورية التي لا تزال عظيمة. أيد والده حقه في الحكم، واستمر في العمل كجنرال لابنه.



أوجستولوس

استعان أوريستيس ببعض البرابرة للقتال في جيشه. هؤلاء المرتزقة أصبحوا باهظي الثمن. يطلبون أموالا كبيرة ومكافآت مفرطة نظير خدماتهم.

كان لدى أوريستيس الروح والفضيلة لكي يرفض طلب البرابرة. لأنه، كما قال، لن يظلم أو يأخذ أرضا من الأبرياء. بهذا القرار الصادق، عرض نفسه لغضب البرابرة، الذين شعروا بخيبة أمل.

حالة العالم في هذا الوقت، لم تكن تسر عدوا أو حبيبا. جنرال آخر من البربر، اسمه أودواسير، استغل ظروف تمرد الجنود. أخذ الأمر بيده، وقبض على أوريستيس، ثم دخل روما منتصرا.

أعدم أوريستيس في ميدان عام. ابنه، أوجستولوس، تم نفيه في قلعة لوسولوس، وترك لكي يعيش مع عائلته. سمح له بتلقي راتب مجزي. وهكذا انتهت الإمبراطورية الرومانية الغربية.

أعلن أودواكر ملكا لإيطاليا. يقال، بالرغم من أنه كان يحكم الإمبراطورية الغربية، إلا أنه لم يرتد التاج، ولم يزعم أنه الإمبراطور. حكم أودواكر أربعة عشر عاما، إلى أن غزاه ثيودوريك، من القوط الشرقيين.



أودواكر ملك إيطاليا

مدينة رافينا الإيطالية، التي كان يقيم فيها أودواكر البربري، أخذت بعد حصار لمدة ثلاث سنوات. بعد ذلك، تم الاتفاق على أن الزعيمين القوطيين يجب أن يحكما معا. لكن بعد أيام قليلة من هذه المعاهدة، طعن أودواكر في مأدبة، بأمر من ثيودوريك.

(27)

ثيودوريك


ثيودوريك

لازالت روما موجودة كمدينة. لكنها لم تعد المدينة الإمبراطورية، عاصمة العالم، ومقر السلطة. لقد مست هجمات البرابرة جمالها وروعتها إلى حد كبير. هي تحمل حتى يومنا هذا، جروح وتشوهات الغزاة والبرابرة الذين لا يرحمون.

إيطاليا الآن يحكمها قوطي آخر. هو ثيودوريك. ولد في ألمانيا، بعد عامين من وفاة أتيلا. من عرق ملكي، ابن ثيودمير، ملك أمالي، وخلف والده على العرش.



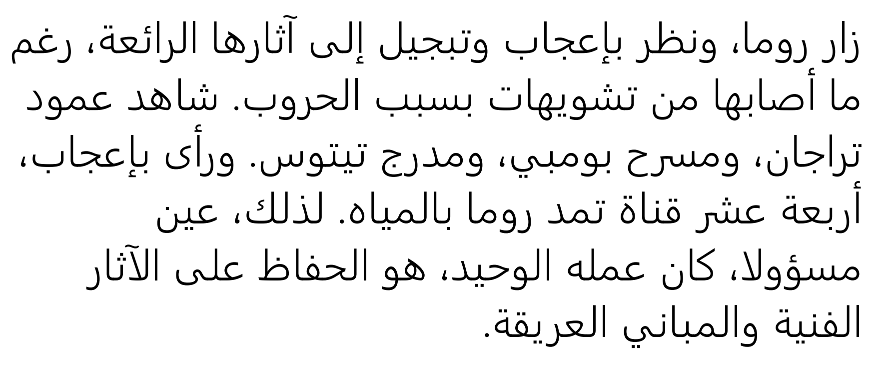
أناستاسيوس الأول

عندما حكم إيطاليا، رفض لقب الامبراطور، لكنه قبل لقب الملك. وكان يتعامل باحترام واضح مع شريكه في الامبراطورية، أناستاسيوس، إمبراطور القسطنطينية.



رافينا بإيطاليا

كان بلاطه، في رافينا، رائع، يجري وفقا لآداب روما القديمة. وكان عهده عهد سلام ظلل الامبراطورية، وشهد تسامحا مع الدين الكاثوليكي.



زار روما، ونظر بإعجاب وتبجيل إلى آثارها الرائعة، رغم ما أصابها من تشويهات بسبب الحروب. شاهد عمود تراجان، ومسرح بومبي، ومدرج تيتوس. ورأى بإعجاب، أربعة عشر قناة تمد روما بالمياه. لذلك، عين مسؤولا، كان عمله الوحيد، هو الحفاظ على الآثار الفنية والمباني العريقة.



عمود تراجان

ثم قام بإمداد العديد من المدن بالكنائس والقصور والمباني العامة الأخرى. كان يقيم أساسا في رافينا، حيث كان يقضي وقته في زراعة بستانه بنفسه. كما أنه شجع الزراعة، وأدار أعمال المناجم، وجفف مستنقعات بونتين.

كانت هذه الأهوار بالقرب من روما، وكان الهواء الرطب الناشئ عنها في بعض الأحيان غير صحي للغاية. من خلال هذه الإدارة الجيدة، جاء الرخاء، ورخصت الأسعار. ومع رواج الحالة الاقتصادية، تحسنت أخلاق الناس، وأصبحت من المقولات الشائعة، أنه يمكن ترك حقيبة مملوءة بالذهب في الحقل دون خوف من السرقة.

كلوفيس

في هذا الوقت، دخل الفرنجة إلى المسيحية. كلوفيس، ملك الفرنجة، كان قد هزم الحاكم الروماني، واستولى تماما على بلاد الغال. تزوج كلوتيلدا، ابنة ملك بورجوندي، وخلع والدها لكي يكون هو سيد تلك المملكة.



كلوفيس

كانت كلوتيلدا مسيحية، كما كان جميع البورجونديين. أقنعت زوجها بالدخول في المسيحية. وعندما أصبح كلوفيس مسيحيا، عام 496 م، حذت جميع رعاياه حذوه.

مع كلوفيس، يبدأ تاريخ فرنسا. لقد نقح قوانين ساليتش المستعارة من ألمانيا. من هذه القوانين، استبعاد المرأة من الحكم. وبالتالي لا توجد أنثى في أي وقت، أمكنها ارتداء تاج فرنسا.

هزم ثيودوريك كلوفيس في المعركة، ولكن بعد ذلك، عقد معاهدة سلام معه. أصبحت باريس الآن هي عاصمة فرنسا. ثم توفي كلوفيس، عام 511م، بعد تقسيم مملكته بين أبنائه الأربعة.

من خلفاء كلوفيس، لم يكن أي منهم يستحق الذكر. إلى أن جاء "بيبين لو بريف"، حفيد تشارلز مارتيل، وصار ملكا، بموجب أمر من البابا. عندما توفي بيبين، عام 768 م، ترك اثنين من أبنائه، تشارلز وكارلومان، تقاسما مملكته. لكن كارلومان يموت بعد والده بوقت قصير. فيصبح تشارلز هو الحاكم الوحيد. تشارلز هو نفسه شارلمان، صاحب الشخصية الفريدة في التاريخ.

جوستينيان

لقد رأينا الإمبراطورية الغربية قد وقعت في أيدي البرابرة. دعونا الآن نستفسر كيف كان حال الأباطرة الشرقيين. إذا نظرنا إلى خريطة العالم، سنرى أن القسطنطينية تقع إلى الشرق من روما، وبالتالي نفهم لماذا يطلق عليها مقر الإمبراطورية الشرقية.

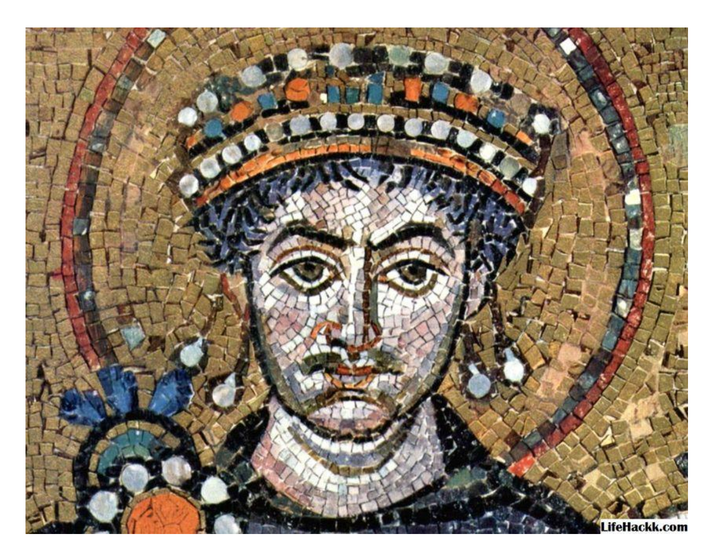
فيما يلي قائمة بأسماء الأباطرة الشرقيين، بدءا من أركاديوس وصولا الى جوستينيان الأول.

أركاديوس عام 395 م، ثيودوسيوس 408، مارسيان 450، ليو العظيم 457 م، ليو الثاني 474، زينو 474.

بعد نهاية الإمبراطورية الغربية:

أناستاسيوس 491، جوستين الأول 518، جوستينيان الأول 527.

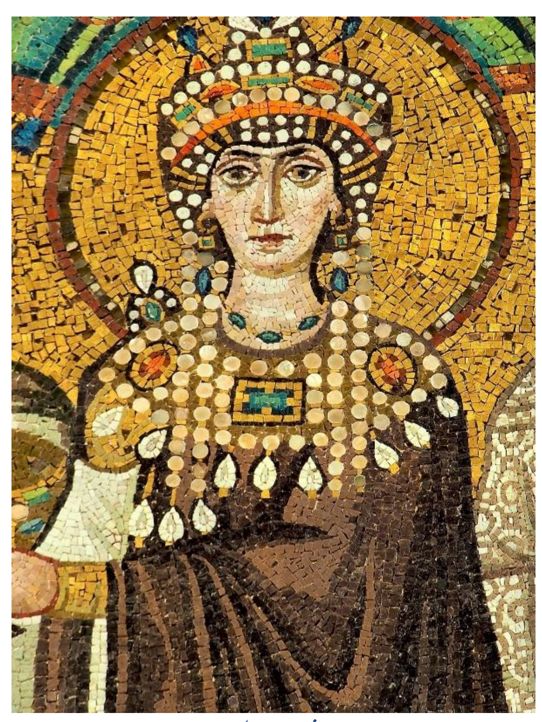
تميزت فترة حكم جوستينيان بالعديد من الأحداث المثيرة للاهتمام، سواء في امبراطوريته الشرقية أو في أجزاء أخرى من العالم.



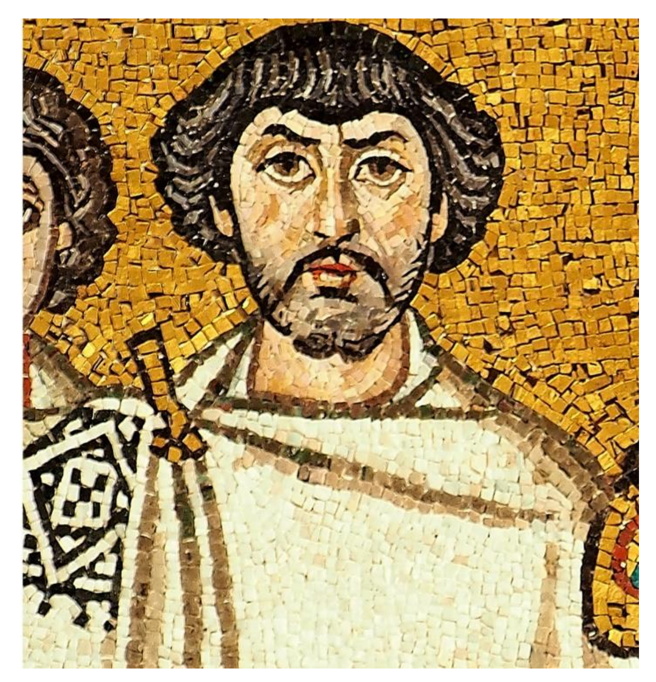
جوستينيان

جستنيان، خلف عمه جوستين. كان شابا من أصل غامض، ولكن عمه أخذه مبكرا من قريته الأصلية، وتلقى تعليمه في القسطنطينية، وتبناه، وسماه خلفا له. ويقال إن جوستين كان هو نفسه جاهلا لدرجة أنه لم يكن يعرف حتى الأبجدية.

ثيودورا، زوجة جوستينيان، كانت شخصية فريدة جدا. ولكن أخطاءها كانت كثيرة.



ثيودورا



بيليساريوس

كان من حسن حظ جستنيان، أن له جنرال شجاع وماهر اسمه بيليساريوس. كان بيليساريوس ناجحا بقدر ما كان شجاعا. كان منضبطا وصارما بين قواته.

بالقرب من معسكره، لم تسرق تفاحة من الأشجار، ولا تعدى أي جندي على حقل من الحقول. هزم الفرس، وقمع تمردا في القسطنطينية. كما أنه هزم جليمار، ملك أفريقيا، وأخذ منه عاصمته قرطاجة عام 534 م.

المغاربة (المور)، كانوا في الأصل من سكان موريتانيا القديمة. انتشروا في شمال أفريقيا بأكملها، وغزوا إسبانيا، واحتفظوا بها لعدة قرون.

المغاربة تحتل إسبانيا

بيليساريوس

كان بيليساريوس ناجحا بنفس القدر في إيطاليا. استعاد العديد من المدن من سيطرة القوط، وجعل نفسه سيد روما. عرض عليه تاج إيطاليا، لكنه رفض بشدة العرض المغري. في عام 546، توتيلا من القوط، في غياب بيليساريوس، نهب روما. لكن هذا الجنرال الشجاع، مرة أخرى استعاد المدينة من البرابرة.

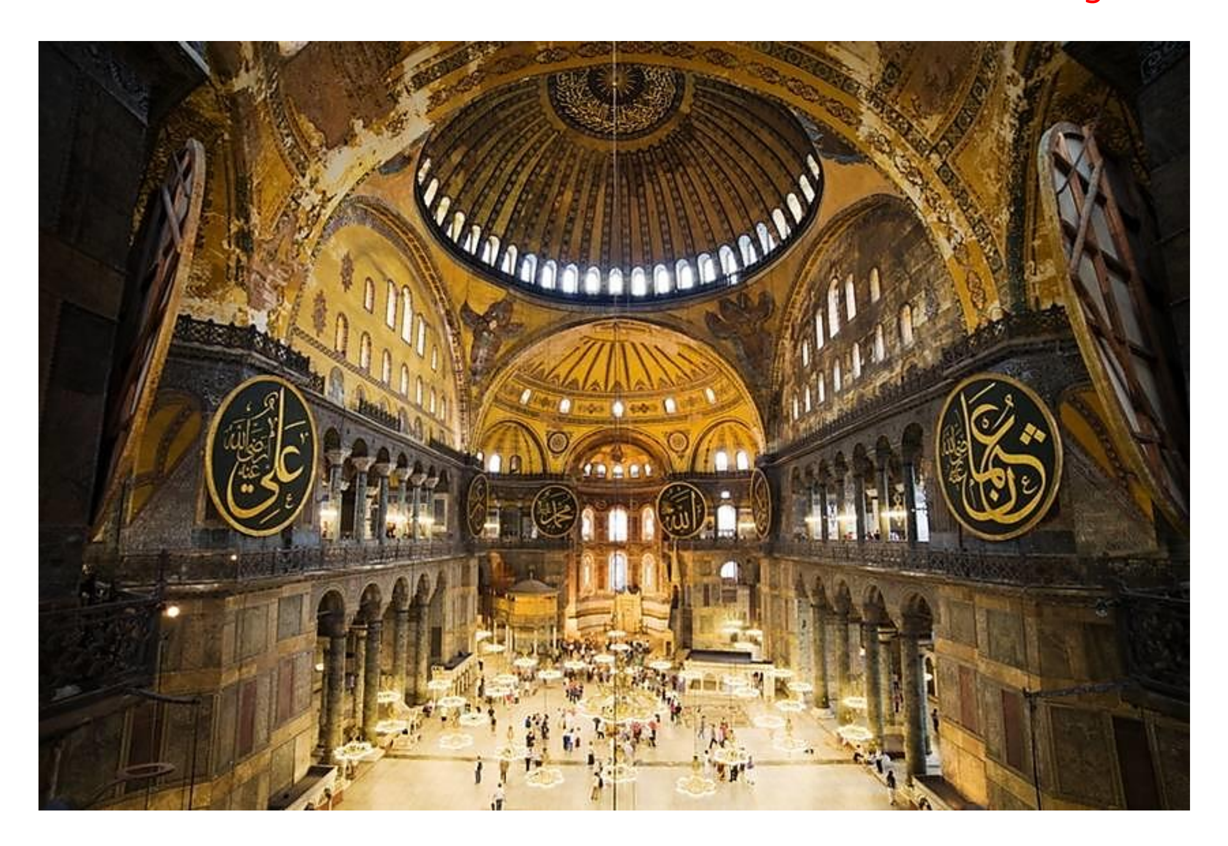
بعد حياة طويلة ومجيدة، وبسبب غيرة جوستينيان من شهرته وأعماله المجيدة، تعامل معه باحتقار وفتور. إلى درجة أنه قام بمحاكمته بتهمة التآمر ضد حياة الإمبراطور.

توفي بيليساريوس في سن متقدمة، عام 565 م. ولكن، لم يكن أعمى ولا متسولا في الطرقات، كما كانت تقول الشائعات. إلا أن الإمبراطور، كان قد صادر ممتلكاته. جستنيان نفسه لم يعش طويلا بعد موت الجنرال الذي قدم له الكثير من الخدمات، والذي عامله ظلما بسبب الغيرة.

بعد وقت قصير من وفاة بيليساريوس، استقر اللومبارد، وهي أمة من الألمان أو الاسكندنافيين، في إيطاليا، وامتلكوا جزءا كبيرا منها. وجعلوا بافيا عاصمتهم. بقية إيطاليا كانت لا تزال يحكمها إكسارخ، نيابة عن الإمبراطور، الذي كان مقر إقامته في رافينا.

نال جستنيان احترام الأجيال القادمة، بسبب تجميعه لمدونة قوانين. هي مجموعة قوانين مختارة بعناية من قوانين روما القديمة. سرعان ما انتشرت في كل أنحاء أوروبا.

آيا صوفيا



آيا صوفا

كنيسة آيا صوفيا، في القسطنطينية (اسطنبول)، والتي يتحدث عنها الركبان، أسسها وبناها جوستينيان في خمس سنوات، وتم افتتاحها عام 537م. ثم قلبت مسجدا، ثم متحف. الآن هي مسجد. تعد من أبرز الأمثلة على العمارة البيزنطية والزخرفة العثمانية.

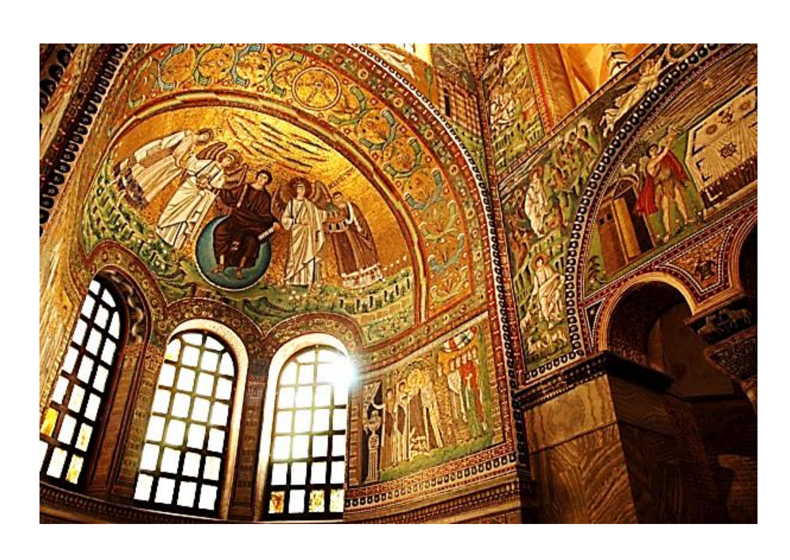
لم يشأ جستنيان أن يبني كنيسته على الطراز المألوف، وكان يبحث عن طراز بيزنطي جديد. لذلك كلف مهندسين معماريين من آسيا الصغرى لبناء هذا الصرح الضخم.

يقال إن ملاكا ظهر للإمبراطور في المنام وأمره ببناء هذه الكاتدرائية. من هنا جاء اسمها. آيا صوفيا أو "الحكمة الإلهية". الإمبراطور نفسه كان مهندسا معماريا. وكان يلبس ملابس العمال التيل ويشرف على البناء ويوجه آلاف العمال بنفسه يوميا.

الكاتدرائية خارج البناء تبدو عادية، لكنها من الداخل شيء رائع. لأنها بنيت لكي تنافس هيكل سليمان الذي كان موجودا بالقدس قبل تدميره.

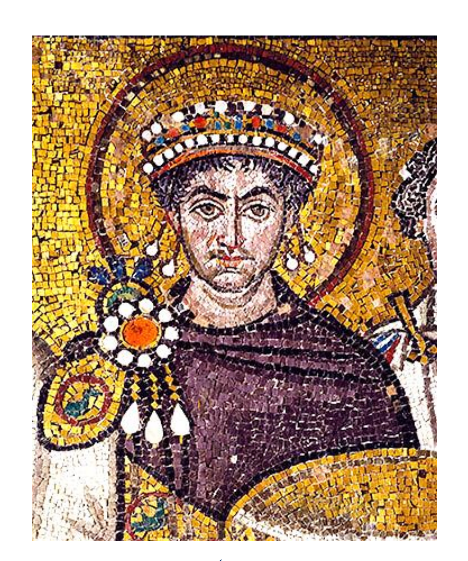
في الوسط، توجد قبة عظيمة، حولها أنصاف قباب وأقواس. الجدران مزينة بالفسيفساء والصور، تبين مشاهد من الإنجيل وتحكي قصصا عن حياة القديسين.

المعابد الوثنية تم نهبها وتجريف نقوشها ونقل أعمدتها لكي تبني بها آيا صوفيا. هنا أعمدة من الرخام على كل شكل ولون. المنابر والهياكل والأبواب من العنبر والعاج وخشب الأرز.



آيا صوفيا من الداخل

المذبح الذهبي، مطعم بالعقيق واللؤلؤ والياقوت والماس. الكنيسة توجت بصليب من الذهب الخالص. في ليلة كريسماس عام 548م، وهب جستنيان كنيسته بعد اتمامها إلى الرب. نزل من عربته الحربية، فاردا ذراعيه ودخل الكنيسة وهو يجري نحو المذبح قائلا: "المجد للرب. يا سليمان، لقد تفوقت عليك "



جستنيان

ظلت آيا صوفيا، لقرون عديدة، أجمل الكنائس البيزنطية في العالم. إلى أن فتح الأتراك القسطنطينية عام 1453م. ماذا يفعل الأتراك المسلمون بكنيسة مسيحية حتى وإن كانت آيا صوفيا؟

قاموا بغسل الكنيسة من الداخل بماء الورد. صور القديسين تم طلاؤها باللون الأبيض، وعليها ركبت صفائح مكتوبة بآيات قرآنية. الصليب المصنوع من الذهب الخالص الذي كان يعتلي قبة الكنيسة، بدل بالهلال رمز الإسلام. أيا صوفيا تم تحويلها من كنيسة مسيحية إلى جامع إسلامي.

أثرت المصنوعات المختلفة الرومان الآن، وفي عهد جوستينيان، بدأت تنسج الملابس من الحرير. أحضرت ديدان القز من الصين سرا. كان يخبأ البيض داخل العصي والهراوات، حتى لا يلاحظه الصينيون. الذين كانوا يمنعون نقل هذه الصناعة خارج حدود بلادهم.



دودة القز تنتج الحرير

التجارة مع الصين كانت تتم عن طريق البحر والبر على حد سواء. السفر عن طريق البر، طويل وشاق. الطريق البحري كان يبدأ من سواحل الصين إلى سومطرة، ثم جزيرة سيلان، ثم الخليج الفارسي، ومن هناك إلى القسطنطينية.

طريق التجارة القديم مع الصين

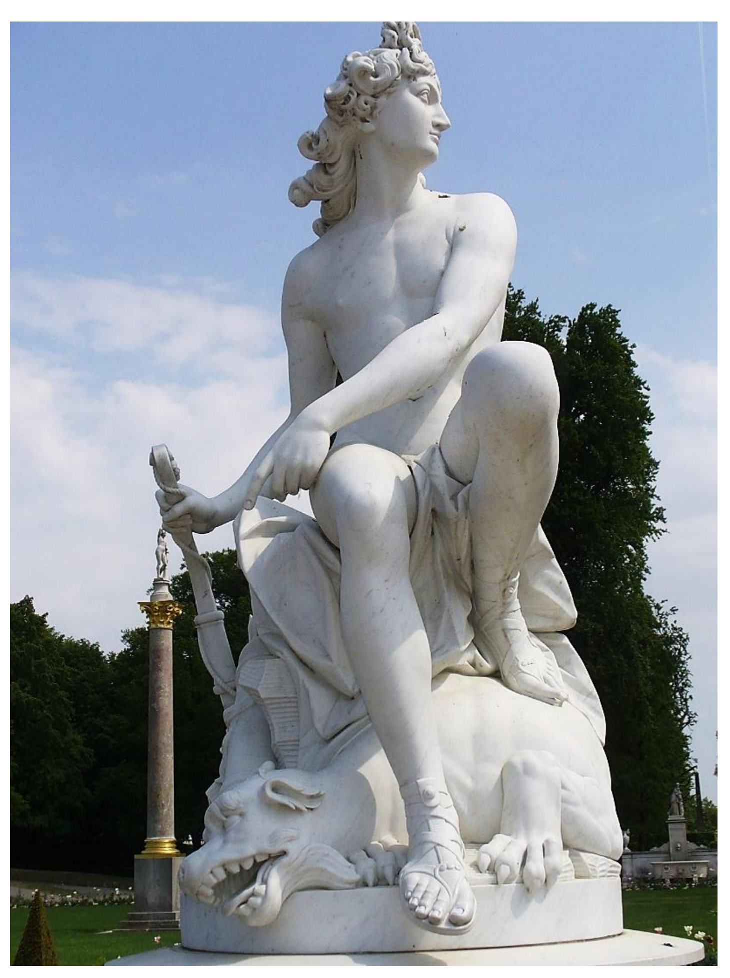
ولد الرسول محمد في مكة المكرمة، عام 570 م، أو ما يقرب من ست سنوات بعد وفاة بيليساريوس.

توفي محمد بسبب الحمى في المدينة المنورة، عن عمر 63 عاما، سنة 632 م. ومنذ ذلك الحين، انتشر الإسلام ووصل إلى بلاد فارس، وشبه الجزيرة العربية، وشمال أفريقيا.

المغاربة، أو البربر، تم دخولهم في الإسلام عام 712 م. بعد حوالي ثمانين عاما من وفاة محمد، غزوا إسبانيا، وأسسوا مملكة في قرطبة، عام 756 ميلادية، بعد وقت قصير من ولادة شارلمان.

كان الساراسين، أو العرب، تحت قيادة العديد من الخلفاء، يهاجمون أوروبا وآسيا. أخذوا القدس وغزوا مصر، وأحرقوا مكتبة الإسكندرية الشهيرة. ثم استولوا على جزيرة قبرص.

في جزيرة رودس، وجدوا تمثالا هائلا للإله أبولو، فدمروه. وقد كان واحدا من عجائب الدنيا السبع في العالم. ودمروا جزيرة صقلية، وهاجموا القسطنطينية، لكنهم لم يتمكنوا من أخذ هذه المدينة.



تمثال آخر للإله أبولو

اللسان اللاتيني لم يعد يتحدث به في إيطاليا. من المفترض أن وجود الغرباء قد غير تدريجيا لغة عامة الناس، وأخيرا أصبحت اللغة المنطوقة بشكل عام مختلفة بشكل أساسي عن لغة روما القديمة، لكن تم الحفاظ عليها في الكتابات القديمة. اللغة الإيطالية تختلف كثيرا عن اللاتينية.

بينما كان الإسلام ينتشر، كان القديس أوغسطين، في إنجلترا، يدعوا الغزاة السكسون إلى الديانة المسيحية. إنجلترا، كانت مقسمة في ذلك الوقت إلى العديد من الإمارات، كل منها يحكمها أميرها.

شارلمان



شارلمان

بوفاة أخيه، أصبح شارلمان الملك الوحيد للفرنجة، لما يقرب من خمسين عاما. استمر هذا الملك العظيم في الحكم، وقام بالتوسع من خلال الفتوحات الجديدة.

كان والده، بيبين، قد وضع، أو ربما أعاد فقط، خطة البرلمان العادي، الذي كان يجتمع مرة واحدة في السنة، وجعله يعقد مرتين كل عام. أعضاء البرلمان كانوا من ثلاث فئات: رجال الدين، النبلاء، عامة الشعب.

اسم البرلمان في الماضي، كان هو "بطل مارس"، أو "حقل مارس"، لأنه عقد في الأصل في حقل، في الأول من شهر مارس. وكانوا يجرون فيه جميع أعمالهم العامة. والملك، كان له صوت واحد فقط، مثل باقي الأعضاء. لكن في زمن شارلمان، كان الملك يحظى بالمزيد من السلطة والنفوذ.

أدخل شارلمان النظام الإقطاعي إلى فرنسا، بعد أن عرفه عندما غزا اللومبارد، الذين كانوا يمارسونه، وربما هم من اخترعوه أولا. ووعد اللوردات والبارونات العظماء، الذين تلقوا من الملك هدايا القلاع والأراضي، في المقابل، بتجنيد الجنود إلى الميدان، حتى يخوضوا معارك الملك الذي أثراهم. واشترط أيضا أن يقوم العامة بتسليح أنفسهم، دفاعا عن اللوردات.


جزيرة سردينيا

شارلمان، بعد أن أخضع اللومبارد، تم تتويجه ملكا لإيطاليا، عام 774 م. ثم جعل نفسه سيد جزء من ألمانيا. وهاجم وهزم العديد من القبائل القوطية. ثم طرد الهون وأخذ جزيرة سردينيا وبعض مقاطعات إسبانيا.

البابا ليو الثالث



البابا ليو الثالث

في يوم عيد الميلاد، عام 800 م، كرسه البابا ليو الثالث إمبراطور الغرب. لكن، لأنه لم يكن يقيم في روما، أصبحت الإمبراطورية الغربية عند وفاته، أكثر قليلا من اسم. وكانت معروفة في وقت لاحق، باسم "الإمبراطورية الألمانية".

قسم شارلمان دولته إلى مقاطعات، كل مقاطعة تحتوي على عدد معين من البلدان. خلال فترة حكمه، كانت تصنع الزجاج والصوف والحديد بنجاح. وكان لديه سفن حربية متمركزة عند مصب كل نهر كبير.

شجع التجارة، ومنح الكثير من الاهتمام إلى الفنون والموسيقى. وتعلم الفرنسيون من الإيطاليين العزف على الأرغن. لقد حمى الأدب وكافأ رجال المواهب.

كان شارلمان أنيسا في الحياة الخاصة. حض أولاده على ممارسة الألعاب الرياضية، وبناته على ممارسة الفنون المحلية. وكن يقضين أوقاتهن في الغزل والتطريز، والمهن الأخرى البسيطة.

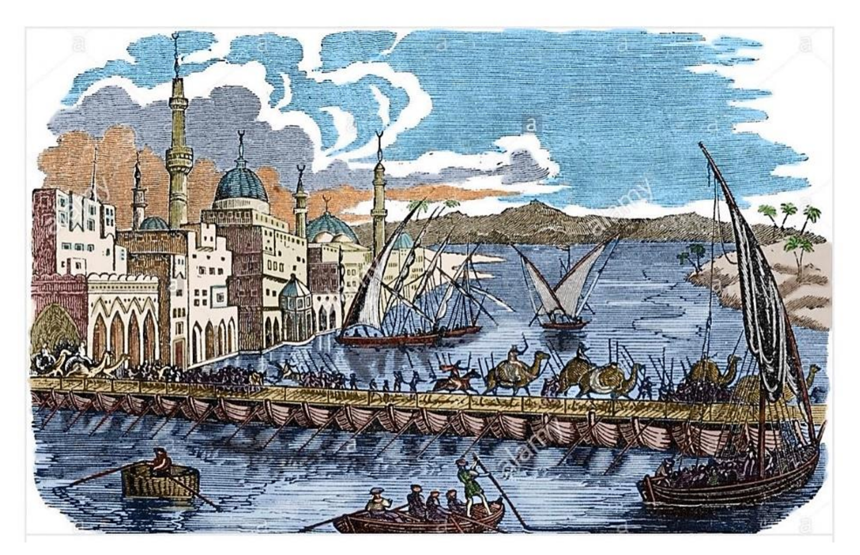
توفي شارلمان في السنة الثانية والسبعين من عمره، عام 814 م. ترك سلطانه في إيطاليا لحفيده برنارد، وبقية ممتلكاته إلى لويس لو ديبونير، ابنه الوحيد الباقي على قيد الحياة.



هارون الرشيد كما تخيله الفنانون

هارون الرشيد، أو هارون العادل، خليفة المسلمين في ذلك الوقت، كانت دولته لها نفس الازدهار والثراء والنفوذ.

وقام المنصور، سلفه، ببناء مدينة بغداد الشهيرة، على ضفاف نهر دجلة، وجعلها عاصمة الخلافة.



بغداد على نهر دجلة في العصر العباسي

أيرين

لقد تناوب العديد من الأمراء صولجان الإمبراطورية الشرقية منذ عهد جوستينيان. قسطنطين الخامس، قد أصبح إمبراطورا خلال حياة شارلمان. أمه، إيرين، التي استعادت عبادة الصور، أبقت ابنها، تحت سيطرتها الكاملة. وفي النهاية، قامت بقتله، لكي تعلن نفسها إمبراطورة عام 797 م.



ايرين، الامبراطورة التي قتلت ابنها

يقال إنها كانت ترغب في أن تتحالف مع شارلمان، إما بزواج ابنها قسطنطين من إحدى بناته، أو بالزواج منه هو نفسه. لكن في عام 802 م، خلعت من العرش، وحبست في دير.

لم يمض وقت طويل بعد وفاتها، بدأ جنس جديد من الأتراك، من بلاد التتار، في الإغارة على إمبراطورية الشرق.

كانت أرموريكا، وهي مقاطعة في فرنسا، لها اسم بريتاني، لأن العديد من البريطانيين لجأوا إلى هناك من قوة هنجيست وهورسا، كما ذكرنا من قبل.

هذه كانت حالة العالم، في عهد شارلمان الطويل والمزدهر.

كانت إنجلترا تحكم بسبعة أمراء سكسون مستقلين. القديس أوغسطين كان مشغولا بتحويل السكسون إلى المسيحية.

بلد الفرنجة، تحت اسمها الجديد، فرنسا، كان يحكمه شارلمان بشكل جيد. وكان هذا العاهل العظيم، إمبراطور الغرب، وملك لجزء كبير من إسبانيا وألمانيا.

البابا ليو الثالث. كان أسقف روما أو البابا. وقد تم إدخال مجموعة جديدة من الرهبان إلى إيطاليا، تسمى بنديكتين، نسبة للقديس بنديكت، مؤسسهم.

المور، الذين غزوا جنوب إسبانيا، أصلحوا بلاطهم في قرطبة، تحت إشراف ملكهم، عبد الرحمن. العرب كانوا يثيرون الرعب في كل أوروبا، والقدس كانت في حوزتهم، وبغداد عاصمتهم.

كان البيكس والأسكتلنديون في السلطة الكاملة في اسكتلندا. ويقال إن الأيرلنديين كانوا يعيشون في حالة من رغد العيش والسلمية.
البريطانيون، الذين كانوا يحتقرون نير الساكسون، لجأوا إلى جبال ويلز. لذلك، يتباهون بأنهم الوحيدون الحقيقيون، الذين جاءوا من نسل البريطانيين القدماء.

كانت إمبراطورية الشرق تتلاشى تدريجيا من مجدها السابق، بسبب سيطرة الملوك الضعفاء أو الأشرار.

أثينا، لم تعد مقر الفنون والعلوم كما كانت في الزمن القديم. عانت كثيرا من ويلات القوط، ولم يبق سوى القليل من روعتها القديمة.
اليونان ومقدونيا، كانتا كل بدورها فريسة للبرابرة الغازية.

نهبت صقلية بالعرب. سيراكيوز، لم تعد تذكر إلا لعظمتها السابقة. مصر كانت محتلة وتنهب بالعرب كما كانت تنهب أيام الاحتلال الروماني.

قرطاجة القديمة، لم يبق منها إلا بقايا. سويسرا، كانت جزءا من مملكة أو مقاطعة بورجوندي، وبالتالي كانت تحت حكم شارلمان.

يعلن مؤرخو بولندا أن تلك المملكة كانت تحكمها منذ فترة طويلة ملوكها، أو دوقاتها، من عائلة ليسكو، وأن أول سيادة لها كانت ليخوس، 550 م.

تاي تسونج

استمرت الصين والهند بنفس الدرجة من القوة والحضارة التي كانت لديهما منذ فترة طويلة. كان يحكم الصين إمبراطور واحد، تاي تسونغ، واحد من أشهر وأفضل ملوكها.



تاي تسونج

توفى شارلمان في بداية القرن التاسع الميلادي 814 م.

النهاية

شكرا لمرورك الكريم

الفهرس

	تاي تسونج	396

تعريف بالمؤلف



الاسم: محمد زكريا توفيق

المؤهلات: ماجستير في الرياضة البحتة من كلية الهندسة جامعة نيويورك 1973م

ماجستير في علوم الكمبيوتر من كلية العلوم جامعة نيويورك 1983م

دراسات في الرياضيات التطبيقية تعادل الدكتوراه من معهد كورانت بجامعة نيويورك

الخبرة: أكثر من 40 سنة في مجال الكمبيوتر حيث كان يعمل مديرا للتخطيط والبرمجة في عدة بنوك أمريكية منها البنك الفدرالى الأمريكي.

نشرت له العديد من المقالات العلمية والثقافية والسياسية في صحافة مصر والخارج

يعيش الآن في مدينة نيويورك